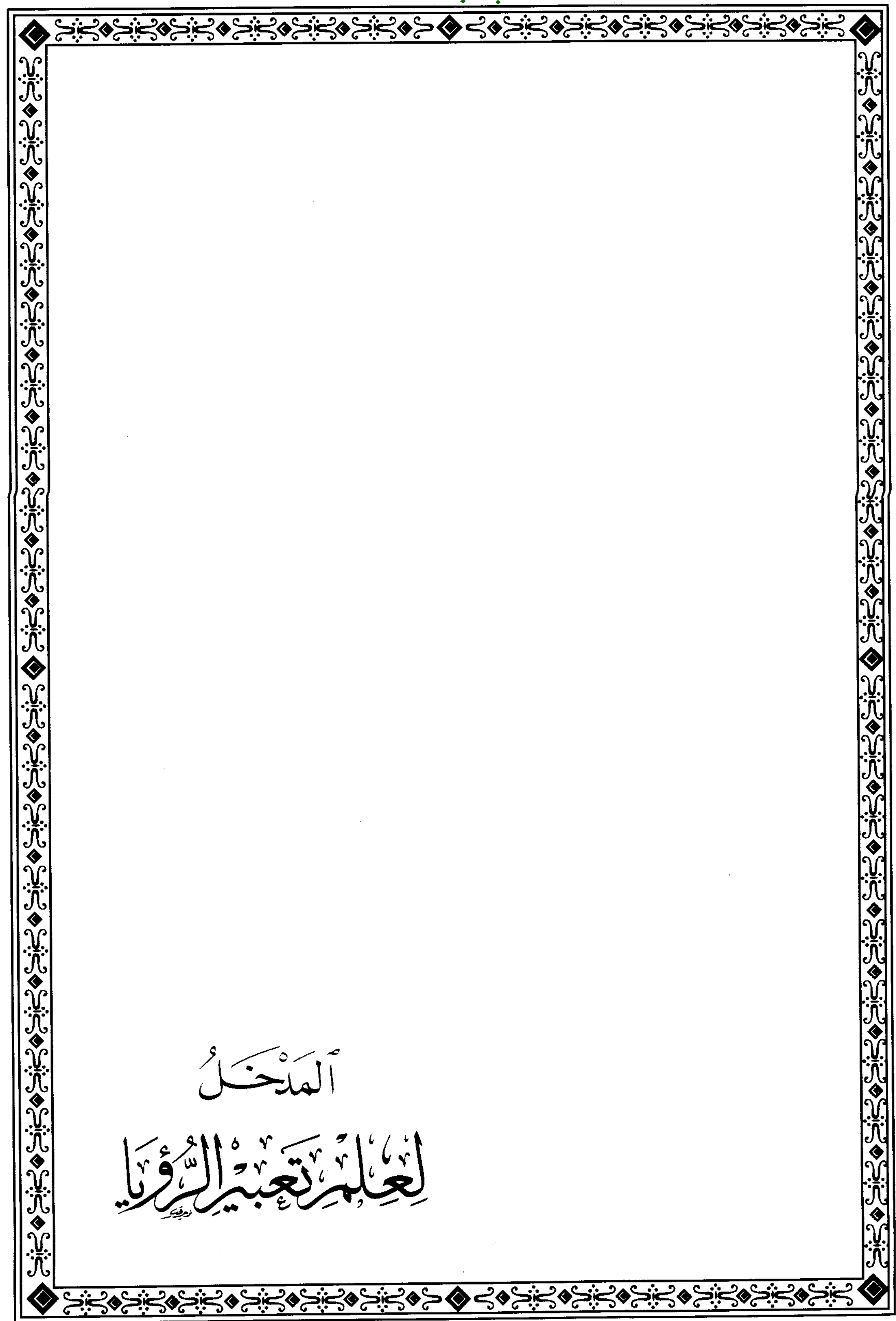
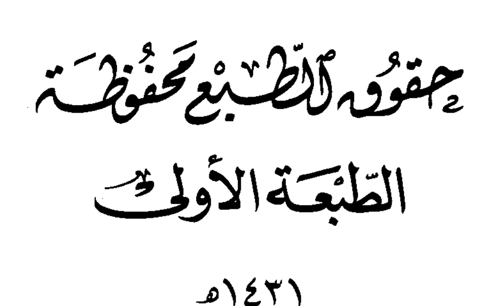
# المدخل لعلم تعبير الرؤيا

تأليف
د. فهد بن جبير السفياني

دار ابن الجوزي


المدخل
لعلم تعبير الرؤيا



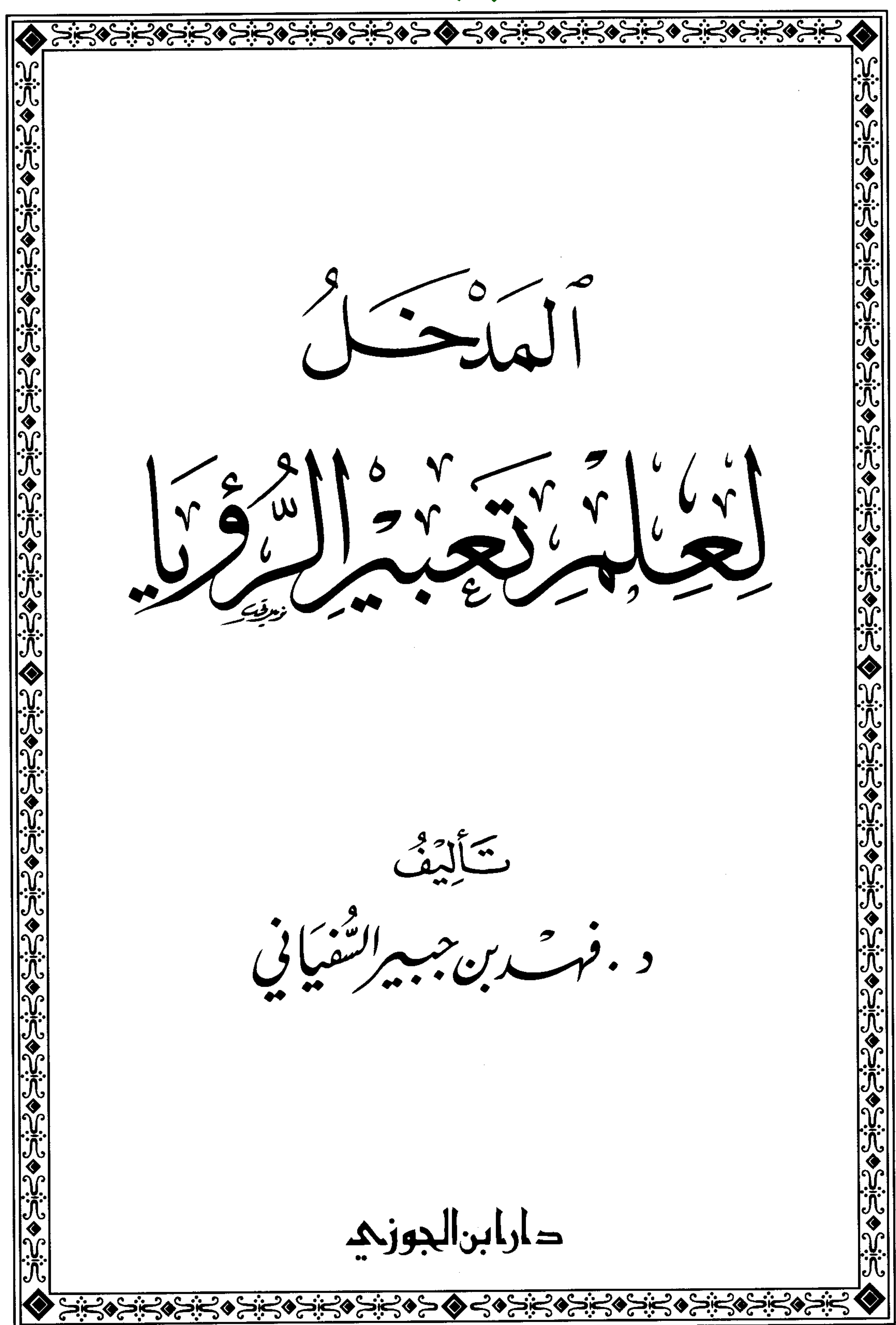

١٤٣١هـ






**دار ابن الجوزي**
للنشر والتوزيع

**المملكة العربية السعودية: الدمام** - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ -
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - **الرياض** - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
**الإحساء** - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - **جدة** - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - **بيروت** - هاتف: ٨٦٩٦٠٠/٠٣ -
فاكس: ٦٤١٨٠١/٠١ - **القاهرة** - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
البريد الإلكتروني: **aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com**

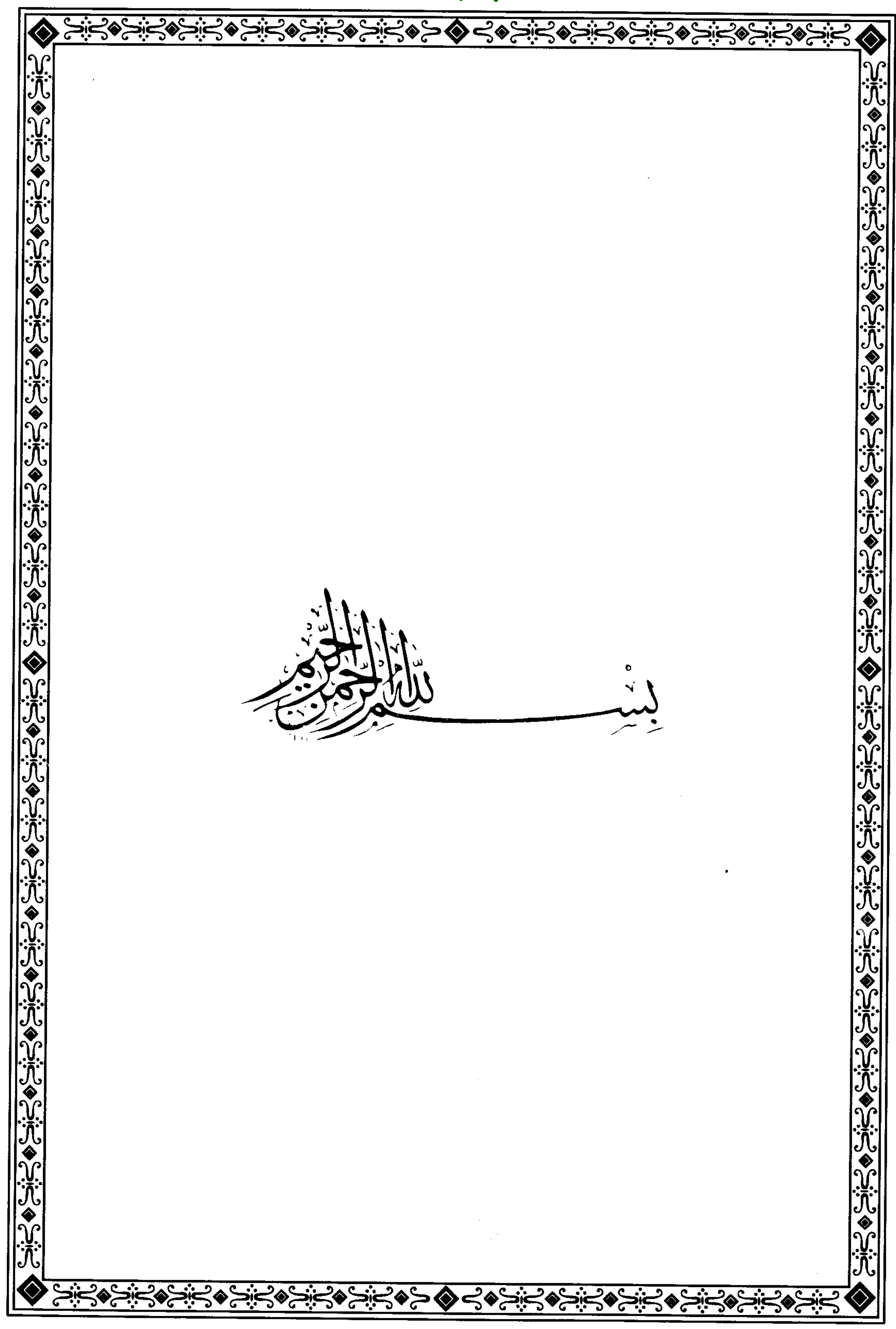


# المدخل لعلم تعبير الرؤيا

تأليف

د. فهد بن جبير السفياني

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمدُ لله القائل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٤]، وصلى الله على نبينا محمد المبيِّن لهذه الآية بقوله: «**هِيَ الرُّؤيَا الصَّالحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ المُؤمِنُ أَو تُرَى لَه**»[١].

ورضي الله عن صحابته الكرام الذين اقتفوا أثره، وساروا على منهجه، وأخذوا الدين كله، فلم يؤمنوا ببعضٍ ويكفروا ببعض.

فكان مما ورثوا عن نبينا محمد ﷺ الاهتمام بأمر الرؤيا الصالحة الصادقة التي هي جزءٌ من الوحي، كما قال مقدَّمهم وإمامهم أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه، كان إذا أصبح قال: «من رأى رؤيا صالحة فليحدِّثنا بها»، وكان يقول: «لَأن يَرَى لي رَجُلٌ مُسلِمٌ مُسبغ الوُضُوءِ رُؤيَا صَالِحَة، أَحَب إليَّ مِن كَذَا وَكَذَا»[١].

ثم سار على ذلك أهل السنة جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرنٍ، حتى عصرنا الحاضر، وذلك تصديقاً لما ورد عن رسولنا حيث قال: «**أَلا إِنَّ النُّبوَةَ وَالرِّسَالَةَ قَدِ انقَطَعَتْ، فَلا نَبيَّ بَعدِي وَلا رَسُول**»، فشقَّ ذلك على الناس، فقال: «**وَلَكِن المُبَشِّرَاتُ**»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ**»[١].

فلما كان هذا شأن الرؤيا، وأنها جزءٌ من الوحي، وفيها اطلاعٌ

---

(١) سيأتي تخريجها.

على بعض الغيب، ولاهتمام السلف بها، كان لا بدَّ من البيان الذي يفرق به بين علم التعبير، وعلم الكهانة، هذا **أولاً**.

**ثانياً**: أن موضوع علم التعبير لم يعط حقَّه من الاهتمام الإيجابي لدى أهل السنة في هذا العصر.

**ثالثاً**: أن بعض المنتسبين إلى السنة مطَّرِح لهذا العلم بحجَّة أنه مصدرٌ عند الصوفية، وأن السلف لم يكن لديهم اهتمام بهذا العلم.

**رابعاً**: ما أثير ـ أخيراً ـ حول هذا العلم الشرعي وعلمائه من بعض الناس، واتهام المعبِّرين من أهل السنة بأنهم مخالفون لمنهج السلف، وأن تعبيراتهم من قبيل الكهانة.

**خامساً**: أن موضوع الخوارق من الأمور التي كان لديَّ اهتمامٌ بها، وقد كنت كتبت في بعض مسائله في المرحلة الجامعيَّة، ثم في مرحلة «العالميَّة» تطرقت إليه، وكان هناك بعض المسائل التي لم أستطع الوصول إلى نتيجة فيها، فلما تهيَّأت الفرصة في مادة «**فقه النَّوازل العقديَّة**» في السنة المنهجيَّة في مرحلة «العالميَّة العالية» عدت إليه من خلال الكتابة في موضوع «تعبير الرؤيا» والذي قسِّمَ إلى ثلاثة محاور:

- **المحور الأول**: **الرؤيا والرائي**.
- **المحور الثاني**: **التعبير والمعبِّر**.
- **المحور الثالث**: **المخالفون في هذا الباب**.

وقد كان نصيبي مسائل المحور الثاني، وقد أسميته: «**المدخل لعلم تعبير الرؤيا**»، ثم أصبح بعد ذلك جزءاً من رسالة «العالمية العالية».

على أنه ينبغي التفطن إلى أنَّ هذا البحث ليس في قضية جمع الرؤيا وتعبيرها؛ لأن أكثر الناس لا يعرف من علم التعبير إلا هذا، وإنما هذا البحث في علمٍ مستقلٍّ له أصوله وقواعده، وكتبه وعلماؤه، **هو علم التعبير**.

**وأمرٌ آخر**: وهو أنَّ غرض البحث تأصيل المسائل، وليس الكلام عن صورةٍ معيَّنة؛ لأن لكل مقامٍ مقال، والحادثات لها حكمٌ في كلِّ زمانٍ ومكان، فالفتوى في بعض مسائل التعبير تخضع لعوامل كثيرة، من حيث الزمان والمكان، والمتقرر في الأصول أنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان.

**وأمرٌ ثالث**: وهو تأصيل المسائل بأدلة صحيحة، وقد أُورد بعض الأدلة ـ التي لا ترقى إلى درجة القطع ـ للاستئناس بحيث لو لم تورد هذه الأدلة لما انتقضت المسألة المستدل لها.

وهنا أمرٌ ينبغي التفطن له أيضاً، وهو اشتباه بعض المسائل على كثيرٍ من الناس، حتى بعض أهل العلم المتخصصين في العلوم الشرعية، ولا يكون لديهم الفرقان فيها، وما ذاك إلا لعدم تحرير القول فيها، أو لعدم دراستها في هذا العصر ـ عصر المادة والعقلانية ـ ومن هذه المسائل:

- الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، فإن من لم يفرق بينهما فهو فاقد البصيرة والإيمان ـ والعياذ بالله ـ كما يقول ابن القيم[1].
- الفرقان بين الفأل الحسن، وبين الطيرة.
- الفرقان بين الفراسة الإيمانية، والظن.
- الفرقان بين الكشف الرحماني، والكشف الشيطاني.
- الفرقان بين الإلهام، والوسوسة.
- الفرقان بين الحال الإيماني، والحال الشيطاني.
- الفرقان بين وحي الرحمٰن، وسجع الكهان.

---

(١) انظر: الروح (٦٥٢).

وفي هذا البحث سيتضح الفرقان بين هذه المسائل إن شاء الله تعالى، وهو الموفق والمعين، وكفى به هادياً ونصيراً.

✍ **الباحث**
فجر يوم الأحد
١٤٢٣/٢/٢٩ هجرية

* ملاحظة: أدخلت بعض التعديلات والإضافات على أصل البحث.

# الفصل الأول

# علم تعبير الرؤيا

وفيه: تمهيد وتسعة مباحث:

التمهيد: وفيه:

أولاً: تحديث الناس بما يعرفون.

ثانياً: صعوبة الكتابة في علم التعبير.

المبحث الأول: تعريف التعبير.

المبحث الثاني: أصالة علم التعبير، وأهميته، وشرفه.

المبحث الثالث: أقسام التعبير.

المبحث الرابع: هل التعبير جزءٌ من النبوة؟.

المبحث الخامس: أصول علم التعبير.

المبحث السادس: طرق التعبير.

المبحث السابع: تجزؤ التعبير.

المبحث الثامن: العمل بالتعبير.

المبحث التاسع: كتب علم التعبير.

# التمهيد

## أولاً: تحديث الناس بما يعرفون:

يقول الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨]، فالله تعالى ذِكره كما له الخلق، فلا يشركه أحدٌ فيه، كذلك له الاختيار والاصطفاء والاجتباء، فلا يشركه أحدٌ في ذلك، فهو المتفرد بكليهما.

قال ابن القيم: «ليس هذا الاختيار إليهم، بل هو إلى الخالق وحده، فكما أنه المتفرد بالخلق، فهو المنفرد بالاختيار منه، فليس لأحدٍ أن يخلق، ولا أن يختار سواه، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، ومحال رضاه، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه، إلى أن قال:

وإذا تأملت أحوال هذا الخلق، رأيت هذا الاختيار والتخصيص فيه دالّاً على ربوبيته تعالى ووحدانيته، وكمال حكمته وعلمه وقدرته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، فلا شريك له يخلق كخلقه ويختار، ويدبر كتدبيره، فهذا الاختيار والتدبير، والتخصيص المشهور أثره في هذا العالم من أعظم آيات ربوبيته، وأكبر شواهد وحدانيته، وصفات كماله، وصدق رسله، فنشير إلى يسير يكون منبهاً على ما وراءه، دالّاً على ما سواه.

فخلق الله السمٰوات سبعاً، فاختار العليا منها، فجعلها مستقر المقرَّبين من ملائكته، واختصَّها بالقرب من كرسيِّه، ومن عرشه،

وأسكنها من شاء من خلقه، فلها مزية وفضل على سائر السمٰوات، ولو لم يكن إلا قربها منه تبارك وتعالى.

وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوي مادة السمٰوات من أبين الأدلة على كمال قدرته وحكمته، وأنه يخلق ما يشاء ويختار.

ومن هذا تفضيله سبحانه جنة الفردوس على سائر الجنان... ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل... وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام، وهم مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً، واختيار الرسل منهم، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، على ما في حديث أبي ذرٍّ الذي رواه أحمد، وابن حبان[١] في صحيحه[٢]، واختياره أولي العزم منهم، وهم خمسة المذكورون في سورة الأحزاب، والشورى.... واختار منهم الخليلين إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وآلهما وسلم.

ومن هذا اختياره سبحانه ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم، محمد ﷺ، وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين، واختار منهم السابقين الأولين، واختار منهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، واختار لهم من الدين أكمله، ومن الشرائع أفضلها، ومن الأخلاق أزكاها، وأطيبها، وأطهرها.

---

(١) محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم البستي، مؤرخ، علامة، محدث، رحالة، له: المسند الصحيح في الحديث، وروضة العقلاء، ومعرفة المجروحين من المحدثين، وغيرها، توفي عام (٣٥٤هـ). (الأعلام ٦/ ٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨)، وليس فيه عدد الأنبياء، ولا يصح، لكن صحَّ عدد الرسل عند الحاكم (٢/ ٢٦٢)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

واختار أمته على سائر الأمم. . . . وظهر أثر هذا الاختيار في أعمالهم، وأخلاقهم، وتوحيدهم، ومنازلهم في الجنة، ومقاماتهم في الموقف. . . . ومن تفضيل الله لأمته واختياره لها، أنه وهبها من العلم والحلم ما لم يهبه لأمة سواها، وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي الدرداء، قال: سمعتُ أبا القاسم يقول: «**إنَّ الله تَعَالى قَالَ لِعِيْسَى بن مَريَم: إنِّي بَاعِثٌ مِن بَعدِكَ أُمةً، إن أصَابَهُم مَا يُحبُّونَ، حَمَدُوا وَشَكَرُوا، وَإنْ أصَابَهُم مَا يَكرَهونَ، احتَسَبوا وَصَبَرُوا، وَلا حِلمَ وَلا عِلْمَ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيفَ هَذَا وَلا حِلمَ وَلا عِلمَ؟ قَالَ: أُعطِيهِمْ مِن حِلمِي وَعِلْمِي**»[١].

ومن هذا اختياره ﷻ من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد الحرام. . . ومن هذا تفضيله بعض الأيام والشهور على بعض، فخير الأيام عند الله يوم النحر. . . وكذلك تفضيل عشر ذي الحجة على غيره من الأيام. . . ومن ذلك تفضيل شهر رمضان. . . وتفضيل عشره الأخير. . . وتفضيل ليلة القدر على ألف شهر. . .»[٢].

وقال: «فذوات ما اختاره واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتمل على صفاتٍ وأمور قائمة بها ليست لغيرها، ولأجلها اصطفاها الله، وهو سبحانه الذي فضلها بتلك الصفات، وخصها بالاختيار، فهذا خلقه، وهذا اختياره، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٣]».

والمقصود من هذا النقل عن هذا الإمام أن الله ﷻ اختار من خلقه ما شاء، ومن ذلك اختياره بعض خلقه بالفهم والعلم، والغوص على

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٩٥)، ص(٢٠٤٥)؛ والحاكم (١/ ٤٩٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وتبعهما الأرناؤوط. انظر: زاد المعاد (١/ ٤٦).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٩ ـ ٥٦)، باختصار.

(٣) المصدر السابق (١/ ٥٣).

دقائق المسائل، واحتمال عقول بعض خلقه لتحمل هذه العلوم، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم»[١].

قال العلامة أبو الطيب: «أي: عاملوا كل أحدٍ بما يلائمه منصبه في الدين والعلم والشرف»[٢].

ولهذا جاء النهي عن تحديث الناس بما لا يعرفون ولا تفهمه عقولهم، لما في ذلك من فتنة على المتحدث والسامع.

يقول الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[٣].

وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له... في آخره: «ودعوا ما ينكرون»[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»[٥].

وعن هشام بن عروة[٦]: قال: قال لي أبي: «ما حدَّثت أحداً بشيءٍ

---

(١) أورده مسلم في المقدمة (١/١٦)، وأخرج نحوه أبو داود في الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم، حديث (٤٨٣٢)، ص(٢٠٩٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) عون المعبود (١٣/١٣١)، وأبو الطيب: هو محمد أشرف بن أمير بن علي، شرف الحق، علامة بالحديث، من الهند، له: التعليق المغني على الدارقطني، وعقود الجمان في تعليم المرأة، توفي بعد (١٣١٠هـ). (الأعلام ٦/٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، حديث (١٢٧)، ص(٥٠).

(٤) فتح الباري (١/٢٧٢).

(٥) أخرجه مسلم في المقدمة، رقم (١٤)، (١/٣٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، رقم (٨٨٨)، وصححه المحقق: أبي الأشبال الزهيري.

(٦) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ثقة فقيه، ربما دلَّس، مات سنة =

من العلم قط لم يبلغه عقله[١]، إلا كان ضلالاً عليه»[٢].

قال ابن هبيرة[٣] شارحاً لحديث علي رضي الله عنه، قال: «في هذا الحديث من الفقه أن العالِم ينبغي أن يربي الناس بالعلم تربية، ويغذيهم إياه تغذية، فيربيهم بصغار العلم قبل كباره، فيكون ربانياً كما جاء في الحديث الآخر، ويوضح ذلك أن الطفل لما كانت معدته لا تقوى على هضم الأطعمة الغليظة، يسَّرَ الله له رزقه من ثدي أمه مدة طويلة يتدرج فيها إلى تناول الأغذية الباقية على جهتها... فإذا قويت معدة الطفل غذي بالأغذية القوية، فكذلك ينبغي للعالم أن يرفق بالناس في التعليم، فلا يعرض عقولهم لسماع ما تنكره من قبل أن يتيقن قوة عقولهم لدفع الشبهة، وقَبول الحجة، والكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وإلا عرَّضهم للتكذيب، كما قال علي رضي الله عنه: أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[٤].اهـ.

وبوَّب البخاري في كتاب العلم من الصحيح، «باب: من خص بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية أن لا يفهموا».

وأورد فيه أثر علي رضي الله عنه السابق، وحديث معاذ رضي الله عنه، عندما كان رديف النبي على حمارٍ فقال له النبي ﷺ: **«مَا مِن أَحَدٍ يَشهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا الله،**

---

= (١٤٥هـ)، أو (١٤٦هـ)، وله سبعٌ وثمانون سنة. (تقريب التهذيب، رقم (٧٣٠٢)، ص(٥٧٣»).

(١) وفي نسخة: «علمه».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم، رقم (٨٨٩)، وصححه المحقق.

(٣) يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي، الشيباني، أبو المظفر، من كبار الوزراء في الدولة العباسية، عالم بالفقه والأدب، وله نظمٌ جيد، كان يقال: ما وزر لبني العباس مثله، ونعت بالوزير العالم العادل، له: الإفصاح عن معاني الصحاح، والإشراف على مذاهب الأشراف، واختلاف العلماء، وغيرها، توفي ببغداد، سنة (٥٦٠هـ). (الأعلام ٨/ ١٧٥؛ ومقدمة محقق الإفصاح عن معاني الصحاح، د. فؤاد عبد المنعم).

(٤) الإفصاح (١/ ٢٦٨).

**وَأَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ صِدقاً مِن قَلبِه إلا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّار**»، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا، قال: «**إذاً يَتَّكِلُوا**»[(١)]، وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً.

ولما لم تبلغ عقول المرجئة[(٢)] فهم هذا الحديث جعلوه حجة في إخراج العمل من الإيمان، مع أن الصحابة ﷺ لم يفهموا ذلك من الحديث لكمال فقههم، وكبر عقولهم.

وقال ابن مفلح[(٣)]: «فصل: مخاطبة الناس على قدر عقولهم، ثم قال: قال ابن عقيل[(٤)] في الفنون: حرامٌ على عالم قوي الجوهر، أدرك بجوهريته وصفاء نحيزته[(٥)] علماً أطاقه فحمله، أن يرشح به إلى ضعيفٍ لا يحمله، ولا يحتمله، فإنه يفسده، ولهذا قال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»[(٦)]». انتهى كلامه[(٧)].

---

(١) حديث (١٢٨)، ص(٥٠).

(٢) المرجئة: هي الأصل الثالث من أصول فرق هذه الأمة، وهم طوائف شتى، يجمعهم أصلٌ واحد وهو إخراج العمل من مسمى الإيمان. انظر: الملل والنحل (١/ ١٦١)، وكتاب: الشجرة، للبرهوتي (١٥٨)، وظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (١/ ٣١٩).

(٣) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله الصالحي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد، له: كتاب الفروع، في الفقه، والمقنع، وأصول الفقه وغيرها، توفي (٧٦٣هـ). (الأعلام ٧/ ١٠٧).

(٤) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، أبو الوفاء، عالم العراق، وشيخ الحنابلة في بغداد في وقته، له: كتاب الفنون، والواضح في الأصول، والرد على الأشاعرة، وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال، وغيرها، مات سنة (٥١٣هـ). (الأعلام ٤/ ٣١٣).

(٥) أي: طبيعته، انظر: المعجم الوسيط (٩٠٦).

(٦) أخرجه الديلمي والحسن بن سفيان في مسنده، وأبو الحسن التميمي في كتاب العقل، والضياء في المختارة، وغيرهم، انظر: كشف الخفا (١/ ٢٢٥).

(٧) الآداب الشرعية (٢/ ١٥٥).

وقال النسائي[١] في السنن الكبرى[٢] في العلم: «باب الاختصاص بالعلم قوماً دون قوم»، وأورد فيه حديث معاذ رضي الله عنه السابق.

وقال النووي في الأذكار[٣]: «باب نهي العالم وغيره أن يحدث الناس بما لا يفهمونه، أو يخاف عليهم من تحريف معناه ومحله على خلاف المراد منه».

قال ابن حجر: «وممن كره التحديث ببعضٍ دون بعض: أحمد، في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك[٤] في أحاديث الصفات، وأبو يوسف[٥] في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة... في الجِرابيَن[٦] وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن، أنه كره تحديث أنس للحجَّاج[٧] بقصة العرنيين[٨]؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي»[٩]. اهـ.

---

(١) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان، أبو عبد الرحمٰن النسائي، الحافظ صاحب السنن، مات سنة ثلاثٍ وثلاثمائة، وله ثمانٌ وثمانون سنة. (تقريب التقريب (٤٧)، ص٨٠).

(٢) (٥/ ٣٧٨). (٣) (٢/ ٣٨٣).

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقنين، وكبير المتثبتين، مات سنة (١٧٩هـ). (تقريب التهذيب (٦٤٢٥)، ص٥١٦).

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيهاً علامة، من حفاظ الحديث، له كتاب: الخراج، والآثار، والفرائض، وغيرها، مات سنة (١٨٢هـ). (الأعلام ٨/ ١٩٣).

(٦) أخرج البخاري في العلم، باب: حفظ العلم، حديث (١٢٠) ص(٤٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقُطع هذا البلعوم».

(٧) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولي العراق، ومات سنة (٩٥هـ). (الأعلام ٢/ ١٦٨).

(٨) أخرجها البخاري في الوضوء، باب: أبوال الإبل (٢٣٣)، ص(٦٧).

(٩) فتح الباري (١/ ٢٧٢).

وجاء رجلٌ إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، فقال: «وما يؤمنك أني لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت؟ وكفرك تكذيبك بها»[(١)].

فهذا حبر الأمة العالم الرباني رضي الله عنه وعن أبيه، احتمل عقله دقائق المسائل والعلوم، أرشد هذا الرجل إلى ما فيه نجاته؛ لأنه رأى أن عقله لا يحتمل مثل هذه المسألة.

وسئل ابن تيمية عن قائلٍ يقول: إن لم يتبين لي حقيقة ماهية الجن وكنه صفاتهم، وإلا فلا أتبع العلماء في شيءٍ.

فأجاب: «أما كونه لم يتبين له كيفية الجن وماهيتهم، فهذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه، لم ينكر وجودهم، إذ وجودهم ثابت بطرقٍ كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من رآهم، وفيهم من رأى من رآهم، وثبت ذلك عنده بالخبر واليقين، ومن الناس من كلَّمهم وكلَّموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم، ويتصرف فيهم، وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب، وكذلك ما جرى لغيرنا، **لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به**»[(٢)].

ولنضرب لذلك أمثلة واقعية تاريخية:

فمن ذلك عدم تحمل عقول الخوارج[(٣)] لنصوص الوعد، والتوفيق

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٩). (٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣٢).

(٣) أول أصول الفرق، وصح فيهم الحديث من عشرة أوجه، أخرجها مسلم في الصحيح، وهم فرق عديدة، لم يبق منهم إلا الإباضية، في عمان شرق جزيرة =

بينها وبين نصوص الوعيد، وقابلهم بعض المرجئة في ذلك.

ومن ذلك عدم فهم مسائل القدر عند الجبرية والقدرية.

وعدم فهم مسائل ما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم، عند الرافضة، والخوارج، والنواصب[١].

ومن ذلك نصوص الصفات، وعدم فهم مسائلها عند المجسمة[٢]، والمعطلة، كذلك النصوص التي تأمر بالتوكل، والنصوص التي تحث على الأخذ بالأسباب، بين كلٍّ من الصوفية ومقدِّسي العقل.

كذلك ما حدث في أوروبا من الصراع بين الكنيسة والعلم.

فرجال الكنيسة حرَّفوا حقائق الوحي الإلهي بكلام البشر، وفرضوا الوصاية الطاغية على ما ليس داخلاً في دائرة اختصاصهم، ولهذا تسربت الخرافات الوثنية، والمعلومات البشرية إلى تعاليم المسيحية، ومن ثم عُدت عقائد إلٰهية لا يجوز مخالفتها، ومن خرج عليها يصبح كافراً بالوحي والدين.

وبناءً على ذلك حاربت العلماء الذين بحثوا في مجال الفلك وغيره؛ لأنهم اكتشفوا قوانين ونظريات تخالف ما عندهم، فلم يستطع عقل الكنيسة تحمل دقائق هذه المسائل واستيعابها.

وفي الطرف الآخر تجاوز الحد هؤلاء العلماء، وأنكروا الدين لما

---

= العرب، ومشيخات طائفية في الصحراء الكبرى بأفريقيا. انظر: الملل والنحل (١/ ١٣١)؛ وكتاب: الشجرة (١٢٢)؛ والخوارج: تاريخهم وآرائهم الاعتقادية للدكتور غالب عواجي.

(١) هم من يبغضون علياً، رضوان الله عليه، وأهل بيته، ويلعنونهم. انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم (٣/ ١٢٠٣).

(٢) هم الذين يصفون الله تعالى بأنه جسم. انظر: مقالة التشبيه، وموقف أهل السنة منها (٢/ ٢٢٨).

يرون في دين الكنيسة من الخرافة والسذاجة، ولم تستطع عقولهم حتى استيعاب ما هو صحيح من أمر الغيب، فأنكروا الغيب بل الدين كله.

يقول «دولباخ»: «إن عقيدة الله المأثورة نسيجٌ من المتناقضات، إن فكرة الله هي الضلالة المشتركة للنوع الإنساني»(١)، قبَّحه الله.

المقصود أن العلم مثل الأرض، فيها السهل والصعب، والدقيق والجليل، والبعيد والقريب، والواضح والغامض، فالناس يتفاوتون، فمنهم من يرقى الصعب، ومنهم من يبقى في السهل، ومنهم من يطول الجليل، ويتعدى الدقيق، وكذلك في العلم، منهم من منتهى علمه جليل العلم، ودقائق مسائله، ومنهم من منتهى علمه جمال الخط، وآخر علم الهندسة، وآخر علم البناء، ومنهم من منتهى علمه قول الشعر، وآخر علم الآثار، وآخر جمع الرجال والنساء، وتعليمهم المسرح والتمثيل، وآخر منتهى علمه تتبع زلات العلماء، وآخر الجدل، وآخر علم السحر، وآخر الموسيقا، وآخر النجارة، وآخر الحدادة، ومنهم من منتهى علمه تعبير المنام، وآخر علم الأنواء، وهكذا، فسبحان من اختار قوماً وأدناهم، وأذلَّ آخرين وأقصاهم، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

ولهذا لما لم تستوعب عقول بعض العلماء مسألة حوادث لا أول لها، اتهموا ابن تيمية، وشنَّعوا عليه، بل كفَّره بعضهم.

فينبغي لطالب العلم الذي يريد ما عند الله تعالى ألَّا يجرمنَّه شنآن قومٍ على ألا يعدل، إن كان لديه تقوى، وتجرد من الهوى، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

---

(١) انظر: العلمانية (١٤٥ ـ ١٦٤).

والمقصود من كل ما سبق أن علم تعبير الرؤى من جملة العلوم الدقيقة، التي لا تتحملها بعض العقول، ولا تستوعب دقائق مسائلها، وقد اختص الله تعالى بعض خلقه بهذا العلم، لحكمة يريدها، وغاية يعلمها، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وهذا العلم من جملة العلوم التي لم ينازع فيها الصحابة رضوان الله عليهم، بل تعلموا ففهموا ما ورد من نصوص، كما فهموا النصوص الأخرى في بقية العلوم.

يقول القرافي: «اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته، وتشعبت تخصيصاته، وتنوعت تعريفاته بحيث صار الإنسان لا يقدر أن يعتمد فيه على مجرد المنقولات لكثرة التخصيصات بأحوال الرائين بخلاف تفسير القرآن العظيم، والتحدث في الفقه والكتاب والسنة وغير ذلك من العلوم، فإن ضوابطها إما محصورة أو قريبة من الحصر.

وعلم المنامات منتشرٌ انتشاراً شديداً لا يدخل تحت ضبط، فلا جَرَمَ احتاج الناظر فيه مع ضوابطه وقرائنه إلى قوة من قوى النفوس المعينة على الفراسة والاطلاع على المغيبات، بحيث إذا توجه الحرز إلى شيءٍ لا يكاد يخطئ بسبب ما يخلقه الله تعالى في تلك النفوس من القوة المعينة على تقريب الغيب، أو تحققه كما قيل في ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه كان ينظر إلى الغيب من وراء سترٍ رقيق»(١)، إشارة إلى قوة أودعه الله إياها، فرأى بما أودعه الله تعالى في نفسه من الصفاء والشفوف والرقة واللطافة، فمن الناس من هو كذلك، فقد يكون ذلك عاماً في جميع الأنواع، وقد يهبه الله تعالى ذلك باعتبار المنامات فقط»(٢).

---

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة (٥٥٩) (٢/٤١٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه لينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، لعقلة وفطنته بالأمور»، قال المحقق: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٢) الفروق (٤/٢٤٩).

ويقول ابن تيمية: «وأما الرؤيا وتأويلها فبابٌ لا ينضبط له حدٌّ، وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجهٍ بعيد، لا يهتدي له إلا حذَّاق المعبِّرين»(١).

ولدقة هذا العلم وخفيِّ مدركه، اتهم من برع فيه بأن له رئياً من الجن، وليس كذلك(٢).

قال القرافي: «وقد رأيت ممن له قوة نفس مع هذه القواعد، فكان يتحدث بالعجائب والغرائب في المنام اللطيف، ويخرج منه الأشياء الكثيرة، والأحوال المتباينة، ويخبر فيه عن الماضيات، والحاضرات، والمستقبلات، وينتهي في المنام اليسير إلى نحو المائة من الأحكام بالعجائب والغرائب، حتى يقول من لا يعلم بأحوال قوى النفوس: إن هذا من الجان أو المكاشفة، أو غير ذلك، وليس كما قال، بل هو قوة نفسٍ يجد بسببها تلك الأحوال عند توجهه للمنام، وليس هو صلاح ولا كشفٌ ولا من قبل الجان، وقد رأيت أنا من هذا النوع جماعة واختبرتهم، فمن لم تحصل له قوة نفسٍ عسر عليه تعاطي علم التعبير، ولا ينبغي لك أن تطمع في أن يحصل لك بالتعلم والقراءة وحفظ الكتب، إذا لم تكن لك قوة نفس، فلا تجد ذلك أبداً، ومتى كانت لك هذه القوة حصل ذلك بأيسر سعي، وأدنى ضبط، فاعلم هذه الدقيقة فقد خفيت على كثيرٍ من الناس»(٣).

ويقول ابن القيم: «ويكفي الاعتبار بفرعٍ واحدٍ من فروعه(٤) وهو عبارة الرؤيا، فإن العبد إذا أنفذ فيها، وكمل اطّلاعه جاء بالعجائب، وقد

---

(١) السبعينية (٣٢٠).

(٢) انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ٣٢)، والبدر المنير في علم التعبير (١٤).

(٣) الفروق (٤/ ٢٥٠).

(٤) يقصد علم الغيب.

شاهدنا نحن وغيرنا من ذلك أموراً عجيبة، يحكم فيها المعبر بأحكامٍ متلازمة صادقة سريعة وبطيئة، ويقول سامعها: هذه علم غيب، وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره، بأسبابٍ انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره، والشارع صلوات الله عليه حرم من تعاطي ذلك ما مضرته راجحة على منفعته أو ما لا منفعة فيه، أو ما يخشى على صاحبه أن يجره إلى الشرك، وحرم بذل المال في ذلك، وحرم أخذه به صيانة للأمة عما يفسد عليها الإيمان أو يخدشه بخلاف علم عبارة الرؤيا، فإنه حقٌّ لا باطل؛ لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزءٌ من أجزاء النبوة، ولهذا كلما كان الرائي أصدق، كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المعبر أصدق، وأبر، وأعلم، كان تعبيره أصح بخلاف الكاهن والمنجم»[١].

وبعد هذا لم يبق حجة لمن يطعن في هذا العلم النبوي الإيماني، أو ينكر على عالم التعبير، إخباره عن أمورٍ غائبة، وتحديده لبعضها من خلال تفسير الرؤيا، التي تحتوي إشاراتها على هذه الأمور، فهو يخبرهم عنها؛ لوجود قرائن وعلامات تدل عليها.

وأيضاً هذا العلم منقول بالتواتر لا ينكره إلا جاهلٌ به، وبمسائله وبعلمائه، وبالكتب المصنفة فيه.

فالبعض يعترض على علم التعبير بحجة اشتباهه بالكهانة، وعند التأمل وجد أن هناك أسباباً لموقف هؤلاء منها:

**أولاً**: الظاهرية في فهم النصوص، أو عدم الاطلاع عليها أصلاً؛ بل أكثر من يعترض لم يقرأ كتاب التعبير، مع شرحه من صحيح البخاري، فضلاً عن غيره.

---

(١) زاد المعاد (٥/ ٧٨٩).

**ثانياً**: طغيان العقلانية[١] أثناء المناقشة، وهذا نتيجة لسابقه، فلعدم وجود النص لجأ إلى العقل ويجادل بما لم يُحط بعلمه، ويُخشى على هؤلاء من قول النبي ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَومٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الجَدَلَ**»[٢].

**وعلاج الأول**: بالرجوع إلى ما قرره العلماء في أصول الفقه، من أصول الاستنباط، وفهم الأدلة، واستخراج الأحكام منها[٣].

**وعلاج الثاني**: بالاطلاع على مصادر أهل السنة والجماعة، وكيفية الاستدلال من هذه المصادر، وهما متلازمان[٤].

**ثالثاً**: أن بعض هؤلاء فُسِّرت لهم رؤيا على المكروه، فاتخذوا موقفاً من المعبرين، وأخذوا يرمونهم بالتهم، ونسي هؤلاء أن هذه نعمة من الله عليهم ليقلع من كان على بدعة، أو انحراف، فإن هذه بشرى له، ونذارة قبل حضور الأجل، وفي الحديث الصحيح: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُقَالَ لِلْعَبْدِ: اتَّقِ اللهَ، فَيَقُولُ: عَلَيكَ نَفْسَكَ**»[٥]، ومن نظر في سير العلماء وجد أن منهم من كان على بدعة، وبسبب رؤيا رجع إلى السنة[٦].

ويقال لهؤلاء الفضلاء ما قاله ابن تيمية رحمه الله: «فإن المنقول عن

---

(١) انظر: المسألة الثامنة: رمي المعبِّرين بالكهانة.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة الزخرف، حديث (٣٤٧٠)؛ (٩/ ٩٣)؛ وأحمد (٥/ ٢٥٢)، والحاكم (٤/ ٤٤٧)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للدكتور محمد حسين الجيزاني.

(٤) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، للدكتور: عثمان بن علي بن حسن.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٢٢) (٩/ ٣١٤) عن ابن مسعود موقوفاً، وعنه مرفوعاً نحوه (١٠٦١٩) وهذا عند ابن منده في التوحيد (٧٠١)، والبيهقي في الشعب (٦٣٠) (١/ ٣٧٦). وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٩٨).

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

الأنبياء بالتواتر من المعجزات وغيرها، يقول أحد هؤلاء.... هذا لم يتواتر عندي، فلا يقوم به الحجة عليَّ، فيقال له: اسمع كما سمع غيرك، وحينئذٍ يحصل لك العلم، وإنما هذا كقول من يقول: رؤية الهلال أو غيره لا تحصل إلا بالحس، وأنا لم أره، فيقال له: انظر إليه كما نظر غيرك، فتراه إذا كنت لم تصدق المخبرين.

وكمن يقول: العلم بالنبوة لا يحصل إلا بعد النظر، وأنا لا أنظر، أو لا أعلم وجوب النظر حتى أنظر.

ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعاً من قيام حجة الله تعالى عليهم، وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء وقراءة الآثار المأثورة عنهم لا يمنع الحجة إذ المُكْنة حاصلة.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: ومن هذا الباب إنكار كثيرٍ من أهل البدع والكلام والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث من الآثار النبوية والسلفية المعلومة عندهم، بل المتواترة عندهم عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فإن هؤلاء يقولون: هذه غير معلومة لنا، كما يقول من يقول من الكفار أن معجزات الأنبياء غير معلومة لهم، وهذا لكونهم لم يطلبوا السبب الموجب للعلم بذلك، وإلا فلو سمعوا ما سمع أولئك لحصل لهم من العلم ما حصل لأولئك.

وعدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، فهم إذا لم يعلموا ذلك لم يكن هذا علماً منهم بعدم ذلك، ولا بعدم علم غيرهم، بل هم كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]، وتكذيب من كذَّب بالجنِّ هو من هذا الباب، وإلا فليس عند المتطبب والمتفلسف دليلٌ عقليٌّ بنفي

وجودهم، لكن غايته أن ليس في صناعته ما يدل على وجودهم، وهذا إنما يفيد عدم العلم لا العلم بالعدم، وقد اعترف بهذا حذَّاق الأطباء والفلاسفة كأبقراط[١] وغيره»[٢].

وقال ابن القيم: «إنَّ أحكام الطبيعة والنفس شيءٌ، وأحكام القلب شيءٌ، وأحكام الروح شيءٌ، وأنوار العبادات شيءٌ، وأنوار استيلاء معاني الصفات والأسماء على القلب شيءٌ، وأنوار الذات المقدسة شيءٌ وراء ذلك كله.

فهذا بابٌ يغلط فيه رجلان:

**أحدهما**: غليظ الحجاب، كثيف الطبع.

**والآخر**: قليل العلم، يلتبس عليه ما في الذهن بما في الخارج، ونور المعاملات بنور ربّ الأرض والسماوات، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]»[٣].

وقال ابن تيمية: «إن المنقول عن الرسول شيئان: ألفاظه وأفعاله، ومعاني ألفاظه ومقاصده بأفعاله، وكلاهما منه ما هو متواتر عند العامة والخاصة، ومنه ما هو متواتر عند الخاصة، ومنه ما يختصُّ بعلمه بعض الناس، وإن كان عند غيره مجهولاً أو مظنوناً أو مكذوباً، وأهل العلم بأقواله كأهل العلم بالحديث والتفسير المنقول، والمغازي والفقه يتواتر عندهم من ذلك ما لا يتواتر عند غيرهم ممن لم يشركهم في علمهم، وكذلك أهل الإيمان بمعانى القرآن والحديث والفقه في ذلك يتواتر عندهم

(١) أبقراط (٤٦٠ ـ ٣٧٧ق، م)، طبيب يوناني، يعدُّ أبا الطب، عمل على تحرير الطب من الخرافات، وحاول إقامته على أساس علمي. انظر: طبقات الأطباء، ص(٤٣)؛ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ص(٤٤).

(٢) الرد على المنطقيين (٩٨ ـ ١٠٠).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٤٠).

من ذلك ما لا يتواتر عند غيرهم من معاني الأقوال والأفعال المأخوذة عن الرسول ﷺ، كما يتواتر عند النحاة... ما لا يعلمه غيرهم، ويتواتر عند الأطباء... ما لا يتواتر عند غيرهم... ويتواتر عند أتباع رؤوس أهل الكلام[١] والفلسفة[٢] من أقوالهم ما لا يعلمه غيرهم، ويتواتر عند أهل العلم بنقل الحديث... في الجرح والتعديل ما لا يعلمه غيرهم»[٣].

ويقول: «وكذلك كثيرٌ من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحدٍ بغير الطريق التي يعرفها، حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غير حجة على ذلك، وكذلك الأمور الكشفية التي للأولياء من أهل الكلام من ينكرها، ومن أصحابنا من يغلو فيها، وخيار الأمور أوساطها.

فالطريق العقلية، والنقلية، والكشفية، والنظرية، طريقة أهل الحديث، وأهل الكلام، وأهل التصوف، قد تجاذبها الناس نفياً وإثباتاً، فمن الناس من ينكر منها ما لا يعرفه، فيرفعه فوق قدره، وينفي ما سواه»[٤].

---

(١) يعرِّفه المتكلمون بأنه: علمٌ يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشبه.اهـ. ويقصدون بالحجج: الأدلة العقلية، لكن آل الأمر بهم إلى أن أصبح هذا العلم لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات، كما يقول التفتازاني في شرح العقائد النسفية (٣٣). انظر: منهج السلف المتكلمين في موافقة العقل للنقل (٤٧/١)، وقارن: بالمدخل إلى دراسة علم الكلام (١٣ ـ ٣٣).

(٢) أصلها كلمة يونانية مركبة من كلمتين: (فيلو ـ سوفيا) أي: محب الحكمة، وقد اختلف في تحديدها، وتطور مفهومها في الشكل والمحتوى معاً، وخلاصة القول فيها، أنها تنحصر في الإجابة عن: ما هو الشيء في ذاته، وما هو العلم، وما هي الأعمال الإنسانية؟. انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها (٦٠ ـ ٦٤).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٩٦/١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٣٨/١١). وانظر: مجموع الفتاوى (٢٩/٤ ـ ٤٥، ٢٥٢/٥ ـ ٢٥٥)؛ والصارم المنكي (٢٢٨).

## ثانياً: صعوبة هذا الموضوع:

ترجع صعوبة الكتابة في موضوع علم التعبير لأسبابٍ كثيرةٍ، منها:

١ ـ أنَّ المسائل التي طرقت في هذا البحث منثورة في كتب أهل العلم، حيث لم أجد من اعتنى بجمعها في مكانٍ واحد، بل كانت المؤلفات في هذا العلم حتى الرسائل الجامعيَّة التي سجِّلت فيه، إمَّا حول الرؤيا والرائي، أو حول المخالفين في هذا الموضوع، أو حول كتب هذا العلم وطبقات أهله، فمسائل طرق التعبير، والأصول الستة الآتي ذكرها، وتقسيم التعبير، وهل هو جزءٌ من النبوة أو لا؟، والمسائل العشر المذكورة في الفصل الثاني وغيرها لم أجد من بحثها، واستقصى جزئياتها، وطبيعة هذا البحث أنه في فقه النوازل العقدية، ولهذا كانت الكتابة فيه على هذا النحو.

٢ ـ أنَّ هذا الموضوع مرتبطٌ بمسائل كثيرة، عقدية وغيرها، منها: عالم الملائكة، وعالم الروح، وعالم البرزخ والموت، والنوم، والفراسة، والإلهام، وقوى النفوس، والكرامات، وعالم الجن والإنس، وعالم السحر والكهانة، وغيرها؛ وهذه مسائل قد تقصر بعض العقول عن استيعاب بعض جزئيات مسائلها، ولهذا ظن بعض الناس حتى بعض العلماء أنَّ معبِّر الرؤيا قد يكون له رئيٌّ من الجن وليس كذلك كما سيأتي.

٣ ـ أنَّ بعض مسائل هذا العلم مرتبطة بمصلحة الكتمان، وسد الذرائع، ولهذا لم ينقل لنا الكثير من الرؤى التي يعبرها العلماء على مرِّ العصور، وتفصيل ذلك في المسألة العاشرة من الفصل الثاني.

٤ ـ أنَّ بعض مسائله من محارات العقول كما في طرق التعبير، وفي مسألة: هل يمكن أن يُتعلَّم هذا العلم؟

٥ ـ أنَّ أكثر كتب هذا العلم مخطوطة إلى الآن.

٦ ـ أنَّ علم التعبير ينقسم إلى قسمين: منَّةٌ من الله وفضل، وطلب من العبد وكسب، ولهذا يشتبه على بعض العلماء هذا بهذا، ونتيجة لذلك يحصل الخطأ في الحكم، فبعضهم يرى أنه يُتَعلَّم، والبعض الآخر ينفي ذلك، وهكذا، والصحيح التفصيل كما سيأتي.

٧ ـ أنَّ أغلب طلبة العلم منصرفٌ عن هذا العلم ومسائله، ولهذا وجدت صعوبةً في المناقشة مع بعضهم، وكأني أتيت بشيءٍ جديد لم يتكلم فيه العلماء، وليس له دليلٌ في كتابٍ ولا سنَّة، ووجدت من أسباب ذلك، وقد سبقت، الظاهرية في فهم النصوص، بل عدم الاطلاع عليها وتأثر الإنسان بما حوله، فنظراً لعدم الكلام في هذه المسائل في هذا العصر، أصبح من يتكلم فيها كأنه ابتدع ما لم يكن عليه السلف، أيضاً طغيان الجانب العقلي على بعض طلبة العلم، فلفقدان الأدلَّة والنُّصوص الشَّرعيَّة يلجأ إلى ما عنده من مقدرة على الجدل، وفي الترمذي وغيره بسند حسن قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا ضَلَّ قَومٌ بَعدَ هُدًى كَانُوا عَليه إِلَّا أُوتُوا الجَدَل**» وقد تقدم.

والبعض منهم يلجأ إلى جمع بعض المسائل دون تحقيق، ويوردها كشبه لا تسمن ولا تغني من جوع، وابن تيمية ذكر أنه يفسد العالم نصف طبيب، ونصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف متفلسف، وهكذا.

فإذا ما ناقشت مثل هذا تجد أنَّه لم يستوعب ما يقول فضلاً أن يستوعب ما عندك.

# المبحث الأول

## تعريف التعبير

قال ابن فارس: «عبر، (العين والباء والراء) أصلٌ صحيح واحدٌ يدل على النفوذ والمضي في الشيء، يقال: عبرت النهر عُبوراً، وعِبْر النهر: شطه، والمعْبَرُ: شطٌّ هُيِّئَ للعبور.

ومن الباب: عَبَرَ الرؤيا يعبُرها عبْراً، وعِبارة، ويعبِّر تعبيراً، إذا فسَّرها، ووجه القياس في هذا عبور النهر؛ لأنه يصير من عِبْرٍ إلى عِبْر، كذلك مفسِّر الرؤيا يأخذ بها من وجهٍ إلى وجه، كأن يُسأل عن الماء، فيقول: حياة، ألا تراه قد عبر في هذا من شيءٍ إلى شيءٍ»[١].

و«عبَر الرؤيا يعبُرُها عَبْراً ـ بالفتح، وعِبارة بالكسر ـ، وعبَّرها تعبيراً، فسَّرها، وأخبر بآخِر ما يؤول إليه أمرها.

**والعابر**: الذي ينظر في الكتاب فيعبره؛ أي يعتبر بعضه ببعض، حتى يقع فهمه عليه، ولذلك قيل: عَبَر الرؤيا، واعتبر فلانٌ كذا، وقيل: أخذ هذا كله من العِبر، وهو جانب النهر، وهما عِبْران؛ لأن عابر الرؤيا يتأمل ناحيتي الرؤيا، فيتفكر في أطرافها، ويتدبر كل شيءٍ منها، ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى»[٢].

قال ابن حجر: «التعبير خاصٌّ بتفسير الرؤيا، وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها، وقيل: النظر في الشيء، فيعتبر بعضه ببعض، حتى

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٧).

(٢) تاج العروس (٧/ ١٧٦).

يحصل على فهمه، حكاه الأزهري[(١)]، وبالأول جزم الراغب»[(٢)].

وقال ابن القيم: «الرؤيا أمثالٌ مضروبة يضربها المَلَك[(٣)] الذي قد وكَّله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل، على نظيره ويعبر منه إلى شبهه، ولهذا سمِّيَ تأويلها: تعبيراً، وهو تفعيلٌ من العبور، ولولا أن حكم الشيء حكم مثله، وحكم النظير حكم نظيره لبطل هذا التعبير والاعتبار، ولما وجد إليه سبيل»[(٤)].

وقال الألوسي في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]: «أي تعلمون عبارة جنس الرؤيا، علماً مستقراً، وهي الانتقال من الصورة المشاهدة في المنام إلى ما هي صورة ومثال لها من الأمور الآفاقية والأنفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة، تقول: عبرت النهر إذا قطعته، وجاوزته، ونحوه أولتها: أي ذكرت ما تؤول إليه، وعبَرتُ الرؤيا ـ بالتخفيف ـ عبارة، أقوى عند أهل اللغة من عبَّرت بالتشديد، تعبيراً، حتى إنَّ بعضهم أنكر التشديد، ويرد عليه ما أنشد المبرد[(٥)] في الكامل لبعض الأعراب:

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، أحد أئمة اللغة، له: تهذيب اللغة، وتفسير القرآن، توفي عام (٣٧٠هـ). (الأعلام ٥/ ٣١١).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٦٩).

(٣) لم أجد نصاً في ذلك ـ وقد ذكر نصر بن يعقوب في كتابه، القادري في التعبير (١/ ٩١)، عن دانيال أن اسم ملك الرؤيا: صديقون ـ مع أن كثيراً من العلماء ذكر هذا، منهم ابن العربي، والبغوي، والكرماني، وغيرهم، وذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٣١) أنَّ ما يحصل في النفس من علم وإدراكٍ وحركة عامة ذلك من الملائكة، وانظر: فتح الباري (١٢/ ٣٧٠)، والبدر المنير (١٣٢)، وحاشية تعبير الرؤيا لابن قتيبة (٣٩٧ ـ ٤٠٠).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٢).

(٥) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، إمام العربية في بغداد في زمنه، له: شرح لامية العرب، والمقتضب، وإعراب القرآن، وغيرها، مات سنة (٢٦٨هـ). (الأعلام ٧/ ١٤٤).

رأيـت رؤيـا ثـمَّ عـبَّـرتـهـا وكـنـت لـلأحـلام عـبَّـارا»[١]

«والتعبير مختصٌّ بتفسير الأحلام والرؤيا . . . والتعبير أخصُّ من التأويل، وأخصُّ من التفسير»[٢].

وقال القرطبي: «ومنها ما يظهر معناه أولاً فأول، ومنها ما لا يظهر إلا بعد التفكر»[٣].

نخلص من كلام العلماء في تعريف التعبير إلى أنه ينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول**: منَّةٌ وفضلٌ يعطيه الله لمن يشاء من عباده، ويؤخذ هذا من العبور من ظاهر الرؤيا إلى باطنها، والإخبار بما تؤول إليه، فإنه لم يذكر هنا؛ أي تأمل في قرائن الأحوال، أو الاعتماد على أصول علم التعبير، وهذا القسم له طرقٌ منها: الإلهام، والفراسة، وبواسطة الملَك، وبواسطة الروح، وتفصيل ذلك في طرق التعبير.

**القسم الثاني**: طلب وكسب، فيه إعمال النظر، والفكر، والقياس، والتأمل في أجزاء الرؤيا، وسيأتي زيادة بيانٍ لهذا في مبحث: أقسام التعبير، وطرق التعبير.

قال الرازي[٤]: «السؤال التاسع: ما حقيقة علم التعبير؟

الجواب: القرآن والبرهان يدلان على صحته، أما القرآن فهو هذه الآية، وأما البرهان فهو أنه قد ثبت أنه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة

---

(١) روح المعاني (١٢/ ٢٥٠). (٢) عمدة الحفاظ (٣/ ٢٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٨٤).

(٤) محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، القرشي، أبو عبد الله، الإمام المفسِّر، له: المطالب العالية، والفراسة، والأربعون في أصول الدين، وغيرها، مات سنة (٦٠٦هـ). (الأعلام ٦/ ٣١٣).

بحيث يمكنها الصعود إلى عالم الأفلاك، ومطالعة اللوح المحفوظ، والمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبير البدن، وفي وقت النوم يقلُّ هذا التشاغل، فتقوى على هذه المطالعة، فإذا وقعت الروح على حالة من الأحوال تركت آثاراً مخصوصة مناسبة لذلك الإدراك الروحاني إلى عالم الخيال، فالمعبر يستدل بتلك الآثار الخيالية على تلك الإدراكات العقلية»[١].

في هذا الكلام أمورٌ:

**الأول**: أنه لم يرد نصٌّ على أن الروح تطَّلع على ما في اللوح المحفوظ، وإنما ورد آثار أنها تصعد وتجول في ملكوت السموات، وفي بعضها: أنها تسجد تحت العرش[٢].

**الثاني**: أنه اقتصر في حقيقة التعبير على ما يتعلق بالروح فقط، وليس كذلك، فطرق التعبير كثيرة منها الإلهام، والفراسة، وبواسطة الملك، وبواسطة الروح، وغير ذلك على ما سيأتي تفصيله في طرق التعبير.

قال ابن القيم: «وهذا موضع اضطرب فيه الناس، فمن قائل: إنَّ العلوم كلها كامنة في النفس، وإنما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها، فإذا تجردت بالنوم، رأت منها بحسب استعدادها، ولما كان تجردها بالموت أكمل، كانت علومها ومعارفها هناك أكمل.

قال: وهذا فيه حقٌّ وباطل، فلا يُردُّ كله، ولا يقبل كله، فإنَّ تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد، لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله، وعلى

(١) مفاتيح الغيب (١٨/١٣٨).
(٢) انظرها في: شرح حديث النزول (٢٩٣ ـ ٣٠١).

تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية، والأمم الخالية، وتفاصيل المعاد، وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي، ولكن تجرد النفس عونٌ لها على معرفة ذلك، وتلقيه من معدنه، أسهل وأقرب مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية.

ومن قائل: إن هذه المرائي علومٌ علَّقها الله في النفس ابتداءً بلا سبب، وهذا قول منكري الأسباب، والحكم، والقوى، وهو قولٌ مخالفٌ للشرع، والفطرة.

ومن قائل عن الرؤيا: أمثالٌ مضروبة يضربها الله للعبد، بحسب استعداده وألفه، على يد ملك الرؤيا، فمرة يكون مثلاً مضروباً، ومرة يكون نفس ما رآه الرائي، فيطابق الواقع، مطابقة العلم لمعلومه، وهذا أقرب من القولين قبله.

ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه، بل لها أسباب أخر... من ملاقاة الأرواح، وإخبار بعضها بعضاً، ومن إلقاء الملك الذي في القلب والرُّوع، ومن رؤية الروح للأشباح مكافحة بلا واسطة»[١].

**الخلاصة:**

أنَّ الرؤيا لها طرقٌ متعددة، وروافد متنوعة، وهذه الرؤيا لا فائدة فيها إذا لم تعبَّر وتفسَّر، لهذا كان العلم المتعلق بها له ما لها من طرق وروافد، وسيأتي تفصيل ذلك، وبالله التوفيق.

(١) الروح (١٨٩). وانظر: فتح الباري (١٢/٣٦٩).

## المبحث الثاني

# أصالة علم التعبير وأهميته وشرفه

علم التعبير، علمٌ أصيلٌ شريف، يدلُّ على ذلك ما قصَّه الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، قال مجاهد: «عبارة الرؤيا»[١].

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، قال ابن جرير: «هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا، مما علَّمني ربي فعلمته»[٢].

وقال تعالى عنه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]، قال مجاهد: «العبارة»، وقال ابن جرير: «يعني من عبارة الرؤيا»[٣].

كذلك ما ورد عن نبينا محمد ﷺ من ذلك، فإنه كثيراً ما يقول لأصحابه: «**مَنْ رَأَى مِنْكُم رُؤْيَا**»[٤].

وقد حَفِلت كتب السنة بالشيء الكثير من رؤياه، وتعبيره عليه الصلاة والسلام، وسيرد في تضاعيف هذا البحث شيءٌ من ذلك.

وقد جعل المؤلفون في كتب التعبير أول طبقة من طبقات المعبِّرين، هم الأنبياء عليهم السلام، وذكروا منهم: إبراهيم، ويعقوب، ويوسف،

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ١٥١).
(٢) المرجع السابق (٧/ ٢١٥).
(٣) المرجع السابق (٧/ ٣٠٨، ٣٠٩).
(٤) انظر: البخاري، كتاب التعبير، رقم (٧٠٤٧).

ومحمد صلَّى الله عليهم أجمعين[١].

**ومما يدل على شرف هذا العلم أيضاً**: ما ورد عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، من الاهتمام بهذا العلم، فكان منهم المعبِّرون: الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن سلام، وأبو ذر الغفاري، وأنس بن مالك، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعائشة أم المؤمنين، وأختها أسماء، وأسماء بنت عميس، رضوان الله عليهم.

ثم من بعدهم من التابعين، والفقهاء، والزهَّاد، والعلماء المتخصِّصين في هذا العلم، ومن أصحاب الفراسة وغيرهم[٢].

**ومما يدل على أهميته وشرفه**: اهتمام علماء الحديث بإفراده في مصنفاتهم الحديثية، فهذا الإمام البخاري يعقد في كتابه الصحيح كتاباً كاملاً بعنوان: «كتاب التعبير»، ضمَّنه ثمانية وأربعين باباً، وتسعة وتسعين حديثاً.

والإمام مسلم، عقد له كتاباً في صحيحه سمَّاه: «كتاب الرؤيا»، ذكر فيه خمسة أبواب، وتسعة وثلاثين حديثاً مع المكرر.

والإمام أبو داود[٣] في سننه، ذكر في: «كتاب الأدب»، باب: «ما جاء في الرؤيا»، ذكر فيه تسعة أحاديث.

والإمام الترمذي[٤] في جامعه قال: «أبواب الرؤيا عن

---

(١) القادري في التعبير (١/ ١١٤)، وتعطير الأنام (٤٨٢).

(٢) انظر: القادري في التعبير (١/ ١١٤)، وتعطير الأنام (٤٨٢).

(٣) سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، من كبار العلماء، ثقة حافظ، مصنف السنن وغيرها، مات سنة (٢٧٥هـ). تقريب التهذيب (٢٥٣٣)، ص(٢٥٠).

(٤) محمد بن عيسى بن سورة السلمي، أبو عيسى، صاحب الجامع، وأحد الأئمة، مات سنة (٢٧٩هـ). تقريب التهذيب (٦٢٠٦)، ص(٥٠٠).

رسول الله ﷺ»، عقد فيه عشرة أبواب، وأورد فيه أربعة وعشرين حديثاً.

والإمام ابن ماجه[١]، قال: «كتاب تعبير الرؤيا»، ذكر فيه عشرة أبواب، وثلاثة وثلاثين حديثاً.

والإمام النسائي، قال في السنن الكبرى: «كتاب التعبير»، وأورد فيه ثلاثة وعشرين عنواناً، وساق فيه سبعة وثلاثين حديثاً.

كذلك الإمام مالك، ذكر في الموطأ في «كتاب الجامع»، باب ما جاء في الرؤيا، وساق فيه خمسة أحاديث.

والإمام الدارمي[٢] في سننه قال: «ومن كتاب الرؤيا»، عقد فيه ثلاثة عشر باباً، وساق فيها سبعة وعشرين حديثاً.

والإمام ابن أبي شيبة[٣] في المصنف، قال: «كتاب الإيمان والرؤيا»، وعقد فيه ثلاثة عشر عنواناً، وساق فيه خمسة وثمانين حديثاً وأثراً.

والإمام عبد الرزاق[٤] في «كتاب الجامع» من «المصنف»، عقد باباً في الرؤيا.

والإمام البغوي[٥] في شرح السنة، ذكر كتاب الرؤيا، وعقد فيه أربعة عشر باباً، ذكر فيه خمسة وعشرين حديثاً.

---

(١) محمد بن يزيد الرَّبعي، القزويني، أبو عبد الله، صاحب السنن، أحد الأئمة، حافظ، مات سنة (٢٧٣هـ). (تقريب التهذيب (٦٤٠٩) صفحة (٥١٤)».

(٢) عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل التميمي، أبو محمد الحافظ، صاحب المسند، ثقة فاضل متقن، مات سنة (٢٥٥هـ). تهذيب التهذيب (٣٥٤٦)، (٥/ ٢٦١).

(٣) عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر الكوفي، ثقة حافظ، مات سنة (٢٣٥هـ). تقريب التهذيب، (٣٥٧٥)، ص(٣٢٠).

(٤) عبد الرزاق بن همَّام بن نافع الحميري مولاهم، أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ، مصنِّف شهير، عمي في آخر عمره، وكان يتشيَّع، مات سنة (٢١١هـ). (تقريب التهذيب (٤٠٦٤) ص(٣٥٤)».

(٥) الحسين بن مسعود بن محمد، محيي السنة، أبو محمد البغوي، محدث مفسِّر، نسبته =

والإمام ابن حبان، قال: «كتاب الرؤيا»، وعقد فيه واحداً وعشرين باباً، وساق عشرين حديثاً.

والإمام البوصيري[(١)] في «مختصر إتحاف السادة المهرة، بزوائد المسانيد العشرة»، قال: «كتاب التعبير»، ذكر فيه أربعة عشر باباً، وخمسة وثلاثين حديثاً.

والإمام اللالكائي[(٢)] في كتابه: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة...»، قال: سياق ما روي عن النبي ﷺ في أنَّ من رآه في النوم فقد رأى الحق، وأن الشيطان لا يتمثَّل به، وفي من رآه وسأله عن القرآن، فأجاب بأنه غير مخلوق، من العلماء والصالحين.

وقال: «سياق ما رؤي من الرؤيا السوء لمن قال بخلق القرآن في الدنيا، وما أعدَّ الله له في الآخرة أكثر».

وقال: «سياق ما رؤي من الرؤيا السوء من المعتزلة».

وقال: «سياق ما روي عن رؤية النبي ﷺ في النوم، وما حفظ من قوله في المرجئة».

والإمام الحاكم[(٣)] في «المستدرك»، قال: «كتاب تعبير الرؤيا»، وأسند فيه واحداً وثلاثين حديثاً.

---

= إلى بغا، من قرى خراسان، له: شرح السنة، ومصابيح السنة، ولباب التأويل في معالم التنزيل، وغيرها، مات سنة (٥١٠هـ وقيل: (٥١٦هـ). (الأعلام ٢/ ٢٥٩).

(١) أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم الكناني الشافعي، أبو العباس، من حفاظ الحديث، له: فوائد المنتقي لزوائد البيهقي، وزوائد ابن ماجه، وغيرها، توفي عام (٨٤٠هـ). (الأعلام ١/ ١٠٤).

(٢) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي، حافظ للحديث، شافعي، نسبته إلى بيع اللوالك، التي تلبس في الأرجل، له: أسماء رجال الصحيحين، وكرامات الأولياء، وغيرها، مات سنة (٤١٨هـ). (الأعلام ٨/ ٧١).

(٣) محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي، النيسابوري، من أكابر حفاظ الحديث، =

والبيهقي[١] في «شعب الإيمان»، قال: فصل في الرؤيا التي هي نعمة من نعم الله تعالى، أورد فيه ثلاثة وثلاثين حديثاً وأثراً.

والإمام علاء الدين المتقي الهندي[٢] في «كنز العمال»، قال: «فرعٌ في الرؤيا»، ذكر فيه اثنين وستين حديثاً وأثراً، ثم قال: «التعبير والتأويل»، ذكر فيه مع الإكمال ثلاثة وعشرين حديثاً وأثراً، ثم قال: أدب المعبر ذكر فيه حديثين، ثم قال: رؤيته صلى الله عليه وآله وصحبه وبارك وسلم، ذكر فيه مع الإكمال عشرين حديثاً، ثم قال: الرؤيا التي رآها ﷺ ذكر فيه أربعة أحاديث.

والإمام نور الدين الهيثمي[٣] في كتابه «مجمع الزوائد»، قال: «كتاب التعبير»، أورد فيه سبعة أبواب واثنين وستين حديثاً وأثراً.

وقد جعل الإمام ابن القيم رحمه الله، المرتبة العاشرة من مراتب الهداية: «الرؤيا الصادقة»[٤].

كذلك كتب التفسير حفلت بالكثير من الأحاديث والآثار، وذكر بعض أصول علم التعبير، وذلك عند تفسير الآيات التي وردت في سورة

---

= والمصنفين فيه، له: تاريخ نيسابور، والإكليل، وفضائل الشافعي، وغيرها، مات سنة (٤٠٥هـ). (الأعلام ٦/ ٢٢٧).

(١) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، صنف زهاء ألف جزء، منها: السنن الكبرى، والأسماء والصفات، وفضائل الصحابة، مات في سنة (٤٥٨هـ). (١/ ١١٦).

(٢) علي بن حسام الدين الهندي، من المشتغلين بالحديث، جاور بمكة له: كنز العمال في ترتيب أحاديث الجامع الصغير وزوائده للسيوطي، مات بعد (٩٥٢هـ). (الأعلام ٤/ ٢٧١).

(٣) علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن المصري، القاهري، له: ترتيب الثقات لابن حبان، وزوائد ابن ماجه على الكتب الستة، والمقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، وغيرها، توفي سنة (٨٠٧هـ). (الأعلام ٤/ ٢٦٦).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٦١).

يوسف ﷺ، متعلقة بالتعبير، خاصة تفسير ابن جرير، «وأحكام القرآن» لابن العربي المالكي، وتفسير القرطبي، وتفسير الرازي، و«الدر المنثور» للسيوطي، و«روح المعاني» للألوسي، و«تيسير الكريم المنان» للسعدي(١)، و«تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» له أيضاً، و«عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي(٢).

وهناك أيضاً من ألَّف استقلالاً في المنامات، مثل كتاب الحافظ ابن أبي الدنيا(٣) «المنامات»، وهو مطبوع.

والعلَّامة البرداني، الإمام الحافظ الثقة، أبو علي أحمد بن محمد(٤) جمع مجلداً في المنامات النبوية، سمع الذهبي(٥) منتقاه.

أيضاً ما ضمَّنه المصنِّفون كتبهم، مما يتعلق بالتعبير، كما فعل ذلك ابن القيم في كتاب «الروح»، وفي «إعلام الموقعين»، و«بدائع الفوائد»، و«زاد المعاد»، و«مدارج السالكين»، و«أقسام القرآن».

---

(١) عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، له: القواعد الحسان في تفسير القرآن، والقواعد والأصول الجامعة، في أصول الفقه، وتوضيح الكافية الشافية لابن القيم، وغيرها، توفي عام (١٣٧٦هـ). (الأعلام ٣/ ٣٤٠).

(٢) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، أبو العباس، مفسِّر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، له: تفسير القرآن، والدر المصون، في إعراب القرآن، وشرح الشاطبية، وغيرها، مات سنة (٧٥٦هـ). (الأعلام ١/ ٢٧٤).

(٣) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم، أبو بكر بن أبي الدنيا، صدوق حافظ، صاحب تصانيف، مات سنة (٢٨١هـ). (تقريب التهذيب (٣٥٩١)، ص(٣٢١».

(٤) أبو علي أحمد بن محمد البرداني. (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٨٨ و١٩/ ٢٢٠).

(٥) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة، محقق، تركماني الأصل، له: دول الإسلام، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، والكبائر، وغيرها، توفي سنة (٧٤٨هـ). (الأعلام ٥/ ٣٢٦).

وابن عبد البر[١] في «بهجة المجالس»، قال: «باب نوادر الرؤيا مختصرة».

وابن مفلح في «الآداب الشرعية».

والحافظ العراقي[٢] وابنه في كتاب «طرح التثريب في شرح التقريب»، أورد فيه الحافظ حديثين، استخرج منهما ابنه نحواً من عشرين فائدة.

والقرافي في «الفروق»، وفي «الذخيرة».

وابن خلدون في «المقدمة».

وابن رشد[٣] في «البيان والتحصيل».

وكذلك كتب التاريخ والتراجم، كابن سعد[٤]، في «الطبقات»، عند ترجمته لسعيد بن المسيب[٥]، والخطيب[٦] في «تاريخ بغداد»، وابن

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد، النمري القرطبي، المالكي، أبو عمر، من كبار حفَّاظ الحديث، مؤرخ، أديب، له: التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، وجامع بيان العلم وفضله، والكافي في الفقه وغيره، مات سنة (٤٦٣هـ). (الأعلام ٨/ ٢٤٠).

(٢) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن، أبو الفضل، زين الدين، من كبار حفاظ الحديث، أصله كردي واستقر في مصر، وبها توفي، له: ذيل على ميزان الاعتدال، الألفية في المصطلح، القرب في محبة العرب، وغيرها، مات سنة (٨٠٦هـ). (الأعلام ٣/ ٣٤٤).

(٣) محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكية، وهو جدُّ ابن رشد الفيلسوف، له: المقدمات الممهدات في الأحكام الشرعية، والفتاوى، والمسائل، وغيرها، مات سنة (٥٢٠هـ). (الأعلام ٥/ ٣١٦).

(٤) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، مولاهم، البصري، نزيل بغداد، كاتب الواقدي، صدوق فاضل، مات سنة (٢٣٠هـ). (التقريب (٥٩٠٣)، ص(٤٨٠».

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، قال ابن المديني: «لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه»، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. (التقريب (٢٣٩٦)، ص(٢٤١».

(٦) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، له: =

عساكر[(١)]، في «تاريخ دمشق»، والذهبي في «التاريخ»، وفي «السير»، والصفدي[(٢)] في «الوافي بالوفيات»، في ترجمة الشهاب العابر أحمد بن عبد الرحمٰن[(٣)]، ومثله ابن رجب[(٤)] في «الذيل على طبقات الحنابلة»، وغيرهم كثير.

**ومما يدل على أصالة هذا العلم وشرفه وأهميته أيضاً**: ما ألف فيه استقلالاً، وهي كتبٌ كثيرة جداً، سيأتي الكلام عليها في مبحثٍ مستقلٍ.

**وقد أشاد علماء الإسلام بشرف هذا العلم وأهميته**، وأنه من العلوم الشرعية التي يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وهو علمٌ يؤتيه الله من يشاء من خلقه.

قال أبو الحارث[(٥)]: «سمعت أبا عبد الله يقول: إنما العلم مواهب يؤتيه الله من أحب من خلقه، وليس يناله أحدٌ بالحسب، ولو كان

= الكفاية في علم الرواية، وكتاب البخلاء، واقتضاء العلم العمل، وغيرها، مات سنة (٤٦٣هـ). (الأعلام ١/ ١٧٢).

(١) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم الدمشقي، المؤرخ الحافظ الرحالة، رفيق السمعاني في رحلاته، له: كشف المغطى في فضل الموطا، ومعجم الصحابة، ومعجم الشيوخ والنبلاء، وغيرها، مات سنة (٥٧١هـ). (الأعلام ٤/ ٢٧٣).

(٢) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، منها: أعيان العصر، والروض الباسم، وغوامض الصحاح للجوهري، وغيرها، مات سنة (٧٦٤هـ). (الأعلام ٢/ ٣١٥).

(٣) أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد المنعم، أبو العباس، النابلسي، الحنبلي، فقيه، اشتهر بعلم تعبير الرؤيا، توفي عام (٦٩٧هـ)، له: البدر المنير في علم التعبير. انظر: (الأعلام ١/ ١٤٧).

(٤) عبد الرحمٰن بن رجب بن أحمد الدمشقي، أبو الفرج، حافظ محدث، له: شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، وغيرها، مات سنة (٧٩٥هـ). (الأعلام ٣/ ٢٩٥).

(٥) أحمد بن محمد، أبو الحارث الصائغ، كان أبو عبد الله يأنس به ويقدمه ويكرمه. (طبقات الحنابلة ١/ ٧٤).

بالحسب كان أولى الناس به أهل بيت رسول الله ﷺ»[(١)].

قال ابن خلدون: «هذا العلم من العلوم الشرعية، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع، وكتب الناس فيها[(٢)]، وأما الرؤيا والتعبير لها، فقد كان موجوداً في السلف، كما هو في الخلف، وربما كان في الملوك والأمم من قبل، إلا أنه لم يصل إلينا، للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام، وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق؛ ولا بدَّ من تعبيرها»[(٣)].

وقال أيضاً: «ولم يزل هذا العلم متناقلاً بين السلف، وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء، وكتب عنه في ذلك القوانين، وتناقلها الناس لهذا العهد، وألف الكرماني فيه من بعده، ثم ألف المتكلمون المتأخرون وأكثروا . . . وهو علمٌ مضيء بنور النبوة للمناسبة بينهما، كما وقع في الصحيح، والله علام الغيوب»[(٤)].

وقال الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب: «علم التعبير علمٌ صحيح يمن الله به على من يشاء من عباده»[(٥)].

وقال: «عبارة الرؤيا علمٌ صحيح ذكره الله في القرآن، ولأجل ذلك قيل: لا يعبر الرؤيا إلا من هو من أهل العلم بتأويلها؛ لأنها من

---

(١) أبو عبد الله هو الإمام أحمد بن حنبل، والأثر في الآداب الشرعية (٢/ ٥٦).

(٢) يقصد أنه وضعت له قواعد وأصول، مثل علم النحو، وعلم أصول الفقه، ومصطلح الحديث.

(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ١٧٢)، قلت: بل وصل إلينا من كتب الأمم السابقة وأقوالهم في علم التعبير، مثل كتاب: «تعبير الرؤيا»، لأرطاميدورس الأفسوسي، (القرن الثاني للميلاد)، ونقل عن دانيال، وأرسطو، وأقريطس الحكيم، والنصارى، واليهود، والهنود، وما ذكره شيشرون في كتابه «علم الغيب في العالم القديم»، وغير ذلك. انظر: القادري في التعبير (١/ ٩٠، ١٠٠، ٢٢٥).

(٤) المرجع السابق (٢/ ١٧٤).

(٥) مجموع مؤلفاته (٥/ ١٣٠).

أقسام الوحي»[١].

وقال أبو العباس القرطبي: «وإذا كانت هكذا ـ يقصد الرؤيا وأنها وحي ـ فتعيَّن على الرائي أن يعتني بها، ويسعى في تفهمها ومعرفة تأويلها، فإنها إما مبشِّرة له بخير، أو محذِّرة له من شر، فإن أدرك تأويلها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وهو اللبيب الحبيب، ولذلك كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح: «**هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُمُ اللَّيلَةَ رُؤيَا فَليَقُصهَا أُعبِّرُهَا لَهُ**»، فكانوا يقصُّون عليه ويعبِّر، وقد سلك أصحابه ذلك المسلك في حياته، وبعد وفاته، وقد كان ﷺ يقتبس الأحكام من منامات أصحابه[٢]، كما فعل في رؤيا الأذان، وفي رؤيا ليلة القدر، وكل ذلك بناءً على أنها وحيٌ صحيح»[٣].

وقال في موضعٍ آخر: وقوله: «**هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُمُ اللَّيلَةَ رُؤيَا**»، إنما كان يسألهم عن ذلك لما كانوا عليه من الصلاح والصدق، فكما قد علم أن رؤياهم صحيحة، وأنها يستفاد منها الاطلاع على كثير من علم الغيب، وليبين لهم بالفعل الاعتناء بالرؤيا، والتشوف لفوائدها، ويعلمهم كيفية التعبير، وليستكثر من الاطلاع على علم الغيب»[٤].

وقال السعدي: «إن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير الرؤيا داخلٌ في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿... قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١]، وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٦]، الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

---

(١) المرجع السابق (٥/ ١٤٣).

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في: العمل بالتعبير. (٣) المفهم (٦/ ٢٩).

(٤) المفهم (٦/ ١٤).

وقال: ومنها فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية»[١].

وقال: «... فإن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده»[٢].

وقال ابن عبد البر: «وهذا الحديث[٣] يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه ﷺ إنما كان يسأل عنها لتقص عليه، ويعبرها، ليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها، وقد أثنى الله ﷻ على يوسف بن يعقوب ﷺ، وعدَّد عليه فيما عدَّد من النعم التي آتاه، التمكين في الأرض وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا على أن ذلك في تأويل الرؤيا، وكان يوسف ﷺ، أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا محمد ﷺ نحو ذلك، وكان أبو بكر الصديق من أعبر الناس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع، والإحسان، ونحوه أو قرب منه كان سعيد بن المسيب في ذلك»[٤].

وقال النووي: «وفي الحديث[٥]: الحث على علم الرؤيا والسؤال عنها وتأويلها.

قال العلماء: وسؤالهم محمولٌ على أنه ﷺ يعلمهم تأويلها، وفضيلتها، واشتمالها على ما شاء الله من الإخبار بالغيب»[٦].

---

(١) تفسير السعدي (٢/٤٤٩)، ونحوه في تيسير اللطيف المنان (٢٢٣).

(٢) المرجع السابق (٢/٤٢٢)، ونحوه في تيسير اللطيف المنان (٢١٥).

(٣) يعني حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: «**هل رأى أحدٌ منكم الليلة رؤيا...**» الحديث.

(٤) التمهيد (١/٣١٣).

(٥) يعني حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول لأصحابه: «**من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له؟**».

(٦) مسلم بشرح النووي (١٥/٣٢).

وقال ابن حجر على حديث ابن عباس في الظلة تنطف السمن والعسل[١]، قال: «وفيه الحث على تعليم علم الرؤيا، وعلى تعبيرها، وترك إغفال السؤال عنه، وفضيلتها لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب، وأسرار الكائنات»[٢].

ويقول ابن عبد البر: «وعلم تأويل الرؤيا من علوم الأنبياء، وأهل الإيمان، وحسبك بما أخبر الله من ذلك عن يوسف عليه السلام، وما جاء في الآثار الصحاح فيها، عن النبي ﷺ، وأجمع أئمة الهدى من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من علماء المسلمين، أهل السنة والجماعة، على الإيمان بها، وعلى أنها حكمة بالغة، ونعمة يمن الله بها على من يشاء، وهي المبشرات الباقية بعد النبي ﷺ»[٣].

وقال الإمام ابن القيم: «القلم التاسع، قلم التعبير، وهو كاتب وحي المنام، وتفسيره، وتعبيره، وما أريد منه، وهو قلمٌ شريفٌ جليل، مترجم للوحي المنامي، كاشفٌ له، وهو من الأقلام التي تصلح للدنيا والدين، وهو يعتمد طهارة صاحبه ونزاهته، وأمانته، وتحريه للصدق، والطرائق الحميدة، والمناهج السديدة، مع علمٍ راسخ، وصفاءٍ باطن، وحسٍّ مؤيد بالنور الإلهي، ومعرفة بأحوال الخلق وهيئاتهم وسيرهم، وهو من ألطف الأقلام، وأعمِّها جولاناً، وأوسعها تصرفاً، وأشدها تشبُّثاً بسائر الموجودات؛ عُلويُّها وسُفليُّها، وبالماضي والحال والمستقبل، فتصرف هذا القلم في المنام هو محل ولايته، وكرسي مملكته وسلطانه»[٤].

وبعد هذه النقول المستفيضة عن أئمة الإسلام، في إثبات أصالة

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير، باب: من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، حديث (٧٠٤٦)، (١٣٤٦).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٣٧).

(٣) التمهيد (٢٤/ ٤٩).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (١٣١).

هذا العلم، وشرفه، وأنه من العلوم الإسلامية التي لها قواعدها وعلماؤها المبرزون فيه، وأن له الشهرة والانتشار في الأمة الإسلامية على مر الأعصار، إلا في هذا العصر الذي طغت فيه العقلانية، والمادة، على كثيرٍ من الناس، إلا ما رحم ربك؛ ـ لأن الناس يشاكلون عصرهم، في التصورات والأفكار وغير ذلك ـ، لم يبق حجة ولا شبهة، لمن يطعن في هذا العلم النبوي، ويجعله من قبيل الكهانة.

وبما أن الرؤيا وما يتعلق بها من فروع علم الغيب؛ نجد أن من يؤمن به هو المؤمن الصادق، المتبع، السائر على منهج أهل السنة والجماعة، والله تعالى جعل أول وصفٍ للمؤمنين في سورة البقرة هو الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١ ـ ٣]، ولم نجد من ينكر ما يتعلق بالكرامات وفروع علم الغيب إلا أهل البدع من معتزلة وملحدة.

يقول ابن عبد البر: «ولا أعلم بين أهل الدين والحق، من أهل الرأي والأثر، خلافاً فيما وصفت لك[١]، ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد، وشرذمة من المعتزلة»[٢].

**ومما يدل على شرف هذا العلم وأهميته ومنزلته:** أنه علمٌ شرعيٌّ، وليس علماً بدعيّاً، والعلم الشرعي قد يراد به ما أمر به الشارع، أو يراد به ما أخبر به الشارع، وقد يراد به ما شُرع أن يُعلم، وقد يراد به ما علمه الشارع.

(١) بقوله: إن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، وأن التصديق بها حق، وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه.اهـ.
ومعلومٌ أن الرؤيا إذا لم تعبَّر فلا فائدة فيها، كما يقول ابن تيمية في السبعينية (٣٢٠).

(٢) التمهيد (١/ ٢٨٥).

فمدلول العلم الشرعي أوسع من أن يكون ضابطه ما أمر به الشارع، أو هو العلم الذي تؤخذ منه الأحكام، ولا يدخل فيه ما يتعلق بالبشائر والنذر، مع أن علم التعبير من العلم المأمور به كما سيأتي.

وعن عمر رضي الله عنه قال: «اعربوا القرآن فإنه عربي، وتفقهوا في السنة، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وإذا قصَّ أحدكم على أخيه فليقل: اللّهم إن كان خيراً فلنا، وإن كان شراً فعلى عدوِّنا»[(١)].

وقال ابن تيمية: «وذلك أن قولنا: العلوم الشرعية قد يراد ما أمر به الشارع، وقد يراد ما أخبر به الشارع، وقد يراد به ما شرع أن يعلم، وقد يراد به ما علمه الشارع.

**فالأول**: وهو ما أمر به الشارع ـ هو العلم المشروع ـ كما يقال: العمل المشروع، وهو الواجب أو المستحب، وربما دخل فيه المباح.

فالإضافة له بحسب حكمه في الشرع، فنظر من جهة المدح والذم، والثواب والعقاب، والأمر والنهي، وهو خطاب التكليف.

وهذا المأمور به إما أن يكون مقصوداً للشارع، أو لازماً لمقصود الشارع، وهو ما لا يتمُّ مقصوده الواجب أو المستحب إلا به.

**والثاني**: وهو ما أخبر به الشارع، فهو العلم المستفاد من الشارع وهو ما علَّمه الرسول لأمته بما بعث به من الإيمان، والقرآن، والحكمة، وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة أو الإجماع، أو توابع ذلك.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٧٠)، قال المحقق: سنده ضعيف.اهـ.
**قلت**: يشهد له مرسل الحسن، أخرجه أيضاً سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣١٤)، ومرسل: عمرو بن دينار، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٥٦)، وفي الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَهٍ يَا عَائِشَة، إذَا عَبَّرتُم للمسلِم الرؤيَا فَاعبروهَا عَلَى الخَير** ...»، أخرجه الدارمي في سننه، حديث (٢٠٨٦)، وحسّن إسناده الحافظ في الفتح (١٢/ ٤٥٠).

فالإضافة له بحسب طريقه ودليله، فنظر فيه من جهة طريقه ودليله، وصحته وفساده، ومطابقته ومخالفته، وهو من جهة خطاب الأخبار.

فهذا إما أن يبين له دليلاً عقلياً أو لا يذكر.

إذاً فالشرعيات هي ما أخبر الشارع بها، وما دلَّ الشارع عليها، وما دلَّ الشارع عليه ينتظم جميع ما يحتاج إلى علمه بالعقل.

وبهذا يعلم أن كل علم عقلي أمر الشارع به أو دلَّ عليه فهو شرعيٌّ أيضاً، إما باعتبار الأمر أو الدلالة أو باعتبارهما جميعاً.

ويتبين بهذا التحرير أن ما خرج من العلوم عن مسمى الشرعية وهو ما لم يأمر به الشارع، ولم يدل عليه، فهو يجري مجرى الصناعات؛ كالفلاحة، والبناية، والنساجة، وهذا لا يكون إلا في العلوم المفضولة المرجوحة، ويتبين أنَّ مسمى الشرعية أشرف وأوسع، وأن بين العقلية والشرعية عموماً وخصوصاً، ليس أحدهما قسيم الآخر، وإنما السمعي قسيم العقلي، وأنه يجتمع في العلم أن يكون عقلياً وهو شرعي، بالاعتبارات الثلاثة:

إخباره به ـ أمره به ـ، دلالته عليه، فتدبر أن النسبة إلى الشرع بهذه الوجوه الثلاثة.

وأما إذا أريد بالشرعية ما شرع علمه، فهذا يدخل فيه كل علم مستحب أو واجب، وقد يدخل فيه المباح، وأصول الدين على هذا من العلوم الشرعية أيضاً، وما علم بالعقل وحده فهو من الشرعية أيضاً، إذا كان علمه مأموراً به في الشرع»[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٢٢٨)، مع بعض التصرف، وانظر: المسائل المشتركة بين أصول الفقه، وأصول الدين (٩٧).

وعلم تعبير الرؤيا علمٌ شريفٌ أمر به الشارع: قال الرسول ﷺ: «**الرُّؤيَا الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَربَعِيْنَ جُزءاً مِنَ النُّبوةِ**»(١)، ففي هذا الحديث مدحٌ للرؤيا، وأنها جزءٌ من النبوة، ومقصود الرسول ﷺ بهذا الإخبار عن الرؤيا، هو الاهتمام بها والحث على تعبيرها، والأمر بذلك، ويدل على ذلك رواية الحاكم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: «**هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُم رُؤْيَا، أَلا إِنَّهُ لا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إلا الرُّؤيَا الصَّالِحَةِ**»(٢).

وحديث: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنبوَّةَ قَدِ انقَطَعَتْ فَلا رَسُولَ بَعدِيْ وَلا نَبِيّ**»، فشقَّ ذلك على الناس، فقال: «**لَكن المُبَشِّرَاتُ**»، فقالوا: يا رسول الله ما المبشرات؟ قال: «**رُؤيَا المُسلِمِ هِيَ جُزءٌ مِن أَجزَاءِ النُبوَّة**»(٣).

بل إن الرسول ﷺ نبَّه على أمر الرؤيا في مرض موته، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»، ثلاث مرات، «**إِنَّهُ لَم يَبقَ مِن مُبَشِّرَاتِ النبوَّةِ إلا الرُّؤيَا الصَّالحِة، يَرَاهَا العَبدُ الصَّالِحُ أَو تُرَى لَهُ**»(٤).

فانظر إلى هذا الاهتمام بأمر المنام، في آخر الأيام، من رسول الأنام، وهو يعاين الحِمام، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، أفيظن

---

(١) أخرجه البخاري، في التعبير، باب: رؤيا الصالحين، حديث (٦٩٨٣)، ص(١٣٣٥).

(٢) المستدرك (٤/٣٩١)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢٠٧)، ص(٣٨٤).

بعد ذلك أن هذا حشو كلام، بخطابٍ لا مغزى له ولا معان، إن هذا والله لهو قول أهل التفويض من أهل الكلام، في صفات الملك العلام.

قال العز بن عبد السلام[١]: «ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة، وتارة بالإخبار، وتارة بما رتب عليها في العاجل والآجل من خيرٍ أو شرٍّ أو ضر.

وقد نوّع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة ترغيباً لعباده وترهيباً، وتقريباً إلى أفهامهم، فتارة يرغب في الفعل يمدحه أو يمدح فاعله، أو بما رتبه على الفعل من خير الدنيا والآخرة، وتارة يحذر من الفعل بذمِّه أو ذمِّ فاعله، أو توعده على الفعل بشرٍّ عاجلٍ أو آجل، وكل ذلك راجع إلى المنافع والمضار»[٢].

والرسول ﷺ أخبر أن الرؤيا من الله، فإذا رأى الرجل ما يحبُّ فليخبر به من يحب، ويفسر تلك الرؤيا، وإضافتها إلى الله تعالى فيه امتنان منه تعالى على عبده، ومقصود الشارع بذلك حتى يشكر العبد ربه على هذه النعمة[٣].

يقول العز بن عبد السلام: «تمنُّنُ الربّ تعالى بنعمة، إن كانت تلك النعمة من أفعاله التي لا اكتساب لنا فيها، كان التمنن بها ترغيباً لنا في شكرها بعرف الاستعمال»[٤]، ويدخل في هذا إخبار الرسول ﷺ بأنه لم يبق بعده من النبوة إلا المبشرات. . . الحديث.

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين سلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد، له: التفسير الكبير، والفرق بين الإيمان والإسلام، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، وغيرها، مات سنة (٦٦٠). (الأعلام ٤/ ٢١).

(٢) الإمام في بيان أدلة الأحكام (٧٩).

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي (١٢/ ٢٠٧).

(٤) الإمام في بيان أدلة الأحكام (١٧٢).

كذلك أمر الرسول ﷺ إذا رأى العبد ما يكره أن يستعيذ بالله من الشيطان، ومن شرِّ تلك الرؤيا، ولا يخبر أحداً بها، ولا يفسرها، فإنها لا تضره.

**ومما يدل على شرفه أن أدلته شرعية وليست بدعية:** فإن الدليل الشرعي يقابل بالبدعي، وعلم التعبير على هذا علمٌ شرعي، وليس علماً بدعياً.

قال ابن تيمية: «البدعة تقابل الشرعة، وكونه ـ أي الدليل ـ شرعياً صفة مدح، وكونه بدعياً صفة ذم، وما خالف الشريعة فهو باطل.

قال: ثم الشرعي قد يكون سمعياً، وقد يكون عقلياً، فإن كون الدليل شرعياً، يراد به كون الشرع أثبته ودلَّ عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً، ولكن الشرع نبه عليه ودلّ عليه، فيكون شرعياً عقلياً، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها، فتلك أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية، وهي مع ذلك شرعية، وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً»[(١)]. اهـ.

ويقول أبو سعيد الواعظ[(٢)]: «لما رأيت العلوم تتنوع أنواعاً، منها ما ينفع في الدنيا دون الدين، ومنها ما ينفع فيهما جميعاً، وكان علم الرؤيا من العلوم النافعة ديناً ودنيا؛ استخرت الله تعالى في جمع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٩٨).

(٢) عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، واعظ من فقهاء الشافعية بنيسابور، نسبته إلى خركوش، سكة فيها، له: البشارة والنذارة، ودلائل النبوة، وشرف المصطفى وغيرها، توفي سنة (٤٠٧هـ). (الأعلام ٤/ ١٦٣).

صدرٍ منه»[١].

**ومما يدل على أهميته وشرفه** انتشاره في الأمة الإسلامية على مرِّ العصور كباقي العلوم الإسلامية الأخرى، نقل السيوطي في كتابه: «صون المنطق والكلام عن فنَّي المنطق والكلام»، عن الإمام ابن كثير في تاريخه أنه قال: «عمل الخواجه نصير الطوسي[٢] الرصد، وعمل دار حكمة فيها فلاسفة، لكل واحدٍ في اليوم ثلاثة دراهم، ودار طب، فيها للحكيم درهمان، وصرف لأهل دار الحديث لكل محدِّث نصف درهمٍ في اليوم، ومن ثمَّ فشا الاشتغال بالعلوم الفلسفية وظهر، ولم يكن الناس يشتغلون بها إلا الآحاد في خفية.

وبدلت بغداد بعد تلاوة القرآن بالنغمات والألحان، وإنشاد الأشعار، وكان وكان، وبعد سماع الأحاديث النبوية، بدرس الفلسفة اليونانية، والمناهج الكلامية، والتأويلات القرمطية، وبعد العلماء بالحكماء، وبعد الخليفة العباسي، بشر الولاة من الأناسي، وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة، وبعد الطلبة المشتغلين بالظَّلَمة والعيَّارين، وبعد الاشتغال بفنون العلم من التفسير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا، بالزجل، والموشح، ودوبيت، ومواليا، وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] هذا كلام ابن كثير»[٣]. اهـ.

---

(١) تفسير الأحلام (٢٩)، وانظر: ثلاثة كتب في الرؤى (١١١)، وانظر مبحث: أصول التعبير.

(٢) محمد بن محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي، فيلسوف، نصير الشرك والكفر، الملحد، وزير الملاحدة، وزير هولاكو، أراد جعل «إشارات» إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام، تعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحراً يعبد الأصنام، مات سنة (٦٧٢هـ). (إغاثة اللهفان ٢/ ٣٨٠) و(الأعلام ٧/ ٣٠).

(٣) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (١٣) ولم أجد هذا الكلام في مظانه من النسخ المطبوعة من البداية والنهاية؛ لكن سياق الكلام فيه نفس ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

## المبحث الثالث

# أقسام التعبير

تنقسم عبارة الرؤيا إلى قسمين:

- **الأول: مَنَّةٌ من الله وفضل.**
- **الثاني: طلبٌ من العبد وكسب.**

**دليل الأول:** قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

قال القرطبي: «وأجمعوا أنَّ ذلك في تأويل الرؤيا»(١).

ولا يَرِدُ هنا كون يوسف عليه السلام نبياً؛ لأنه سيأتي في مبحث طرق التعبير أن المزايا التي أعطيها النبي تكون لأمته إلا ما خصَّ به، وأنَّ آيات الأنبياء كبرى وصغرى، الأولى لا يشاركهم أحدٌ فيها، أما الصغرى فيشاركهم الصالحون، فلم يشارك أحد نبينا محمد ﷺ في القرآن، فلم يأت أحدٌ بمثله، بل ولا آية منه، لكن من الأمة من شاركه عليه الصلاة والسلام في تعبير الرؤيا، وفي تكثير الطعام، وتسبيح الحصا، وغير ذلك، وكرامات الأولياء من جنس آيات الأنبياء، لكن لا تكون في قدرها، وتفصيل ذلك في الأصل الثاني.

**الدليل الثاني:** عبارة نبينا محمد ﷺ للرؤيا، ولم يرد أنه تعلم من أحدٍ أصول هذا العلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/٨٦).

**الدليل الثالث**: التاريخ، فقد روي عن محمد بن سيرين[١]، أنه قال: «رأيت في المنام كأني دخلت الجامع فإذا أنا بمشايخ ثلاثة، وشاب حسن الوجه إلى جانبهم، فقلت للشاب: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا يوسف، قلت: فهؤلاء المشيخة؟ قال: آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقلت: علمني مما علَّمك الله، قال: ففتح فاه وقال: انظر ماذا ترى؟، فقلت: أرى لسانك، ثم فتح فاه فقال: انظر ماذا ترى؟ فقلت: لهاتك، ثم فتح فاه فقال: انظر ماذا ترى؟، فقلت: أرى قلبك، فقال: عبّر ولا تخف، فأصبحت وما قُصَّت عليَّ رؤيا إلا وكأني أنظر إليها في كفي».

وحكي أنَّ إبراهيم بن عبد الله الكرماني[٢]، رأى كأن يوسف عليه السلام كلَّمه، فقال له: علِّمني مما علَّمك الله، فكساه قميص نفسه، فاستيقظ وهو أحد المعبِّرين[٣].

**الدليل الرابع**: الواقع، فقد قام الباحث بمجالسة من يرى أن هذا العلم لا يُتعلم، وكان ينكر على من يقول: إن هذا العلم يمكن تعلمه، وما ذاك إلا لأنه لم يتعلم قواعد هذا العلم، بل تفضل الله عليه به.

- **القسم الثاني: ما كان من العبد طلب وكسب.**

دليل ذلك عمل الرسول ﷺ حين كان يسأل صحابته الكرام عن

---

(١) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابدٌ كبير القدر، كان من أعبر الناس للرؤيا، مات سنة (١١٠هـ). (التقريب (٥٩٤٧)، ص (٤٨٣)، الأعلام ٦/ ١٥٤).

(٢) وقيل: إبراهيم بن عبد الملك، وقيل: ابن محمد، من أقدم من صنَّف في التعبير، كان معاصراً للرشيد الخليفة العباسي، له كتاب: تعبير الرؤيا الذي شرحه أبو عبد الله محمد بن يحيى التميمي، الشهير بابن الحذَّاء، في كتاب: البشرى في عبارة الرؤيا. انظر: حاشية تعبير الرؤيا، لابن قتيبة (١٦٦).

(٣) تفسير الأحلام (٣٥).

الرؤيا، فقد ذكر العلماء أن ذلك ليعلمهم كيفية التعبير[١].

أيضاً صنيع العلماء؛ سواء علماء الحديث، أو التفسير، أو علماء التعبير، من ذكر لأصول هذا العلم وقواعده، والحث على تعلمه وتعليمه في مصنفاتهم.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً شهادة التاريخ، فمن ذلك أن ابن الأنباري كان في مجلس الخليفة، وأتت إليه جارية فسألته عن رؤيا، فقال: إني حاقن، ثم ذهب وأخذ كتاب الكرماني، ودرسه من ليلته، فلما أصبح وإذا به معبِّراً للرؤيا[٢].

والواقع دليلٌ آخر، فقد جالس الباحث من درس هذا العلم، ويرى أنه مكتسب، ويرد على الفريق الأول[٣].

**قلت**: كلا، الفريقين مصيبٌ في قوله؛ لأنه أخبر عن مبلغ علمه في هذا الباب، لكن الواقع والصحيح في نفس الأمر غير ذلك.

المقصود أن علم التعبير ينقسم إلى قسمين: منَّة من الله وفضلٌ، وطلبٌ من العبد وكسب، فالأول: جواب في الحال، والثاني: تأمل في قرائن الأحوال، وشرح ذلك في مبحث طرق التعبير.

قال القرطبي في التفسير: «ومنها[٤] ما يظهر معناه أولاً فأول، ومنها ما لا يظهر إلا بعد التفكير»[٥].

---

(١) انظر أقوالهم في: أصول التعبير، من هذا البحث.

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٣/ ١٨٤)، والسير (١٥/ ٢٧٦).

(٣) انظر: تعبير الرؤى: أصوله ومصادره عند أهل السنة، مع دراسة لأشهر المعبرين ومصنفاتهم، الدكتور: محمد بن حمود الفوزان، بحث غير منشور، أصله خطة لرسالة العالمية العالية.

(٤) أي: الرؤيا.

(٥) (٩/ ٨٤).

## المبحث الرابع

# هل التعبير جزءٌ من النبوة؟

مضى أن علمَ التعبير على قسمين:

منَّة وفضل، وطلب وكسب.

والأول له طرق، كما سيأتي، ومنها أن يلهم المعبر الاطلاع على بعض الغيب، ومضى أن معنى أن الرؤيا جزءٌ من النبوة؛ أي فيها اطلاعٌ على بعض الغيب، وأن ذلك لا يكون إلا من الرجل الصالح؛ لأن حاله يناسب حال النبي ﷺ، فأكرم بما أكرم به النبي ﷺ من الاطلاع على جزءٍ من الغيب، كما ذكر أبو العباس القرطبي[1] ويخرج بذلك الفاسق والكافر والكاهن.

فإن قيل: إن معبِّر الرؤيا من الصالحين المتبعين للأنبياء والمرسلين الذين يلهمون تعبير الرؤيا، ويطلعون من خلال ذلك على بعض الغيب الذي هو جزءٌ من النبوة، لا مانع أن يكون هذا القسم من التعبير جزءاً من النبوة، فيكرم الله هذا المعبر بما أكرم به النبي من الاطلاع على جزءٍ من الغيب، هذا في الجانب الذي هو منة وفضل، ويخرج بذلك المعبر الكافر والكاهن وما أشبهه.

أما في الجانب الكسبي من التعبير، فالمتقرر أن النبوة لا تكتسب، وإنما هي اصطفاء من الله تعالى؛ أي جملة النبوة لا أجزاؤها؛ لأن جزء

---

(١) المفهم (٦/ ١٣).

الشي ليس هو الشيء، ولهذا قال النبي ﷺ: **«الهَديُ الصَّالِحُ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ، وَالاقتِصَادُ، جُزءٌ مِن خَمسَةٍ وَعشرِيْنَ جُزءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»**(١).

وقال ﷺ: **«الرُّؤيَا الحَسَنة مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأربَعِيْنَ جُزءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»**.

ومعلومٌ أن من رأى رؤيا لا يكون نبياً بذلك، وأن من أعطي الهدي الصالح، أو السمت الصالح، أو الاقتصاد، لا يكون نبياً بذلك.

وقال ﷺ: **«الإيمَانُ بِضعٌ وَسبعُونَ أَو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعبَة، أَعلاهَا قَولُ: لا إلَهَ إلا الله، وَأدنَاهَا: إمَاطَةُ الأَذَى عَن الطَّرِيْقِ، وَالحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ»**(٢).

قال ابن تيمية: «فلا ريب أن الشيء يكون جزءاً من النبوة، أو الإيمان، ويكون من أصغر الشعب والأجزاء، كإماطة الأذى في الإيمان، أو كالرؤيا في النبوة، قال: وإذا كان بعض أجزاء النبوة يحصل لآحاد المؤمنين وليس هو نبياً»(٣).

فإن قيل: مَنْ رُزق علم التعبير، وفتح الله عليه بذلك، واطلع على بعض الغيب، من خلال تفسيره للرؤيا، هل يكون لديه جزءٌ من النبوة بهذا الاعتبار؟ وليس بنبي لأن النبوة لا تكتسب، وقد ضلَّ في هذه المسألة الفلاسفة، كابن سينا وغيره، وصار كثيرٌ منهم يطلب أن يكون نبياً(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب: في الوقار، حديث (٤٤٦٦)، (١٣/٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان، (٥٨)، ص(١١٧).

(٣) الصفدية (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١٣/ ١٧٧).

(٤) انظر: الصفدية (١/ ٢٩٩)، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها (٤٠٩، ٤١٠).

وقد نصَّ ابن عبد البر على أن علم تأويل الرؤيا من علوم الأنبياء وأهل الإيمان[١].

وقال ابن خلدون: «وهو علمٌ مضيءٌ بنور النبوة»[٢].

يقال: هذا التقرير هنا لا يكفي؛ لأنه لم يأت النص على أن تعبير الرؤيا جزءٌ من النبوة، كما جاء النص في الرؤيا، والقياس في هذا مركب صعب، فهذا أمرٌ يحتاج إلى دليلٍ من الشارع، والله أعلم.

---

(١) التمهيد (٢٤/ ٤٩).

(٢) مقدمة ابن خلدون (٢/ ١٧٤).

## المبحث الخامس

# أصول علم التعبير

قبل الشروع في ذكر أصول هذا العلم الشريف، يقال: هل يمكن تعلم عبارة الرؤيا؟

أجاب عن هذا أئمة الإسلام رحمة الله عليهم.

قال ابن عبد البر في الكلام على حديث أبي هريرة رضي الله عنه: إن الرسول ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: «**هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُمُ اللَّيلَةَ رُؤيَا...**»[(١)] الحديث.

وقال: «وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه ﷺ إنما كان يسأل عنها لتقص عليه ويعبرها، ليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها»[(٢)].

وقال أبو العباس القرطبي في شرحه لحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «**هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُمُ البَارِحَةَ رُؤْيَا؟**»[(٣)].

قال: «وليبين لهم بالفعل الاعتناء بالرؤيا والتشوُّف لفوائدها، وليعلِّمهم كيفية التعبير، وليستكثر من الاطلاع على علم الغيب»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في الرؤيا، باب: في تأويل الرؤيا، حديث (٥٨٨٧) (١٥/ ٣٠).
(٢) التمهيد (١/ ٣١٣).
(٣) أخرجه مسلم في الرؤيا، باب: رؤيا النبي ﷺ، حديث (٥٨٩٦) (١٥/ ٣٦).
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٦/ ٢٩).

وقال النووي على حديث ابن عباس رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه: «**مَن رَأَى مِنكُم رُؤيَا فَلْيَقصهَا أُعبِّرُهَا لَهُ**»[1]».

قال: «وفي الحديث الحث على علم الرؤيا، والسؤال عنها، وتأويلها.

قال العلماء: وسؤالهم محمولٌ على أنه يعلمهم تأويلها، وفضيلتها، واشتمالها على ما شاء الله من الإخبار بالغيب»[2].

وقال ابن حجر على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في الظلة التي تنطف السمن والعسل، قال: «وفيه الحث على تعليم علم الرؤيا، وعلى تعبيرها، وترك إغفال السؤال عنه، وفضيلتها لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب، وأسرار الكائنات»[3].

وقال البغوي: «واعلم أن تأويل الرؤيا ينقسم أقساماً، فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب، أو من جهة السنة، أو من الأمثال السائرة بين الناس، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضد والقلب»[4].

وقال ابن قتيبة: «وإن تأويلها قد يكون مرة من لفظ الاسم، ومرة من معناه، ومرة من ضده، ومرة من كتاب الله، ومرة من الحديث، ومرة من البيت السائر، والمثل المشهور»[5].

وقال ابن تيمية: «وإذا عرف أن مادة العدل والتسوية، والتمثيل، والقياس، والاعتبار، والتشريك، والتشبيه، والتنظير، من جنسٍ واحد،

---

(١) أخرجه مسلم في الرؤيا، باب: في تأويل الرؤيا، حديث (٥٨٩٠) (١٥/ ٣٢).
(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ٣٢).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٤٣٧).
(٤) شرح السنة (١٢/ ٢٢٠).
(٥) تعبير الرؤيا (٩٠).

فيستدل من هذه الأسماء على القياس الصحيح، العقلي، والشرعي، ويؤخذ من ذلك تعبير الرؤيا، فإن مداره على القياس، والاعتبار، والمشابهة، التي بين الرؤيا وتأويلها»[١].

وقال أبو الليث السمرقندي[٢]: «من تعلم علم الرؤيا فلا بأس به بعدما تفقه في الدين، وهو علم حسن، وقد منَّ الله تبارك وتعالى على يوسف عليه الصلاة والسلام بعلم تعبير الرؤيا»[٣].

وقال ابن القيم: «وقد ضرب الله سبحانه الأمثال، وصرفها قدراً وشرعاً، ويقظة ومناماً، ودلَّ عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشيء إلى نظيره، واستدلالهم بالنظير على النظير، بل هذا أصل عبارة الرؤيا التي هي جزءٌ من أجزاء النبوة، ونوعٌ من أنواع الوحي، فإنها مبنية على القياس والتمثيل، واعتبار المعقول بالمحسوس.

وقال: وبالجملة، فما تقدم من أمثال القرآن كلها أصول وقواعد لعلم التعبير لمن أحسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن فإنه يعبر به الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن»[٤]..

وقال عبد الرحمٰن بن سعدي: «فإن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة».

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٢).

(٢) نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، الحنفي، الصوفي، له: تفسير القرآن، وعمدة العقائد، وبستان العارفين، وغيرها، مات سنة (٣٧٣هـ). (الأعلام ٨/ ٢٧).

(٣) تنبيه الغافلين، الباب الرابع والعشرون.

(٤) إعلام الموقعين (١/ ٢٤٦، ٢٥٠).

وقال: «إن علم التعبير من العلوم الشرعية، وإنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وإن تعبير الرؤيا داخل في الفتوى»[١].

وقال ابن بطال: «أصل التعبير من قبل الأنبياء... لكن الوارد عن الأنبياء في ذلك وإن كان أصلاً، فلا يعم جميع المرائي، فلا بدَّ للحاذق في هذا الفن أن يستدل بحسن نظره، فيرد ما لم ينص عليه إلى حكم التمثيل، ويحكم له بحكم النسبة الصحيحة، فيجعل أصلاً يلحق به غيره، كما يفعل الفقيه في فروع الفقه»[٢].

وقال ابن قتيبة: «واعلم أن نفاذك في علم الرؤيا بثلاثة أصناف من العلم لا بدَّ منها:

**أولها**: حفظ الأصول ووجوهها...

**الثاني**: تأليف الأصول بعضها إلى جانب بعض...

**الثالث**: شدة فحصك وتثبتك في المسألة... إلى أن قال: وليس نوعٌ من العلم مما ينسب إلى الحكمة إلا يحتاج إليه في تأويل الرؤيا»[٣].

**ومما يدل على أنَّ لهذا العلم أصولاً وقواعد**؛ صنيع المحدثين في رواياتهم لأحاديث الرؤيا، فهذا الإمام البخاري في كتاب التعبير، يسوق الحديث بعد استنباط ترجمة له كأنه يقول: هذا الحديث أصلٌ وقاعدة في هذا العلم، كما يفعل في كتبه الأخرى من الصحيح، واستخراجه الأحكام من الأحاديث، كذلك الإمام مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود، وابن حبان، والهيثمي، والبوصيري، وغيرهم.

**ومما يدل على أن هذا العلم يتعلم** أيضاً ما ألفه علماء التعبير من

---

(١) تيسير الكريم المنان (٢/ ٤٤٢، ٤٤٩).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٣٧).

(٣) انظر: ثلاثة كتب في الرؤى والأحلام (١٨٦).

الكتب التي تبين أصول وقواعد هذا العلم الشريف، وسيأتي ذكر أسمائها في مبحث مستقل.

**ومما يدل على أنه يتعلم** اشتغال الطلبة به كباقي العلوم الأخرى، كما ذكر ذلك ابن كثير في تاريخه، وقد تقدم، قال: «. . . وبعد الاشتغال بفنون العلم من التفسير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا. . .» إلخ.

**ومما يدل على أنه يتعلم** قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]. وقد أجمع العلماء أن ذلك في عبارة الرؤيا، فسمى ﷻ الرؤيا حديثاً، والحديث هو الكلام، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث عبادة رضي الله عنه، ولفظه: أن رجلاً سأل عُبادة رضي الله عنه، عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، فقال عبادة رضي الله عنه: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**هِيَ الرُّؤيَا الصَّالحِة يَرَاهَا المؤمِن لِنَفسِه، أَو يُرَى لَه، وَهُو مِنْ كَلام يكلم بِه رَبك عَبدَهُ في المَنَام**»[1].

وهذا الوحي المنامي، الذي هو كلام الله للعبد، يحتاج إلى تفسير، وبعضه يكون واضحاً لا يحتاج إلى تفسير، كما في وحيه سبحانه إلى الأنبياء، فمنه ما يحتاج إلى تفسير، فقد لا يفسِّره إلا النبي، وقد يفسِّره العلماء من بعده، وقد لا يحتاج إلى تفسير، وهكذا الوحي المنامي.

لكن الأول له قواعد منضبطة، بخلاف الوحي المنامي، الذي هو من المبشرات، فهذه قواعده لا تنحصر، وهي غير منضبطة لكنه يفسر، وقياس الوحي المنامي، على الوحي الآخر، من باب قياس التواطؤ على الرؤيا في الوحي المنامي، على التواطؤ على رواية حديث واحد، في الوحي النبوي.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة) برقم (٤٨٦، ٤٨٧)، والطبراني في (المعجم الكبير) (٢٥/ ٣٣٩)، و(مسند الشاميين) (١٠٢٥) وهو متن حسن، فقد ذكر ابن تيمية في الفتاوى (١٧/ ٥٣٢) أن الله تعالى يوحي إلى عبده في المنام وحتى في اليقظة.

**ومما يدل على أن هذا العلم يتعلم أيضاً**، ما ذكره الخطيب، والذهبي، عن أبي الحسن العروضي، قال: «كنت أنا وابن الأنباري عند الراضي بالله، ففي يومٍ من الأيام سألته جاريته عن تفسير شيءٍ من الرؤيا، فقال: إني حاقن، ومضى، فلما كان من الغد عاد وقد صار معبراً للرؤيا، مضى من يومه فدرس كتاب الكرماني في التعبير وجاء»[1].

قلت: كانت لدى الأنباري نفسٌ مستعدة لتقبل هذا العلم، ولهذا أتقنه بسرعة بعد توفيق الله... وكذلك قول ابن القيم، عندما تكلم عن بعض تعبيرات شيخه الشهاب العابر، قال: «وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية، رحمه الله تعالى»[2].

ومما ينبغي أن يعلم أن أصول هذا العلم من الدقة والصعوبة، بحيث لا يتهيأ لكل أحدٍ ضبطها، بل قد نصَّ بعض العلماء على أنها لا تنضبط، يقول ابن تيمية: «وأما الرؤيا وتأويلها فباب لا ينضبط له حد، وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجه بعيد لا يهتدي له إلا حذَّاق المعبِّرين»[3].

وقال القرافي: «اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته، وتشعَّبت تخصيصاته، وتنوعت تعريفاته، بحيث صار الإنسان لا يقدر أن يعتمد فيه على مجرد المنقولات لكثرة التخصيصات بأحوال الرائين، بخلاف تفسير القرآن العظيم، والتحدث في الفقه، والكتاب والسنة وغير ذلك من العلوم، فإن ضوابطها إما محصورة أو قريبة من الحصر، وعلم المنامات منتشرٌ انتشاراً شديداً لا يدخل تحت ضبط»[4].

لكن هذا لا يمنع من تعلم هذا العلم النبوي بشرط أن يكون لدى

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ١٨٤)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٦).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٦١٥).
(٣) السبعينية (٣٢٠).
(٤) الفروق (٤/ ٢٤٩).

طالبه قوة نفسٍ يستطيع بها ـ بعد توفيق الله ـ النبوغ فيه، كما سبق في قول القرافي، والتفرغ والانشغال، وصرف الهمة في قول ابن القيم على ألا يشغله طلب هذا العلم عن العلوم الشرعية الأخرى.

يقول أبو الليث السمرقندي: «ولو كان ذلك يشغله عن علم الفقه، فالكف عنه والاشتغال بعلم الفقه أفضل؛ لأن في علم الفقه معرفة أحكام الله تعالى، وعلم الرؤيا بمنزلة فأل يتفاءل به»[(١)].

روي عن أبي يوسف أنه سئل عن مسألة الرؤيا فقال: «حتى نفرغ من أمر اليقظة، ثم نشتغل بأمر النوم»[(٢)].

ولهذا يستحب لطالب العلم ألا يدرس هذا العلم إلا في مراحل متأخرة من الطلب؛ لأنه قد تكونت لديه حصيلة علمية في العلوم الشرعية الأخرى، من عقيدة، وفقه وأصوله، وحديث ومصطلحه، وقرآن وعلومه، ولغة، وأصبح لديه فهم لمقاصد الشريعة، ومعرفة بالمصالح والمفاسد، وغير ذلك.

قال في الإشارة: «وليس نوعٌ من العلم مما ينسب إلى الحكمة إلا يحتاج إليه في تأويل الرؤيا، حتى الحساب، وحتى الفرائض، والأحكام، والعربية وغرائبها لمعاني الأسماء وغيرها، وبما فيها من أمثال الحكمة، وشرائع الدين، والمناسك، والحلال والحرام، والصلاة، والصوم، والوضوء، وغير ذلك من العلم، والاختلاف فيه يقاس عليه ويؤخذ منه»[(٣)].

---

(١) هذا تحجير واسع، وسيأتي زيادة إيضاح في مبحث العمل بالتعبير، وما سيذكر قريباً في أصول علم التعبير.

(٢) تنبيه الغافلين، الباب الرابع والعشرون.

(٣) الإشارة في علم العبارة، ضمن ثلاثة كتب في الرؤى والأحلام، (١٨٨)، وانظر: عارضة الأحوذي (٩/ ١٥٢).

والكلام هنا في علم التعبير المكتسب، أما من وهبه الله ذلك، وتفضل عليه به، فعليه أن يكمل نفسه بالعلوم الشرعية كما قال عمر ﷺ: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا»، قال البخاري: «وبعد أن تُسَوَّدوا»(١).

لكن لا بدَّ أن يكون هذا العلم في الأمة باقٍ، فهو علمٌ يشعُّ بنور النبوة، فلا ينبغي إطفاء هذا النور.

والآن نعود إلى الكلام في أصول التعبير، فأقول وبالله التوفيق: سيكون الكلام مختصراً جداً في ضرب الأمثال، اكتفاءً بما هو مدوَّنٌ في كتب هذا العلم وغيرها، ولأن ذلك ليس مطرداً في كل مثل، ولأن غرض البحث التأصيل لا التفصيل.

**الأصل الأول**: أن يكون التعبير بدلالة القرآن الكريم، كالحبل يعبر بالعهد، يقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والسفينة تعبر بالنجاة، لقوله سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥].

**الأصل الثاني**: أن يكون التعبير بدلالة السنة، كالغراب يعبر بالرجل الفاسق؛ لأن النبي ﷺ سمَّاه: فاسقاً، والفأرة تعبر بالمرأة الفاسقة.

**الأصل الثالث**: التأويل بالأمثال، كالصائغ يعبر بالكذاب، لقولهم: أكذب الناس الصوَّاغون.

**الأصل الرابع**: التعبير بالأسامي، كمن رأى رجلاً يسمى: راشداً يعبر بالرشد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم، معلقاً بصيغة الجزم، قال ابن حجر: أخرجه ابن أبي شيبة وغيره، وإسناده صحيح. انظر: البخاري مع الفتح (١/١٩٩).

**الأصل الخامس**: التعبير بالمعنى، كالأترج يعبر بالنفاق، لمخالفة باطنه ظاهره، ويعبر بغير ذلك.

**الأصل السادس**: التأويل باختلاف حال الرائي كالغل في النوم مكروه، وهو في حق الرجل الصالح خير[1].

**الأصل السابع**: التأويل بالضد والقلب، كالخوف في المنام يعبر بالأمن، والعكس.

**الأصل الثامن**: التأويل بالفأل.

**الأصل التاسع**: التأويل باعتبار الزمان والمكان.

**الأصل العاشر**: التأويل باعتبار الزيادة والنقصان والعادة[2].

وهذه الأصول لا يتهيأ لكل أحدٍ درسها أن يكون معبراً كما سبق؛ لأن أصول هذا العلم غير مطردة.

قال أبو محمد بن قتيبة: «وليس فيما يتعاطى الناس من فنون العلم، ويتمارسون من صنوف الحِكَم، شيءٌ هو أغمض وألطف، وأجل وأشرف، وأصعب مراراً، وأشد إشكالاً من الرؤيا؛ لأنها جنسٌ من الوحي، وضربٌ من النبوة...

ولأن كل علمٍ يتطلب، فأصوله لا تختلف، ومقاييسه لا تتغير، والطريق إليه قاصدٌ، والسبب الدال عليه واحد، خلا التأويل، فإن الرؤيا تتغير عن أصولها باختلاف أحوال الناس، في هيئاتهم، وصناعاتهم، وأقدارهم، وأديانهم، وهممهم، وإراداتهم، وباختلاف الأوقات، والأزمان، فلأنها مرة مثل مضروب يعتبر بالمثل والنظير،

---

(١) شرح السنة (١٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤).

(٢) الإشارة في علم العبارة (١٦٤ ـ ١٨٩). وانظر: كتاب الشهاب العابر؛ البدر المنير في علم التعبير؛ وإعلام الموقعين (١/ ٢٤٦ ـ ٢٥٢)؛ والمقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات (١٢٠ ـ ١٦٦).

ومرة مثل مضروب يعتبر بالضد والخلاف، ومرة تنصرف عن الرائي لها إلى الشقيق، أو النظير، أو الرئيس، ومرة تكون أضغاثاً.

ولأن كل عالم بفنٍ من العلوم يستغني بآلة ذلك العلم لعلمه، خلا عابر الرؤيا، فإنه يحتاج أن يكون عالماً بكتاب الله ﷻ، وبحديث الرسول ﷺ ليعتبرهما في التأويل، وبأمثال العرب، والأبيات النادرة، واشتقاق اللغة، والألفاظ المبتذلة عند العوام.

وأن يكون مع ذلك أديباً لطيفاً ذكياً عارفاً بهيئات الناس وشمائلهم، وأقدارهم، وأحوالهم، عالماً بالقياس، حافظاً للأصول.

ولن تغني عنه معرفة الأصول؛ إلا أن يمده الله بتوفيق يسدد حكمه للحق، ولسانه للصواب، وأن يحضره الله تعالى تسديده حتى يكون طيب الطعمة، نقياً من الفواحش، طاهراً من الذنوب، فإذا كان كذلك، أفرغ الله عليه من التوفيق ذَنوباً، وجعل له من مواريث الأنبياء نصيباً»[(١)].

ونقل المُناوي[(٢)]، عن أبي سهل عيسى بن يحيى الطبيب النصراني[(٣)]، قال: «لكل علمٍ أصولٌ لا تتغير، وأقيسة مطردة لا تضطرب، إلا تعبير الرؤيا، فإنها تختلف باختلاف أحوال الناس، وهيئاتهم، وصناعتهم، ومراتبهم، ومقاصدهم، ومللهم، ونحلهم، وعاداتهم، وينبغي كون المعبر مطلعاً على جميع العلوم، عارفاً بالأديان

---

(١) تعبير الرؤيا (٧٢ ـ ٧٥).

(٢) محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، من كبار علماء الصوفية بالدين والفنون، له: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وسيرة عمر بن عبد العزيز، وغيرها، مات سنة (١٠٣١هـ). (الأعلام ٦/ ٢٠٤).

(٣) أبو سهل، حكيم، غلب عليه الطب علماً وعملاً، فصيح العبارة، جيد التصنيف، حسن الخط، له: أصول الطب، وإظهار حكمة الله في خلق الإنسان، وتعبير الرؤيا، وغيرها، مات سنة (٤٠١هـ). (الأعلام ٥/ ١١٠).

والملل والنحل، والمراسم والعادات بين الأمم، عارفاً بالأمثال والنوادر، ومآخذ اشتقاق الألفاظ، فطناً ذكياً حسن الاستنباط، خبيراً بعلم الفراسة، وكيفية الاستدلال من الهيئات الخلقية على الصفات، حافظاً للأمور التي تختلف باختلاف تعبير الرؤيا»(١).

وقال ابن شاهين(٢): «ولو اعتمد المعبِّرون على ما كتب في الكتب خاصة لعجزوا عن أشياء كثيرة لم تذكر في الكتب؛ لأن علم التعبير واختلاف رؤيا الناس كبحرٍ ليس له شاطئ»(٣).

وقال: «وقد اعتذرت أنه لو اعتمد المعبرون على كتب التعبير خاصة لعجزوا عن أشياء كثيرة، ولكن يحتاج المعبر أن يكون عالماً بأصول التعبير، ويعبر بما يظهر له من المعاني»(٤).

وقال التويجري: «وليعلم المتسرِّعون إلى تأويل الرؤيا أن ما ذكر... من التأويل ليس هو من التوقيف، الذي يقطع به في تأويل الأشياء التي ذكر فيه، وإنما هو من باب التقريب الذي قد يكون التأويل فيه صواباً، وقد يكون غير صواب.. إلى أن قال: فاتقوا الله أيها المتسرِّعون إلى تعبير الأحلام بغير علم، واعلموا أنكم ستُسألون عن تخرُّصاتكم يوم القيامة، ولا يأنف أحدكم أن يقول: لا أدري، فقد قال غير واحدٍ من العلماء، إن قول: لا أدري، نصف العلم»(٥).

---

(١) فيض القدير (٤/ ٤٩).

(٢) خليل بن شاهين الظاهري، أمير من المماليك، كان من المولعين بالبحث، له: المواهب في اختلاف المذاهب، وديوان شعر، وغيرها، توفي سنة (٨٧٣هـ). (الأعلام ٢/ ٣١٨).

(٣) الإشارات (٢٩).

(٤) المصدر السابق (٨٤٧).

(٥) كتاب الرؤيا (١٦٨)، وانظر: المقدمات الممهدات السلفيات (٩٧).

## المبحث السادس

# طرق التعبير

### * تمهيد *

قبل الكلام على طرق التعبير لا بدَّ من معرفة ستة أصول مهمة:

**الأصل الأول**: أن من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات.

**الأصل الثاني**: أنه ما من مزية ومنقبة أُعطيها الرسول ﷺ سوى ما وقع استثناؤه، إلا وقد أُعطيت أمته منها أنموذجاً، فهي عامة كعموم التكاليف، بالنسبة إلى الرسول ﷺ إلا ما خُصَّ به، وهذا يعلم بالاستقراء.

**الأصل الثالث**: أن كل خارقٍ إن لم يكن له أصل في آيات الأنبياء فهو مردود.

**الأصل الرابع**: أن الكشف مثل الرؤيا، منه رحماني، ومنه نفساني، ومنه شيطاني.

**الأصل الخامس**: أن عادة السلف إخفاء الكرامة وعدم تطلبها.

**الأصل السادس**: أن الأولياء يبتليهم الله بأعداء.



## الأصل الأول

### الإيمان بكرامات الأولياء

يقول ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة، التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[1].

وقال: «صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى[2]، وهذه لا تصح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيءٍ علماً، وهو على كل شيءٍ قدير، وهو غنيٌّ عن العالمين.

ولهذا لما طالب المشركون الرسول ﷺ بها أمره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] فأمره أن يُخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، ولا هو مَلَك غني عن الأكل والمال، إن

---

(١) الواسطية بشرح الهراس (٢٥٢)، وفي كثير من نسخ الواسطية المطبوعة: «وسائر فرق»، بدل «قرون»، وهذا غير مستقيم لوجوه منها:
١ ـ أن ذلك يخالف سياق الكلام؛ لأن المؤلف ذكر قرن الصحابة ﷺ، ثم قرن التابعين رحمهم الله.
٢ ـ أنَّ الكرامات لا تكون إلا لمن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ والصحابة ﷺ؛ لأنها من جنس آيات النبي ﷺ.
انظر: العقيدة الواسطية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص(٣٨، ١٢٣).

(٢) ولهذا يقولها العبد في دعاء الاستخارة. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٤١، ١٤٢).

هو إلا متَّبع لما أوحي إليه، واتباع ما أوحي إليه هو الدين، وهو طاعة الله، وعبادته علماً وعملاً، بالباطن والظاهر، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى، فيعلم منه ما علمه إياه، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب الناس»[١].

ويزداد الأمر وضوحاً فيما سيأتي في الأمر الثاني، وهو أن ما أعطيه الرسول ﷺ فلأمته نصيب منه.

قال ابن تيمية: «فما كان من الخوارق من باب العلم[٢] فتارةً بأن يسمع العبد ما لا يسمع غيره، وتارة بأن يرى ما لا يرى غيره يقظة ومناماً، وتارةً بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى: كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات.

فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله: كشفاً ومكاشفة؛ أي كشف له عنه.

وما كان من باب القدرة فهو التأثير، وقد يكون همةً وصدقاً، ودعوة مجابة، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال، مثل هلاك عدوه بغير أثر منه كقوله: «**مَن عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَد بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ**»[٣]، «**وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب**»[٤]، ومثل تذليل النفوس له، ومحبتها إياه، ونحو ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٢)؛ وانظر: الصفدية (١/ ١٨٣).
(٢) وهو ما يهمنا في هذا البحث، وسيأتي تفصيل ذلك في الأصل الثاني قريباً إن شاء الله.
(٣) أخرجه البخاري بنحوه في: الرقاق، باب التواضع، حديث (٦٥٠٢) ص(١٢٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه بنحوه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أنس رضي الله عنه. انظر: الحكيم الترمذي ومنهجه في نوادر الأصول ص٣١٢.

وكذلك ما كان من باب العلم والكشف قد يكشف لغيره من حاله بعض أمور، كما قال النبي ﷺ في المبشرات: «**هِيَ الرُّؤيَا الصَّالحِة يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَو تُرَى لَهُ**»، وكما قال النبي ﷺ: «**أَنتُم شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[(١)].

وكل واحد من الكشف والتأثير قد يكون قائماً به، وقد لا يكون قائماً به، بل يكشف الله حاله، ويصنع له من حيث لا يحتسب، كما قال يوسف بن أسباط: «ما صدق الله عبد إلا صنع له»[(٢)].

وقال أحمد بن حنبل: «لو وضع الصدق على جرحٍ لبرأ»، لكن من قام بغيره له من الكشف والتأثير فهو سببه أيضاً، وإن كان خرق عادة في ذلك الغير، فمعجزات الأنبياء وأعلامهم ودلائل نبوتهم تدخل في ذلك، ولقد جمع لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق»[(٣)].

«والكشف والتأثير يتنوع باعتبار الكلمات الكونية والكلمات الشرعية.

فالكلمات الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أَعُوذُ

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت، حديث (١٣٦٧) ص (٢٦٦)، من حديث أنس رضي الله عنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «**وجبت**»، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: «**وجبت؟**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما وجبت»، قال: «**هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، رقم (١٢١٥١)، (٨/ ٢٦٥)، بنحوه، ويوسف هو: ابن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، وثقه يحيى بن معين، وقال البخاري: كان قد دفن كتبه، فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي.اهـ. من أول من تكلم في أصول الفرق، وكان من خيار أهل زمانه، مات سنة (١٩٥هـ). تهذيب التهذيب (٨١٧٧)، (١١/ ٣٥٥)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٣)، وانظر: الصفدية (١/ ١٨٣).

بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِر»[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥]، والكون كله داخلٌ تحت هذه الكلمات وسائر الخوارق.

فكشف هذه يكون بالعلم بالحوادث الكونية، وقدرتها التأثير في الكونيات، وهي قسمان:

إما تأثير في نفس العبد، كمشيه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه في النار، وإما في غيره بإصحاح وإهلاك وإغناء وإفقار.

وكشف الكلمات الشرعية الدينية يكون بالعلم بالمأمورات الشرعية، وقدرتها التأثير في الشرعيات، وهي قسمان:

إما تأثيرٌ في نفس العبد بطاعة الله تعالى، ورسوله ﷺ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً.

وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله، فيطاع في ذلك طاعة شرعية»[٢].

وهنا أمرٌ وهو أن كرامات الأولياء، لا تبلغ آيات الأنبياء، فكشف الولي للحوادث الكونية لا يبلغ إلى مرتبة كشف النبي لها، كما أن الولي لا يبلغ إلى فضيلة وثواب النبي في الأمور الشرعية، ولكن قد يشارك

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب: في التعوذ من سوء القضاء، حديث (٦٨١٧) (١٧/٣٣) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٢٢٢)، وانظر: شرح الطحاوية، (ترتيب: خالد فوزي) (٣٨٨).

الولي في بعض آيات النبي، كما قد يشاركه في بعض أعماله؛ لأن ما حصل له من كرامة سببها متابعته للنبي.

وأمرٌ آخر هو أنَّ كرامات الأولياء من جنس آيات الأنبياء، ولهذا لا تقدر الجن والعفاريت على مثلها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، ولكن قول الذي عنده علمٌ من الكتاب: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، فهذا لا يقدر عليه العفريت(١).

فالخوارق التي تعطى للأولياء إنما سببها متابعتهم للأنبياء، فكما أن ما تقدم النبي من معجزاته، فكذلك ما تأخر عنه(٢)، ولهذا تبقى الكرامات في هذه الأمة إلى يوم القيامة، فيظهر مع الأفراد في أوقات الفترات، وأماكن الفترات من الخوارق ما لا يظهر لهم ولا لغيرهم من حال ظهور النبوة والدعوة(٣).

وهذا يفسر كثرة الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين(٤)، فإن الناس كلما كانوا إلى شيءٍ أحوج كان الله به أجود، ولهذا لما كان الصحابة ﷺ مستغنين في علمهم بدينهم، وعملهم به عن الآيات بما رأوه من حال الرسول، ونالوه من علم، صار كل من كان عنهم أبعد مع صحة طريقته يحتاج إلى ما عندهم في علم دينه وعمله(٥).

---

(١) انظر: النبوات (١٩، ٣٢٢)، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض.
(٢) النبوات (١٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٥).
(٤) المصدر السابق (١١/ ٢٨٣)، وانظر: مدارج السالكين (١/ ٦١).
(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٥).

## ❑ الأصل الثاني ❑

### أنه ما من مزية ومنقبة أعطيها الرسول ﷺ سوى ما وقع استثناؤه، إلا وقد أعطيت أمته منها أنموذجاً

فكما أن الأحكام والتكاليف عامة في جميع المكلفين على حسب ما كانت إلى رسول الله ﷺ إلا ما خُصَّ به، كذلك المزايا والمناقب فهي عامة كعموم التكاليف، وهذا يُعلم بالاستقراء كما قرَّره ابن العربي، وهو أن من سُنة الله تعالى التي جرت أنه إذا أعطى الله نبياً شيئاً أعطى أمته منه، وأشركهم معه فيه[(١)].

ومن الأمثلة على ذلك، وهي كثيرة جداً، ذكر منها الشاطبي[(٢)] ثلاثين مثالاً، نأخذ منها ما يخص البحث:

**المثال الأول**: الوحي وهو النبوة، وفي الأمة: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحِةِ جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وَأربَعينَ جُزءاً مِنَ النُّبوَّةِ»**.

**الثاني**: خوارق العادات، معجزات وكرامات للنبي ﷺ، وفي حق الأمة كرامات.

**الثالث**: مناجاة الملائكة، ففي النبي ﷺ ظاهر، وكانت الملائكة تكلم عمران بن حصين رضي الله عنه[(٣)]، وقد تقرر أنه ما من كرامة لولي إلا وهي آية لنبي.

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٤٩).

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، من علماء المالكية، له: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، والاتفاق في علم الاشتقاق، وغيرها، مات سنة (٧٩٠هـ). (الأعلام ١/ ٧٥).

(٣) أخرجه مسلم في الحج، باب: جواز المتعة، حديث (٢٩٦٤) (٨/ ٤٣١).

قال الشاطبي: «ومن تتبع الشريعة وجد من هذا كثيراً يدل على أن أمته تقتبس منه خيرات وبركات، وترث أوصافاً وأحوالاً موهوبة من الله تعالى ومكتسبة، والحمد لله على ذلك»(١).

والآيات التي أعطيها الأنبياء ﷺ، منها كبرى مختصة بهم، ومنها صغرى قد تكون للصالحين، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: «... ولكن آياتهم(٢) صغار وكبار، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]، فالآيات الكبرى مختصة بهم، وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيءٍ يسير(٣)، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، فهم مختصون إما بجنس الآيات، فلا يكون لمثلهم

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٥٩).

(٢) أي: الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

(٣) كما في قصة جابر بن عبد الله رضي الله عنه يوم الخندق، أخرجها البخاري في المغازي، باب: غزوة الخندق، حديث (٤١٠٢) (٧٨٠)، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لما حُفِرَ الخندقُ رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً، فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيءٌ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاعاً من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنتِ الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعاً من شعيرٍ كان عندنا، فتعال أنت ونفرٌ معك، فصاح النبي ﷺ فقال: **«يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحيَّ هلا بكم»**، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تنزلنَّ برمتكم، ولا تخبزنَّ عجينكم حتى أجيء»**، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: **«ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها»**، وهم ألف، فأقسم بالله، لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا، وإنَّ برمتنا لتغطُّ كما هي، وإن عجيننا ليُخبز كما هو».

كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير، وإما بقدرها وكيفيتها كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني[(١)] وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية، كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله»[(٢)].

وقد سبق أن صفات الكمال ترجع إلى ثلاث: العلم، والقدرة، والغنى، والذي يهمنا في هذا البحث هو صفة العلم، وقد منَّ الله تعالى على رسولنا ﷺ من ذلك بالشيء الكثير، سواء ما يتعلق بعلم الأمور الكونية، أو علم الأمور الشرعية.

والرسول ﷺ كان يسمع ما لا يسمع غيره، ويرى ما لا يرى غيره، يقظة ومناماً، وتارةً يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو بعلمٍ ضروري، أو فراسةٍ صادقة[(٣)]، والذي يعنينا هنا هو ما سمعه ورآه عليه الصلاة والسلام في اليقظة، فمن ذلك سماعه عليه السلام لحنين الجذع[(٤)]،

---

(١) عبد الله بن ثُوَب، وقيل: أثوب، ويقال: ابن عوف، أو ابن مشكم، ويقال: اسمه يعقوب بن عوف، ثقة، عابد، رحل إلى النبي ﷺ فلم يدركه، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (التقريب ٨٣٦٧، ص٦٧٣). وقصة إلقائه في النار أخرجها اللالكائي في كرامات الأولياء (١٤٤) (٢/ ٤٦١)، وأبو نعيم في الحلية، رقم (١٧٧٢) (٢/ ١٥٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٠١).

(٢) النبوات (٣٢٢).

(٣) انظر: الموافقات (٢/ ٢٦٣)، مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٣).

(٤) أخرج البخاري في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث (٣٥٨٣ ص٦٨٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحوَّل إليه، فحنَّ الجذع، فأتاه فمسح يده عليه».

وشكوى البعير[١]، وسلام الحجر[٢]، وتسبيح الحصى[٣]، وكلام الذراع المسموم[٤]، في أشياء يطول ذكرها، ومحلها كتب دلائل النبوة، وكتب السيرة النبوية.

ومما رآه يقظة بيت المقدس بعد حادثة الإسراء والمعراج[٥]، ورأى قصور الشام، وأبواب صنعاء، ومدائن كسرى وهو بالمدينة، يحفر الخندق[٦]، ورأى أمراءه بمؤتة وقد أصيبوا وهو بالمدينة[٧]، ورأى

---

(١) أخرج أحمد (٤/ ١٧٢)، والطبراني، حديث (٧٠٥) (٢٢/ ٢٧٥)، عن يعلى بن سيابة ﷺ، قال: «كنت مع النبي ﷺ في مسيرٍ له، فأراد أن يقضي حاجته، فأمر وديَّتين فانضمَّت إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما، وجاء بعيرٌ فضرب بجرَّانه إلى الأرض، ثم جرجر حتى ابتلَّ ما حوله، فقال النبي ﷺ: **«أتدرون ما يقول البعير؟ إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره ...»»** الحديث، والوديَّة: النخلة الصغيرة، قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن. اهـ.

(٢) أخرج مسلم في الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث (٥٨٩٨) (١٥/ ٣٨) من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»**.

(٣) أخرج ابن أبي عاصم في السنة، حديث (١١٤٦) (٥٢٩) عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: إني انطلقت ألتمس رسول الله ﷺ في بعض حوائط المدينة، فإذا رسول الله ﷺ قاعد، فأقبل إليه أبو ذر حتى سلم على النبي ﷺ، قال أبو ذر: وحصيات موضوعة بين يده، فأخذهن في يده فسبَّحن في يده، ثم وضعهنَّ في الأرض فسكتن... الحديث، قال الألباني: حديثٌ صحيح.

(٤) أخرج أبو داود في الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سمّاً... حديث (٤٥٠١) (١٢/ ١٥٠) من حديث أبي سلمة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، زاد: فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصليَّة سمَّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم، فقال: **«ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة ...»»** الحديث، وأصله في الصحيحين من حديث أنس ﷺ. انظر: البخاري، حديث (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(٥) أخرج البخاري في مناقب الأنصار، باب: حديث الإسراء، حديث (٣٨٨٦)، (٧٣٦) عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لما كذبتني قريش قمت في الحِجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه»**.

(٦) أخرجه أحمد (١٨٩٨)، ص(١٣٤٥).

(٧) أخرج البخاري في الجنائز، باب: الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، حديث =

جبريل على صورته(١)، والجنة والنار، والشيطان الذي جاء في صلاته(٢)، وغير ذلك.

وقد تقرر أن الصالحين يشاركون الأنبياء في بعض آياتهم على حسب إيمانهم، ولا أحد منهم يصل إلى درجة النبي في الإيمان، فكذلك في الآيات.

يقول ابن تيمية: «وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم، فمثل قول عمر في قصة سارية(٣)، وإخبار أبي بكر بأن

---

= (١٢٤٦) (٢٤٤) عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«أخذ الراية زيدٌ فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب،** ـ وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ـ **ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له»**.

(١) أخرج البخاري في التفسير، باب: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾، عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

(٢) أخرج البخاري في العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من العمل في الصلاة، حديث (١٢١٠) (٢٣٧) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة، قال: **«إنَّ الشيطان عرض لي، فشدَّ عليَّ ليقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه فذعتُّه، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا، فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان** عليه السلام ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ **فردَّه الله خاسئاً»**، فذعتُّه ـ بالذال ـ: أي: خنقته.

ولمزيد من هذه الآيات الباهرات، انظر: دلائل النبوة لسعيد باشنفر، فقد أورد فيه أكثر من (١٤٠٠) دلالة من دلائل نبوة نبينا ﷺ.

(٣) أخرج البيهقي في الاعتقاد (٤٣٠) عن عبد الله بن عمر ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ بعث جيشاً، وأمَّر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب، قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، قال: فقدم رسول الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا من عدوِّنا فهزمونا، وإن الصائح ليصيح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فشددنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله، فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك. اهـ. وقد حسنه الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ٩٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٢٩)، ووافقهما الألباني في الصحيحة (٣/ ١٠١)، وانظر: فرائد القلائد على أحاديث شرح العقائد (٧٧)، وتخريج أحاديث شرح العقائد (٦٤).

ببطن زوجته أنثى[١]، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام[٢] إلى أن قال رحمه الله: وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس»[٣].

ومن هذا الباب أن يرى معبر الرؤيا تعبيرها في صورة أمامه، أو كتابة، أو يسمع صوتاً، فهذا لا شيء فيه البتة، وهو ساري على القواعد المقررة من النصوص، قال الإمام محمد بن سيرين: «ما قُصَّت عليَّ رؤيا إلا وكأني أنظر إليها في كفي»[٤].

ويقول العز بن عبد السلام: «والعلوم أقسام.. ذكر الأول والثاني، ثم قال: الثالث: علومٌ يمنحها الأنبياء، والأولياء، بأن يخلقها الله فيهم من غير ضرورة، ولا نظر، وهي ضربان:

---

(١) أخرجه اللالكائي في كرامات الأولياء، برقم (٦٨، ٦٩) (٢/٤٢٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه نحلها جذاذ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنيَّة، ما من الناس أحب إليَّ غنًى بعدي منك، ولا أعز عليَّ فقراً منك، إني كنت نحلتك جذاذ عشرين وسقاً، فلو كنت جذذتيه واحتزيتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاكِ، فاقتسموا على كتاب الله عز وجل، قالت عائشة: يا أبت، لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة، أراها جارية.اهـ.
قال المحقق: صحيح موقوف.اهـ. قال اللالكائي: هي كانت زوجة أبي بكر، وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد من بني زهير من بني الحارث بن الخزرج، وكانت حاملاً حين توفي أبو بكر رضي الله عنه، فولدت بعده أم كلثوم، فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فصدَّق الله ظنَّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما قاله، وجعل ذلك كرامة له فيما أخبر به قبل ولادتها، وأنها أنثى، وليست بذكر.اهـ.

(٢) صاحب موسى هو الخضر عليه السلام، وهذا على القول بأنه وليٌّ وليس بنبي.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٣١٨)، وانظر: المزيد من الأمثلة (١١/٢٧٦، ٢٨٢) وكرامات الأولياء للالكائي، وقطر الولي (٢٦٢، ٢٧٢)، ودلائل النبوة، ص(٦٨١ ـ ٧٦٤).

(٤) تفسير الأحلام (٣٥)، وسواء صَحت هذه العبارة عنه أم لم تصح، فالنصوص لا تمنع من ذلك.

**الضرب الأول**: وذكره، ثم قال:

**الضرب الثاني**: علوم إلهامية، يكشف بها عما في القلوب، فيرى أحدهم بعينيه من الغائبات ما لم تجر العادة بسماع مثله، وكذلك شمه ومسه ولمسه، وكذلك يدرك بقلبه علوماً متعلقة بالأكوان، وقد رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، ومنهم من يرى الملائكة والشياطين، والبلاد النائية، بل ينظر إلى ما تحت الثرى، ومنهم من يرى السماوات وأفلاكها وكواكبها، وشمسها، وقمرها على ما هي عليه، ومنهم من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ ما فيه، وكذلك يسمع أحدهم صرير الأقلام، وأصوات الملائكة والجان، ويفهم منطق الطير، فسبحان من أعزهم وأدناهم، وأذل آخرين وأقصاهم، ﴿... وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]»[١].

ونقل ابن أبي جمرة[٢] عن ابن عباس أو غيره أنه رأى النبي ﷺ في النوم، فبقي بعد أن استيقظ متفكراً في هذا الحديث[٣]، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة[٤]، فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي ﷺ فنظر فيها فرأى صورة النبي ﷺ، ولم ير صورة نفسه، وقد أحال ابن أبي جمرة هذا على كرامات الأولياء[٥].

---

(١) قواعد الأحكام (١٣٩، ١٤٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٤)، والروح (٥٩٣)، وقطر الولي (٢٥٤، ٢٥٧).

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الملك الأموي بالولاء، فقيه مالكي، من أعيان الأندلس، له: نتائج الأبكار، ومناهج النظار في معاني الآثار، وإقليد التقليد، والبرنامج المقتضب من كتاب الإعلام بالعلماء الأعلام، وغيرها، مات سنة (٥٥٩هـ). (الأعلام ٥/ ٣١٩).

(٣) أي: حديث رؤية النبي ﷺ في المنام.

(٤) ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوج النبي ﷺ، تزوجها بسَرَف سنة سبع، وماتت بها ـ ودفنت ـ سنة (٥١هـ) على الصحيح. (التقريب ٧٥٣، ٨٦٨٨).

(٥) فتح الباري (١٢/ ٤٠٢).

## ◻ الأصل الثالث ◻

### أن كل خارقٍ إن لم يكن له أصلٌ في آيات الأنبياء فهو مردود[١]

وبيان ذلك أنه ما من كرامة لولي إلا وهي آية لنبي، وأن كرامات الأولياء من جنس آيات الأنبياء، وأن الكرامة تدل على صحة الدين الذي جاء به النبي، ولا تدل على أن الولي معصوم، ولا أنه تجب طاعته في كل ما يقول[٢].

وبعد هذا، فكل خارقة صدرت على يد أحد، فإن كان لها أصلٌ في كرامات الرسول ﷺ ومعجزاته فهي صحيحة، وإن لم يكن لها أصلٌ فغير صحيحة، وإن ظهر ببادئ الرأي أنها كرامة، إذ ليس كل ما يظهر على يد الإنسان من الخوارق بكرامة، بل منها ما يكون كذلك، ومنها ما لا يكون كذلك[٣].

والخوارق التي تظهر على يد بعض الناس ثلاثة أقسام:

محمود في الدين، ومذموم في الدين، ومباح لا محمود، ولا مذموم في الدين، فإن كان المباح فيه منفعة كانت نعمة، وإن لم يكن فيه منفعة كان كسائر المباحات، التي لا منفعة فيها، كاللعب والعبث[٤].

فالخوارق بأنواعها الثلاثة تدخل تحت مقتضى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فمن الناس من تكون خوارقه دينية شرعية تدخل تحت مقتضى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومنهم من تكون خوارقه كونية قدرية تدخل تحت مقتضى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومنهم من يجتمع له الأمران: الخوارق العبادية الدينية الشرعية، والخوارق الكونية القدرية.

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٦٢).

(٢) النبوات (١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٤٤٣)، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض.

(٣) الموافقات (٢/ ٢٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٠).

**فالأول**: وهو الخارق المتعلق بالدين فقط، فيكون منه ما لا يحتاج إلى الخارق الكوني، ولا له فيه منفعة كما لكثيرٍ من الصحابة والتابعين، وصالحي المسلمين، وعلمائهم وعبَّادهم، مع أنه لا بدَّ أن يكون لهم حاجة أو انتفاعاً بشيءٍ من الخوارق، وقد يكون منهم من لا يستعمل أسباب الكونيات ولا عمل بها، فانتفاء الخارق الكوني في حقه إما لانتفاء سببه، وإما لانتفاء فائدته، وهذا لا يكون نقصاً، وأما انتفاؤه لانتفاء سببه فقد يكون نقصاً إذا كان مخلّاً بفعل واجبٍ وترك محرم، وقد لا يكون نقصاً لعدم اشتغاله بالكونيات التي لا يكون عدمها منقصاً للثواب، مثل من يمرض ولده ويذهب ماله، فلا يدعو الله ليعافي ولده أو يجيء ماله، وهذا غالب حال أهل العبادة.

**أما الثاني**: وهو الخارق المتعلق بالكون فقط، فهذا تارة يكون زيادة في دينه، وتارة يكون نقصاً، وتارة لا له ولا عليه، وهذا غالب حال أهل الاستعانة، وهو بمنزلة الملك والسلطان الذي قد يكون صاحبه خليفة نبياً فيكون خير أهل الأرض، وقد يكون ظالماً من شر الناس، وقد يكون ملكاً عادلاً فيكون من أوساط الناس، فإن العلم بالكونيات والقدرة على التأثير فيها بالحال والقلب كالعلم بأحوالها، والتأثير فيها بالملك وأسبابه، فسلطان الحال والقلب كسلطان الملك واليد، إلا أن أسبابه باطنة روحانية، وأسباب ذاك ظاهرة جثمانية.

**والقسم الثالث**: هو مقتضى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وهو حال نبينا محمد ﷺ والخواص من أمته المتمسِّكين بشرعه ومنهاجه باطناً وظاهراً، فإن كراماتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة، فالحجة ليظهر بها دين الله، ليؤمن الكافر، ويخلص المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فكانت فائدتها اتباع دين الله علماً وعملاً، كالمقصود بالجهاد.

والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليها كالطعام والشراب وقت الحاجة إليه، أو دفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي رماهم به فقيل له: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وفي هذا القسم يجتمع الأمران بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكوني ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي، وهو علم الدين، والعمل به والأمر به، ويؤتى من علم الدين والعمل به، ما يستعمل به في الكشف والتأثير الكوني، بحيث تقع الخوارق الكونية تابعة للأوامر الدينية، بحيث ينال من العلوم الدينية ومن العمل بها، ومن الأمر بها، ومن طاعة الخلق فيها، ما لم ينله غيره في مطرد العادة، فهذه أعظم الكرامات والمعجزات، وهو حال نبينا محمد ﷺ، وأبي بكرٍ الصديق وعمر.

ولهذا نجد كثيراً من المنحرفين من هذه الأمة إلى العيسوية يفرون من القرآن والقال إلى الحال، كما أن المنحرفين منا إلى الموسوية يفرون من الإيمان والحال إلى القال، ونبينا محمد ﷺ صاحب القال والحال، وصاحب القرآن والإيمان.

إذاً فالخوارق في مرتبة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والدين في مرتبة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والدين هو إقامة العبودية، وهو فعل ما عليك وما أمرت به، والخوارق من حق الربوبية إذ لم يؤمر العبد بها، وإن كانت بسعي من العبد فإن الله هو الذي يخلقها بما ينصبه من الأسباب.

فأما الخارق الذي لم يعن الدين فإما متاع دنيا، أو مبعد صاحبه عن الله تعالى[١].

يقول الشاطبي: «وبيان ذلك بالمثال، أن أرباب التصريف

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٠ ـ ٣٣٤) مع تصرف.

بالهمم، والتقربات بالصناعة الفلكية، والأحكام النجومية، قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة، وهي كلها ظلماتٌ بعضها فوق بعض، ليس لها في الصحة مدخل، ولا يوجد منها في كرامات النبي ﷺ منبع؛ لأنه إن كان ذلك بدعاءٍ مخصوص، فدعاء النبي ﷺ لم يكن على تلك النسبة، ولا تجري فيه تلك الهيئة، ولا اعتمد على قران في الكواكب، ولا التمس سعودها أو نحوسها، بل تحرَّى مجرد الاعتماد على من إليه يرجع الأمر كله، واللجأ إليه، معرضاً عن الكواكب، وناهياً عن الاستناد إليها، إذ قال: «**أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر...**» الحديث، وإن تحرَّى وقتاً، أو دعا إلى تحرِّيه فلسبب بريءٍ من هذا كله، كحديث التنزل[1]، وحديث اجتماع الملائكة طرفي النهار[2]، وأشباه ذلك.

وكذلك الأدعية التي لا تجد مساقها في متقدم الزمان ولا متأخره، ولا مستعمل النبي ﷺ والسلف الصالح، والتي روعي فيها طبائع الحروف في زعم أهل الفلسفة، ومن نحا نحوهم مما لم يقل به غيرهم.

وإن كان بغير دعاءٍ كتسليط الهمم على الأشياء حتى تنفعل فذلك

---

(١) حديث النزول من الأحاديث المتواترة المشهورة، رواه ما يقارب ثلاثين صحابياً، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»، أخرجه البخاري، في التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، حديث (١١٤٥) (٢٢٦). انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية، وصفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، للدكتور: عبد القادر الغامدي.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، حديث (٥٥٥) (١٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**».

غير ثابت النقل، ولا تجد له أصلاً، بل أصل ذلك حالٌ حكمي، وتدبير فلسفي لا شرعي، هذا وإن كان الانفعال الخارق حاصلاً به، فليس بدليلٍ على الصحة، كما أنه قد يتعدى ظاهراً بالقتل والجرح، بل قد يوصل بالسحر والعين إلى أمثال ذلك، ولا يكون شاهداً على صحته، بل هو باطل صرف، وتعدٍّ محض، وهذا الموضع مزلة قدم للعوام ولكثيرٍ من الخواص، فليتنبه له»[١].

قلت: وبهذا يعلم بطلان ما قرره بعض العلماء من جواز تعلم السحر وتعليمه[٢].

ويدخل في هذا الباب ما دخل على أهل الإسلام من بلاد الكفار من العلوم التي لها تأثيرٌ على النفوس مثل: الروحية الحديثة، وعلم التنويم المغناطيسي، والتخاطب عن بعد، ورياضة النفوس الموجودة في اليوجا، وما يفعله الصوفية في بداية الطلب، وما ذكره ابن خلدون في «المقدمة»[٣] من أنواع ادعاء علم الغيب، وقراءة الفنجان، والكف، والخط في الرمل، والعرافة، والتنجيم، وعلم البرمجة العصبية NLP، وبعض نظريات علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وغيرها.

وليس كل علم حرِّم من أجل استخدام الجن فيه، بل بعض العلوم محرمة لما فيها من مشقة على البدن، وخداع للخلق، وابتزاز أموالهم بالباطل.

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٦٢).

(٢) منهم: الرازي، والبيضاوي. انظر: كتاب السحر بين الحقيقة والخيال (١٤٨)؛ وموقف الإسلام من السحر (٢/ ٥٦١)، وموقف ابن تيمية من السحر والكهانة (١/ ٣٦٥).

(٣) (١/ ١١٤).

يقول ابن تيمية: «وأما الكشف والتأثير، فإن لم يقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، أما الآخرة فلعدم الدين، الذي هو أداء الواجبات، وترك المحرمات، وأما الدنيا فإن الخوارق هي من الأمور الخطرة التي لا تنالها النفوس إلا بمخاطرات في القلب والجسم والأهل والمال، فإنه من سلك طريق الجوع والرياضة المفرطة، خاطر بقلبه ومزاجه ودينه، وربما زال عقله ومرض جسمه، وذهب دينه، وإن سلك طريق الوله والاختلاط بترك الشهوات ليتصل بالأرواح الجنية، وتغيب النفوس عن أجسامها، فقد أزال عقله وأذهب ماله ومعيشته، وأشقى نفسه شقاءً لا مزيد عليه، وعرَّض نفسه لعذاب الله في الآخرة، لما تركه من الواجبات، وما فعله من المحرمات، وكذلك إن قصد تسخير الجن بالأسماء والكلمات من الأقسام والعزائم، فقد عرض نفسه لعقوبتهم ومحاربتهم، بل لو لم يكن الخارق إلا دلالة صاحب المال المسروق والضال على ماله، أو شفاء المريض، أو دفع العدو من السلطان والمحاربين، فهذا القدر إذا فعله الإنسان مع الناس، ولم يكن عمله ديناً يتقرب به إلى الله كان كأنه قهرمان[1] للناس يحفظ أموالهم، أو طبيب، أو صيدلي يعالج أمراضهم، أو أعوان سلطان يقاتلون عنه، إذ عمله من جنس عمل أولئك سواء.

ومعلومٌ أن من سلك هذا المسلك على غير الوجه الديني فإنه يحابي بذلك أقواماً ولا يعدل بينهم، وربما أعان الظلمة بذلك كفعل بلعام[2]، وطوائف من هذه الأمة وغيرهم، وهذا يوجب له عداوة الناس

(١) القهرمان: أمين الملك، ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه. (المعجم الوسيط) ٧٦٤).

(٢) بلعام بن باعوراء، من بني إسرائيل، في زمن موسى عليه السلام.
انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٠).

التي هي من أكثر أسباب مضرة الدنيا، ولا يجوز أن يحتمل المرء ذلك إلا إذا أمر الله به ورسوله؛ لأن ما أمر الله به ورسوله وإن كان فيه مضرة فمنفعته غالبة على مضرته والعاقبة للتقوى»[(١)].

وبعد هذا التقرير، وأن كل كرامة لولي فهي من جنس آية النبي، وأن كل خارقٍ إن لم يكن من جنس آية النبي فهو باطلٌ ومردود، لعل قائلاً يقول[(٢)]: قد ظهرت على أيدي الأمة أمورٌ لم تظهر على يد النبي ﷺ، ولا سيما الخواص التي اختص بها بعضهم، كفرار الشيطان من ظل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد نازع النبي في صلاته، وقال لعمر: «**ما سلكت فجّاً إلا سلك الشيطان فجّاً غير فجّك**»[(٣)]، وجاء في عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**أن ملائكة السماء تستحي منه**»[(٤)]، ولم يرد مثل هذه بالنسبة إلى النبي ، وجاء في أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، أنهما خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ مظلمة فإذا نورٌ بين أيديهما[(٥)]، ولم يؤثر ذلك عنه عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من المنقولات عن الصحابة ومن بعدهم مما لم ينقل أنه ظهر مثله على يد النبي ﷺ.

فيقال: الجواب على هذا الاعتراض من وجهين:

**الوجه الأول**: ما قرره الشاطبي في «الموافقات» في أن ما نقل من

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٠).

(٢) أورد هذا الاعتراض الشاطبي في الموافقات (٢/ ٢٥٩)، وأجاب عنه وعن الأمثلة التي ذكرها رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث (٣٦٨٣) (٧٠٣).

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل، باب: من فضائل عثمان، (٢٤٠١)، ص(١٤٦٦).

(٥) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب: منقبة أسيد بن حضير، وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهما (٣٨٠٥)، ص(٧٢٣).

جزئيات هذه الخوارق فهي داخلة تحت كليات ما نقل عن النبي ﷺ، غير أن أفراد الجنس وجزئيات الكلي، قد تختص بأوصافٍ تليق بالجزئي من حيث هو جزئي، وإن لم يتصف بها الكلي من جهة ما هو كلي، ولا يدل ذلك على أن للجزئي مزية على الكلي، ولا أن ذلك في الجزئي خاصٌّ به لا تعلق له بالكلي، كيف والجزئي لا يكون كلياً إلا بجزئي[(١)]، إذ هو من حقيقته وداخل في ماهيته، فكذلك الأوصاف الظاهرة على الأمة، لم تظهر إلا من جهة النبي ﷺ، فهي كالأنموذج من أوصافه عليه الصلاة والسلام، وكراماته[(٢)].

**الوجه الثاني**: تقرر أن كرامات الأولياء من جنس آيات الأنبياء، وما من آية لنبيٍّ من الأنبياء السابقين إلا ولرسول الله مثلها، وما لم يحصل منها لرسولنا ﷺ مثل الإلقاء في النار، فقد حصل لأتباعه كأبي مسلم الخولاني، وكذلك فلق البحر لموسى عليه السلام، فقد حصل ما هو من جنسه، وهو المشي على الماء، كما حصل للعلاء بن الحضرمي، وغيرها كثير.

فإذا أكرم أتباع الرسول ﷺ بجنس هذا الأمر الخارق للعادة، دل ذلك على أن دين النبي ﷺ حق؛ لأنه مؤيد بجنس هذه الآية، فالآيات التي كانت للأنبياء السابقين، كان من جنسها للنبي ﷺ أو لأمته[(٣)].

«والدليل على صحة ذلك أن شيئاً من الكرامات لا يحصل إلا على مقدار الاتباع والاقتداء بالنبي، ولو كانت ظاهرة للأمة على فرض

---

(١) قال الدكتور عبد الله دراز: لعل الصواب: «لا يكون جزئياً إلا بالكلي».
(٢) الموافقات (٢/ ٢٦٠).
(٣) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢).

الاختصاص بها، والاستقلال لم تكن المتابعة شرطاً فيها»[(١)].

* **تنبيه:**

تقرر لدينا أن ما حصل من كرامة للولي هي بسبب متابعته للنبي، وأن كرامة الولي لا تبلغ في قدرها آية النبي، كما أن الولي لا يبلغ في إيمانه إلى إيمان النبي، ولهذا خصَّ الله تعالى الأنبياء بآياتٍ كبرى لا تكون للأولياء، كما اختصَّهم سبحانه بكمال الإيمان والتقوى، ولهذا لا يكون الولي معصوماً كالنبي، ولا تجب طاعته في كل ما يقول.

يقول ابن تيمية: «فليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم، بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٣٥﴾ [الزمر: ٣٣ ـ ٣٥]، فقد وصفهم الله بأنهم هم المتقون، «والمتقون» هم أولياء الله، ومع هذا فأخبر أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، وهذا أمرٌ متفق عليه بين أهل العلم والإيمان.

وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون أنهم من الأولياء»[(٢)].

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٦٠)، انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٦ ـ ٦٧)، وانظر: (١١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، (١٠/ ٦٩٣)، وقطر الولي (٢٥٥).

## ❏ الأصل الرابع ❏

### أن الكشف مثل الرؤيا منه رحماني، ومنه نفساني، ومنه شيطاني[١]

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزءٌ من خمسٍ وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصلِّ ولا يحدث بها أحداً**»[٢].

يقول ابن تيمية: «وإذا كانت الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، ورؤيا من حديث النفس، ورؤيا من الشيطان، فكذلك ما يلقى في نفس الإنسان في حال يقظته ثلاثة أقسام، ولهذا كانت الأحوال ثلاثة: رحماني، ونفساني، وشيطاني، فإن الملك له قوة، والنفس لها قوة، والشيطان له قوة، وقلب المؤمن له قوة، فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق، وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل.

وقد إشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة، فلم يفرقوا بين أولياء الله، وأعداء الله، بل صاروا يظنون في من هو من جنس المشركين والكفار... إنه من أولياء الله المتقين.

قال: ولهذا كثيرٌ من أهل الزهد والعبادة يكون من أعوان الكفار، ويزعم أنه مأمورٌ بذلك، ويخاطب به، ويظن أن الله هو الذي أمره بذلك، والله منزَّهٌ عن ذلك، وإنما الآمر له بذلك النفس والشيطان، وما

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في الرؤيا، باب: في كون الرؤيا من الله، وأنها جزءٌ من النبوة، حديث (٥٨٦٥) (١٥/ ٢٣).

في نفسه من الشرك، إذ لو كان مخلصاً لله الدين لما عرض له شيءٌ من ذلك، فإن هذا لا يكون إلا لمن فيه شركٌ في عبادته، أو عنده بدعة، ولا يقع هذا لمخلص متمسك بالسنة البتة»[١].

«ولهذا فإن المكاشفات يقع فيها من الصواب والخطأ نظير ما يقع في الرؤيا وتأويلها، والرأي والرواية، وليس شيءٌ معصوماً على الإطلاق، إلا ما ثبت عن الرسول ﷺ، ولهذا يجب رد جميع الأمور إلى ما بعث به، ولهذا كان الصِّديق المتلقي عن الرسول كل شيءٍ، مثل أبي بكر أفضل من المحدَّث عمر، وكان الصِّديق يبين للمحدَّث المواضع التي اشتبهت عليه، حتى يرده إلى الصواب، كما فعل أبو بكر بعمر يوم الحديبية، ويوم موت النبي ﷺ في قتال مانعي الزكاة، وغير ذلك»[٢].

وقال ابن القيم: «قال شيخنا: والصِّديق أكمل من المحدَّث؛ لأنه استغنى بكمال صدِّيقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، فإنه قد سلَّم قلبه كله، وسره وظاهره وباطنه للرسول، فاستغنى به عما منه[٣].

قال: وكان هذا المحدَّث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول، فإن وافقه قبله، وإلا رده، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث»[٤].

وقال: «والرؤيا كالكشف، منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٢) وانظر: (١٧/ ٥٣٢).
(٢) المصدر السابق (١١/ ٤٢٨، ٤٢٩).
(٣) قال المحقق: كذا في الأصل، ولعل الصواب: لرسالة الرسول فاستغنى بها عن التحديث؛ لأن الصديقية تكون أيضاً بعد موت الرسول. اهـ. **قلت**: لعلها: فاستغنى به عما سواه.
(٤) المدارج (١/ ٥٠)، وانظر في هذا كلاماً مسهباً لابن تيمية في: الصفدية (٢٥٢ _ ٢٥٥).
(٥) المرجع السابق (١/ ٦٢).

«وفي الصحيح أن الرؤيا قد تكون حقاً، وهي المعدودة من النبوة، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون من حديث النفس، والتمييز مشكل[(١)] . . . . هذا حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف إن كان في معناها، فأما إن كان دونها فالأمر واضح، وتجد في كلام المتصوفة أن الكشف قد يكون حقاً، وقد يكون من الشيطان، وقد يكون تخيلاً موافقاً لحديث النفس»[(٢)].

«والمكاشفة الصحيحة هي: علوم يحدثها الرب ﷻ في قلب العبد، ويطلعه بها على أمورٍ تخفى على غيره، وقد يواليها، وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها، ويواريها عنه بالغَين الذي يغشى قلبه، وهو أرق الحجب، أو بالغيم وهو أغلظ منه، أو بالران وهو أشدها»[(٣)].

ولهذا كان المقياس في قبول المكاشفات عرضها على الكتاب

---

(١) ليس بمشكل ولله الحمد، وبيان ذلك أن ما يلقى في النفس، يقظة أو مناماً يكون إلهاماً أو وسوسةً، فالإلهام من الله تعالى مباشرة، أو بواسطة الملائكة، والوسوسة من الشيطان، قال ابن القيم: «والفرق بين إلهام الملك، وإلقاء الشيطان، من وجوه **منها**: أن ما كان لله موافقاً لمرضاته، وما جاء به رسوله فهو من المَلَك، وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من إلقاء الشيطان.
**ومنها**: أن ما أثمر إقبالاً على الله، وإنابة إليه، وذكراً له، وهمةً صاعدة إليه فهو من إلقاء الملك، وما أثمر ضد ذلك فهو من إلقاء الشيطان.
**ومنها**: أن ما أورث أنساً ونوراً في القلب وانشراحاً في الصدر، فهو من الملك، وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان.
**ومنها**: أن ما أورث سكينة وطمأنينة فهو من الملك، وما أورث قلقاً وانزعاجاً واضطراباً فهو من الشيطان». (الروح ٦٣٣) وانظر: (مجموع الفتاوى ٤/ ٣١ ـ ٣٤، ١٧/ ٥٢٩ ـ ٥٣٢).

(٢) التنكيل للمعلمي (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، وتقسيم الكشف إلى ثلاثة أقسام ليس من كلام المتصوفة فحسب. انظر: تقويم الأدلة لأبي زيد الدبوسي (٢/ ٧٦٧ ـ ٧٩٧)، وقواطع الأدلة للسمعاني (٥/ ١٣١).

(٣) المدارج (٣/ ٢٣٣).

والسنة، فما وافقها فهو حق وصدقٌ وكرامة من الله تعالى، وما خالفها فهو مكرٌ واستدراج من الشيطان[١].

قال ابن كثير في حوادث سنة سبعٍ وخمسين وستمائةٍ، في ترجمة الشيخ: يوسف الأقميني، قال: «كانَ يلبس ثياباً طوالاً تحف على الأرض، ويبول في ثيابه، ورأسه مكشوفة، ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، كالرهبان وغيرهم، وكالدجال وابن صيَّاد... فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسي، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة، فلا بدَّ من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو رجلٌ صالح سواء كاشف أو لم يكاشف، ومن لم يوافق فليس برجلٍ صالح، سواء كاشف أم لا، قال الشافعي: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة»[٢].

ويقول ابن القيم في الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، أنه إذا اشتبه عليك الرجل «فاكشفه في ثلاثة مواطن: في صلاته، ومحبته للسنة وأهلها، ونفرته عنهم، ودعوته إلى الله ورسوله، وتجريد التوحيد، والمتابعة، وتحكيم السنة، فزنه بذلك ولا تزنه بحال، ولا كشف، ولا خارق، ولو مشى على الماء، وطار في الهواء»[٣].

---

(١) انظر: قطر الولي (٢٤٩)، والموافقات (٢/ ٢٧٨).

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٩).

(٣) الروح (٦٥٣).

## ❐ الأصل الخامس ❐

## أَنَّ مِن عَادَةِ السَّلَفِ إِخفَاءُ الكَرَامَةِ، وَعَدَمُ تَطَلُّبِهَا

آيات وبراهين نبينا محمد ﷺ كانت «لحجة في الدين، أو لحاجة المسلمين، فالحجة ليظهر بها دين الله ليؤمن الكافر، ويخلص المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فكانت فائدتها اتباع دين الله علماً وعملاً، كالمقصود بالجهاد، والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليها كالطعام والشراب وقت الحاجة، أو دفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي رماهم به، فقيل له: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[(١)] [الأنفال: ١٧]، وهذا يفسر لنا حث الرسول لأصحابه ﷺ الكرام رضوان الله عليهم، ولأمته على الأخذ بالأسباب، مع التوكل على الملك الوهاب.

ومن ذلك بعثه معاذ بن جبل رضي الله عنه، إلى اليمن للدعوة والتكسب، بعدما رهقه الدين ولم يسامح أهله، مع أن الرسول شفع في ذلك، «وقد ظاهر بين درعين، وشاور طبيبين، واختفى في الغار، وقال: من يحرسني الليلة، وأمر بغلق الباب...، ولقد كان آدم عليه السلام حرَّاثاً، ونوح وزكريا عليهما السلام نجارين، وإدريس عليه السلام خيَّاطاً، وإبراهيم ولوط عليهما السلام زراعين، وصالح عليه السلام تاجراً، وكان سليمان عليه السلام يعمل الخوص، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة، صلوات الله عليهم أجمعين»[(٢)].

قال ابن تيمية: «فمن يجتمع له الأمران؛ بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكوني ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي، وهو علم الدين والعمل به، والأمر به، ويؤتي من علم الدين والعمل به، ما يستعمل به

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٥)، وانظر: زاد المعاد (٣/ ٦٢٧)، والموافقات (٢/ ٢٧٤).
(٢) تلبيس إبليس (٣١٤، ٣١٨).

الكشف والتأثير الكوني، بحيث تقع الخوارق الكونية تابعة للأوامر الدينية، أو أن تخرق له العادة في الأمور الدينية إلى أن قال: وهو حال نبينا محمد ﷺ، والخواص من أمته المتمسكين بشرعته ومنهاجه باطناً وظاهراً، فإن كراماتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة»(١).

وعند مسلم من حديث مطرف(٢) قال: «بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه، فقال: إني كنت محدثك بأحاديث، لعل الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشت فاكتم عني، وإن مت فحدِّث بها إن شئت، إنه قد سُلِّم عليَّ...» الحديث.

قال النووي: «أما قوله: فإن عشت فاكتم عني، فأراد به الإخبار بالسلام عليه؛ لأنه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته لما فيه من التعرض للفتنة، بخلاف ما بعد الموت»(٣).

وعندما طلب الصحابة ﭫ من البراء بن مالك(٤) أن يقسم على ربه استجاب لهم، لكن طلب الشهادة مع هذا القسم(٥)، وأويس

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٥).

(٢) مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري، الحَرَشي، أبو عبد الله البصري، ثقة، عابد، فاضل، مات سنة (٩٥هـ). (التقريب ٦٧٠٦، ٥٣٤).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٨/ ٤٣٢)، وانظر: الموافقات (٢/ ٢٧٣).

(٤) البراء بن مالك الأنصاري، أخو أنس بن مالك ﭭ، شهد أحداً فما دونها من المشاهد، أحد الشجعان الفرسان، استشهد يوم تستر. (حلية الأولياء ١/ ٤٢٨).

(٥) أخرج الحاكم (٣/ ٢٩٢)، واللالكائي في كرامات الأولياء برقم (١٠٦) (١٤٨) عن أنس بن مالك ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كم من ضعيفٍ متضعف ذو طمرين لو أقسم على الله ﻷ لأبرّه، منهم البراء بن مالك»**.

وإن البراء لقي زحفاً من المشركين، وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: **«إنك لو أقسمت على الله لأبرك»**، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، فمنحوا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: =

القرني[١] كذلك، فلقد انملس من عمر رضي الله عنه، وكان يختفي من الناس[٢]، وغيرهم كثير.

**وأصلٌ آخرَ أن الدين هو إقامة العبودية**، وهو فعل ما عليك، وما أُمرت به، وأما الخوارق فهي من حق الربوبية الذي لم يؤمر العبد بتحصيله، وإن كان بسعيٍ من العبد فإن الله تعالى هو الذي خلقها بما نصبه من الأسباب، والعبد مأمورٌ بإقامة الدين وهو فعل المأمور، وترك المحظور، وهذا من حق الألوهية المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبد ينبغي له أن يهتم بما عليه وما أمر به، وأما اهتمامه بما يفعله الله إذا لم يؤمر بالاهتمام به فهو إما فضول، فتكون لما فيها من المنافع كالمنافع السلطانية المالية التي يستعان بها على الدين، كتكثير الطعام والشراب، وطاعة الناس إذا رأوها، ولما فيها من دفع المضار عن الدين بمنزلة الجهاد الذي فيه دفع العدو وغلبته، فالخارق في مرتبة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والدين الذي هو إقامة العبودية في مرتبة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فأما الخارق الذي لم يعن الدين فإما متاع دنيا، أو مبعد صاحبه عن الله تعالى[٣].

ولهذا قال أبو علي الجوزجاني[٤]: «كن طالباً للاستقامة، لا طالباً

---

= أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك ﷺ، فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) أويس بن عامر القَرَني، سيد التابعين، روى له مسلم من كلامه، مخضرم، قتل بصفين. (التقريب، ١١٦، ٥٨١).

(٢) انظر: مستدرك الحاكم (٣/ ٣٠٤)، وكرامات الأولياء لأبي الفداء (٣٠٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٤) الحسن بن علي الجوزجاني، أو (الجورجاني)، من مشايخ خراسان، له تصانيف، =

للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة[1]».

قد يقال إنَّ: «الخوارق لا قدرة للإنسان على كسبها، ولا على دفعها، إذ هي مواهب من الله تعالى يختصُّ بها من يشاء من عباده، فإذا وردت على صاحبها فلا حكم فيها للشرع، وإن فرضنا أنها غير موافقة له، كالاطلاع على عورات الخلق، كأن يكاشف بامرأة، أو رأى أنه يدخل على فلانٍ بيته وهو يجامع زوجته، أو يسمع نداءً يحس فيه الصوت وهو يقول: أنا ربك، أو يرى صورة مكيفة مقدرة تقول: أنا ربك، وما أشبه ذلك من الأمور التي لا يقبلها الحكم الشرعي.

فالجواب: أن ذلك لا يخرجها عن كون الشريعة حاكمة عليها من جهة أسبابها، فإن الأسباب هي التي خوطب بها المكلف أمراً ونهياً، وما نشأ عن الخوارق منسوب إلى المكلف، فعليه اتقاء الله ما استطاع»[2].

وبيانُ ذلك أن لا يتجاوز صاحب الكشف إلى ارتكاب المعاصي، وتجاوز حدود الله، مثل: الكهان، وأصحاب الكشف الشيطاني، وأن لا يعمل به على خلاف الحدود الشرعية، مثل: أن يتجسس على العورات[3].

---

= تكلم في علوم الآفات، والرياضات، والمجاهدات. انظر: طبقات الصوفية (٢٤٦)، والحلية (١٠/ ٣٧٣).

(١) شرح الطحاوية (١/ ٣٩٢).

(٢) الموافقات (٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩) مع تصرف.

(٣) المدارج (١/ ٥٩، ٦٠).

## ❐ الأصل السادس ❐

### أَنَّ الأَنبيَاء يَبتَليهِمُ الله بِأَعدَاء

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال جل في علاه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابتَلاهُم**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو محموم، فوضع يده فوق القطيفة فوجد حرارة الحمى، فقال: ما أشدَّ حمَّاك يا رسول الله، قال: «**إِنَّا كَذَلِكَ مَعشَرَ الأَنبيَاءِ يُضَاعَفُ عَلَينَا الوَجَعُ لِيُضَاعَفَ لَنَا الأَجْر**»، قال: يا رسول الله! من أشدُّ الناس بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**»، قال: ثم من؟ قال: «**الصَّالحُونَ، إِن كَانَ الرَّجُلُ لَيبتَلى بِالفَقرِ حَتَّى مَا يَجد إِلا العَبَاءَ فَيَحويْهَا وَيَلبَسها، وَإِن كَانَ أَحدهُم لَيبتَلى بِالقَملِ حَتَّى يَقتله القَملُ، وَكَانَ ذَلِك أَحب إِلَيْهِم مِنَ العَطَاءِ إِلَيْكُم**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/٤٢٨)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع، حديث (٢٨٢).

(٢) أخرجه بنحوه ابن ماجه، حديث (٤٠٢٤)، قال البوصيري: إسناده صحيح؛ وأخرجه الحاكم (٤/٣٠٧)، واللفظ له، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

والناظر في تاريخ الأمم السابقة يجد ذلك واضحاً جليّاً، وما ابتلى الله به أولياءه كما ذكر ذلك سبحانه في سورة الكهف، وما جاء عن مريم، وآسية امرأة فرعون، وأهل الأخدود، وغير ذلك كثير.

كذلك في هذه الأمة وما ابتلي به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مثل أبي بكر، وعمار بن ياسر، بل آل ياسر، ومصعب، وبلال، وغيرهم.

ثم من بعدهم من التابعين مثل: أويس القرني، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ثم من بعدهم من الأئمة كالأربعة، ومن بعدهم إلى عصر ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن عبد الله، إلى عصرنا الحاضر، يقيض الله تعالى لأوليائه من يعاديهم، ألا ترى أن الله تعالى لما اختار صحابة نبيه وفضلهم، قيض لهم من يعاديهم حتى بعد موتهم لتأتيهم الحسنات، وهم في قبورهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن حكمة الله تعالى أنه يقيض لأوليائه أجهل وأغلظ أعدائه، حتى تكثر حسنات الأولياء، وتزداد سيئات الأعداء، حكمة بالغة.

قال الشوكاني[1]: «فأعداؤهم يكثرون لكثرة ما منحهم الله من الخصال الشريفة، ويحسدونهم زيادة على ما يحسدون أهل الفضائل لاجتماعها لديهم، مع فوزهم بالقرب من الله بما فتح الله عليهم به من

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان، من بلاد خولان، له: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وفتح القدير في التفسير، وغيرها، مات سنة (١٢٥٠هـ). (الأعلام ٦/٢٩٨).

طاعاته: فرائضها، ونوافلها، إلى أن قال: ومن كان رأساً في العلم عاداه غالب المقصرين لا سيما إذا خالف ما يعتقدونه حقاً.

وجمهور العامة تبعاً لهم مع تلبيسهم عليهم بعيوب مفتراة لذلك العالم الذي وصل إلى ما لا يعرفونه، وبلغ ما يقصرون عنه، أقل الأحوال أن يلقوا إليهم بأنه يخالف ما هم عليه هم وآباؤهم، وما مضى عليه سلفهم.

قال: وهذا كائنٌ في غالب الأزمان من غالب نوع الإنسان»[١].

* * *

**عوداً إلى المبحث السادس وهو طرق التعبير.**

بعد أن تقررت لدينا الأصول الستة السابقة ولله الحمد، وقبل ذلك تقرر أن علم التعبير ينقسم إلى قسمين:

**الأول:** منَّة من الله وفضل.

**والثاني:** طلب من العبد وكسب.

فعلى هذا التقسيم يكون التعبير إما جواباً في الحال، أو تأملاً في قرائن الأحوال.

والجواب في الحال يكون بإحدى الطرق الآتية:

---

(١) قطر الولي (٢٧٥ ـ ٢٧٦).

## الطريقة الأولى:

## الإلــهـــــام

وهو نور يختص الله به من يشاء من عباده[١]، وإيقاع شيءٍ في القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض أصفيائه[٢]، وهو الخطاب من الله تعالى للعبد في سره[٣]، وهو نوعٌ من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده[٤]، والملهم هو الذي يلقى في نفسه الشيء، فيخبر به حدساً وفراسة، كأنه حدث بشيءٍ فقاله[٥]، وهو موهبة مجردة لا تنال بالكسب، وهل يقع بواسطة أو لا؟.

قال ابن القيم: وأما وقوعه بغير واسطة فمما لم يتبين بعد، والجزم فيه بنفي، أو إثبات موقوف على الدليل، والله أعلم[٦].

ومن درجات الإلهام ما يكون علماً شبيهاً بالضروري الذي لا يمكن دفعه عن القلب، وهذا معاينة ومكاشفة فهو درجة أعلى وأتم ظهوراً، ونسبته إلى القلب نسبة المرئي إلى العين[٧].

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٤٠٥)؛ وشرح الكوكب المنير (١/ ٣٢٩)؛ وقواطع الأدلة للسمعاني (٥/ ١٣٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٦٠)؛ ومراقي السعود إلى مراقي السعود (٤٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٨٢).

(٥) إرشاد الفحول (٢/ ٢٨٩)، والبحر المحيط (٦/ ١٠٥).

(٦) مدارج السالكين (١/ ٥٣ ـ ٥٥).

(٧) المرجع السابق (١/ ٦٠)، (٣/ ٢٣٨)، وانظر: الروح (٦٣٣).

## الطريقة الثانية:

## الفـــراســـة

وتنقسم الفراسة إلى نوعين:

**الأول: الفراسة الإيمانية**، وهي: ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض الناس بنوعٍ من الكرامات، وإصابة الظن والحدس[(١)]، وسببها نورٌ يقذفه الله في قلبِ عبده، وحقيقتها أنها خاطرٌ يهجم على القلب يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، وهذه الفراسة الإيمانية على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُّ فراسة.

قال أبو سليمان الداراني[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفراسة مكاشفة النفس، ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان»[(٣)]. اهـ.

وهي نورٌ يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء، فيكون كما خطر له، وينفذ إلى العين فترى ما لا يراه غيرها[(٤)].

قال ابن تيمية: «وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن لقوة إيمانه يقيناً وظناً، فالأمور الدينية كشفها له أيسر بطريق

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٢٨).

(٢) عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، زاهد مشهور، من أهل داريا بغوطة دمشق، اشتهر بشدة التقشف، وله عبارات مشتبهة، مات سنة (٢١٥هـ). (الأعلام ٣/ ٢٩٣، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/ ٤٢)، وطبقات الصوفية (٧٥).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٣٩١)؛ والمدارج (٢/ ٥٠٤).

(٤) الروح (٥٩٦).

الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج»[(١)].

**والفرق بين الفراسة والإلهام**: «هو أن كل واحدٍ من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عامٍّ وخاص.

وخاص كل واحدٍ منهما فوق عام الآخر.

وعام كل واحدٍ قد يقع كثيراً، وخاصه قد يقع نادراً، ولكن الفرق الصحيح أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة لا تنال بكسبٍ البتة»[(٢)].

**النوع الثاني**: نوعٌ يتعلم بالدلائل والتجارب، والخلق والأخلاق، فتعرف به أحوال الناس، وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة[(٣)].

والفراسة الإيمانية قد أثنى الله تعالى على أهلها، ومدحهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: ٧٥]، والتوسم في اللغة هو التفرس[(٤)]، وقد فسرها بعض السلف بهذا، منهم مجاهد، وجعفر بن محمد[(٥)].

وفي حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ عِبَاداً يَعرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ**»[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٥، ٤٦).

(٢) المدارج (١/ ٥٣)؛ وانظر: بلوغ الأرب للآلوسي (٣/ ٢٦٣).

(٣) النهاية (٣/ ٤٢٨).

(٤) تاج العروس (١٧/ ٧٢٧)؛ وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٤٨).

(٥) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق، فقيه، إمام، مات سنة (١٤٨هـ). التقريب (٩٥٠) صفحة (١٤١).

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث (٣٠٨٦)؛ والبزار، حديث (٣٦٣٢)؛ والقضاعي في مسنده (٢/ ٨٤). قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٣): إسناده حسن؛ وتبعه السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٠)؛ وأورده الألباني في الصحيحة، حديث (١٦٩٣)، (٤/ ٢٦٤).

وفي حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ الله**»(١).

قال ابن القيم: «فالفراسة الصادقة لقلبٍ قد تطهر وتصفى وتنزه من الأدناس، وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه... وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه وأضاء له النور بقدر قربه، فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «**ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**»(٢).

فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيد محبته له، فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله، فسمع به، وأبصر به، وبطش به، ومشى به، فصار قلبه كالمرآة الصافية، تبدو فيها غرر الحقائق، على ما هي عليه فلا تكاد تخطئ له فراسة، فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه، وليس هذا من علم الغيب،

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٤٩٧)؛ وابن عدي في الكامل (٤/ ١٤٢٣)؛ والقضاعي في مسنده، حديث (٦٦٣)؛ والخطيب في التاريخ (٥/ ٩٩)؛ وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨)؛ وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ٦٧٧)؛ قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٧٣): إسناده حسن، وتبعه الزهيري في تخريجه لجامع بيان العلم، وانظر: السلسلة الضعيفة، حديث (١٨٢١)، (٤/ ٢٩٩)؛ والحكيم الترمذي ومنهجه في نوادر الأصول (٣٦٩).

(٢) أخرجه بنحوه البخاري في الرقاق، باب: التواضع، حديث (٦٥٠٢)، (١٢٤٧).

بل علام الغيوب قذف الحق في قلبٍ قريبٍ منه مستنير بنوره، غير مشغولٍ بنقوش الأباطيل، والخيالات والوساوس، التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه، وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان، وبادر من القلب إلى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور، وقد كان رسول الله ﷺ يرى أصحابه في الصلاة وهم خلفه كما يراهم أمامه، ورأى بيت المقدس عياناً وهو بمكة المكرمة، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو بالمدينة المنورة يحفر الخندق، ورأى أمراءه بمؤتة وقد أصيبوا، وهو بالمدينة المنورة، ورأى النجاشي بالحبشة لما مات بالمدينة فخرج إلى المصلى فصلى عليه، إلى أن قال: ودخل على عمر رضي الله عنه نفر من مذحج، فيهم الأشتر النخعي، فصعَّد فيه البصر وصوَّبه، وقال: أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث، فقال: ما له قاتله الله، إني لأرى للمسلمين منه يوماً عصيباً، ودخل عمرو بن عبيد[1] على الحسن، فقال: هذا سيِّد الفتيان إن لم يحدث... وهذا عثمان بن عفان، دخل عليه رجلٌ من الصحابة، وقد رأى امرأة في الطريق فتأمل محاسنها، فقال له عثمان: يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزنا ظاهرٌ على عينيه، فقال الصحابي: أوحيٌ بعد رسول الله، فقال: لا، ولكن تبصرة وبرهان، وفراسة صادقة[2].

قال: «وكان إياس بن معاوية من أعظم الناس فراسة، وله الوقائع المشهورة، وكذلك الشافعي رحمه الله، وقيل: إن له فيها تآليف»[3].

---

(١) عمرو بن عبيد بن باب، التميمي مولاهم، أبو عثمان البصري، المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته، له: كتاب العدل، والتوحيد، وغيرها، مات سنة (١٤٣هـ). التقريب (٥٠٧١)، (٤٢٤)، والسير (٤٣٤٣)، (٢/ ٢٩٦٥)، وأخبار عمرو بن عبيد المعتزلي للدارقطني.

(٢) الروح (٥٩٢ ـ ٥٩٦)؛ وانظر: المدارج (٢/ ٥٠٦)؛ وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٠).

(٣) المدارج (٢/ ٥١٠)؛ ومفتاح دار السعادة (٥٤٢)، وإياس هو: ابن معاوية بن قرة المزني، أبو واثلة، البصري، القاضي المشهور بالذكاء، ثقة، مات سنة (١٢٢هـ). التقريب (٥٩٢)، (١١٧).

روى البيهقي في «مناقب الشافعي»، عن المزني[١]، أنه قال: «كنت مع الشافعي في الجامع إذ دخل رجلٌ يدور على النيام، فقال الشافعي للربيع[٢]: قم فقل له: ذهب لك عبد أسود، مصابٌ بإحدى عينيه، قال الربيع: فقمت إليه فقلت له، فقال: نعم، فقلت: تعاله، فجاء إلى الشافعي، فقال: أين عبدي؟ قال: مر تجده في الحبس، فذهب الرجل فوجده في الحبس، قال المزني: قلت له: أخبرنا فقد حيرتنا، فقال: نعم، رأيت رجلاً دخل من باب المسجد يدور بين النيام، فقلت: يطلب هارباً، ورأيته يجيء إلى السودان دون البيض، فقلت: هرب له عبدٌ أسود، ورأيته يجيء إلى ما يلي العين اليسرى، فقلت: مصاب بإحدى عينيه، قلنا: فما يدريك أنه في الحبس؟ فقال: ذكرت الحديث في العبيد: «**إِنْ جَاعُوا سَرَقُوا، وَإِنْ شَبِعُوا زَنُوا**»[٣] فتأولت أنه فعل أحدهما فكان كذلك»[٤].

وقال ابن القيم: «ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سِفراً ضخماً.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام،

---

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني، الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم، المصري، تلميذ الشافعي، وناصر مذهبه، له مختصر في الفقه ملأ البلاد، وكان يقال: كانت البكر يكون في جهازها نسخة من مختصر المزني، مات سنة (٢٦٤هـ). السير (١٠٦٩)، (١/ ١١٣٣).

(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي، أبو محمد المصري، المؤذن، صاحب الشافعي، ثقة، مات سنة (٢٧٠هـ)، وله ست وتسعون سنة. التقريب (١٨٩٤)، (٢٠٦).

(٣) قال ابن القيم في المنار المنيف: أحاديث ذم الحبشة والسودان كلها كذب.اهـ. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم (٧٢٧ ـ ٧٢٩) (٢/ ١٥٧).

(٤) كشف الخفا (١/ ٢٦٢)؛ وانظر واقعة أخرى في: الروح (٥٩٤)، وللمزيد انظر: آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، ص(١٢٩)؛ وبلوغ الأرب للآلوسي (٣/ ٢٦٦)؛ ومفتاح دار السعادة (٥٤٣).

وأن كَلَبَ[(١)] الجيش، وحدته في الأموال، وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة، لما تحرك التتار وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا عليَّ قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر[(٢)].

ولما طُلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله، بعدما نضجت له القدور، وقلبت له الأمور، اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك، فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبداً، قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي، ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس، سمعته يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير المُلك أخبروه بذلك، وقالوا: الآن بلغ مراده منك، فسجد لله شكراً وأطال، فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذه بداية ذلة، ومفارقة عزة من الآن، وقرب زوال أمره، فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط، حتى تغلب دولته، فوقع الأمر مثل ما أخبر به، سمعت ذلك منه.

---

(١) الكلب بالتحريك: أي الحرص والشدة، وأصله تعلق الشيء بالشيء في شدة، وشدة جذب. انظر: معجم مقاييس اللغة (٩٠٧)، والمعجم الوسيط (٧٩٤).

(٢) هذا مما يؤكد أن هذه الأمور التي هي من حق الربوبية لم يحرص السلف على نقل كل أفرادها؛ لأن من عادتهم إخفاءها، وعدم تطلبها كما سبق، وأمرٌ آخر، وهو أن من اهتمَّ بما خلق من أجله وهو أمر الألوهية لا يغلو في الاهتمام بهذه الأمور كما يفعله من اقتدى بالمشركين في أمر الربوبية، وأهمل أو ترك جانب الألوهية.

وقال مرَّة: يدخل عليَّ أصحابي وغيرهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكرها لهم، فقلت له أو غيري: لو أخبرتهم؟ فقال: أتريدون أن أكون معرفاً كمعرف الولاة؟!.

وقلت له يوماً: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح، فقال: لا تصبرون على ذلك معي جمعة، أو قال: شهراً.

وأخبرني غير مرة بأمورٍ باطنةٍ تختصُّ بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني[١].

وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها[٢].

وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته، والله أعلم»[٣].

**ويمكن أن تصنَّف الفراسة إلى:**

- **أولاً: فراسة جِبِلِّيَّة**، وهي على قسمين:

- الأول: القيافة.

- والثاني: الريافة.

- **ثانياً: فراسة اكتسابية**، وهي على قسمين أيضاً:

---

(١) هذه مسألة معرفة الخواطر، وسيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى في مسألة تشام الأرواح، النوع الرابع.

(٢) ولعل منها قوله: «... وكذلك إذا صار اليهود دولة بالعراق وغيره، تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين، واليهود، والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم. (منهاج السنة ٣/٣٧٨).
ولم تستوعب عقلية المحقق مثل هذه الأخبار، فعلّق بعبارات تدل على مبلغ علمه في هذا الباب، وانظر: التنكيل للمعلمي (٢/٢٥٥)، وانظر أمثالها عن الشافعي في: مفتاح دار السعادة (٥٤٤).

(٣) مدارج السالكين (٢/٥١٠، ٥١١).

ـ الأول: تعليمية.

ـ والثاني: رياضية.

## أولاً: القيافة:

تنقسم القيافة إلى نوعين:

**الأول**: قيافة البشر، **والثاني**: قيافة الأثر.

**أما قيافة البشر**: وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة في سائر أحوالهما وأخلاقهما[١].

والأصل في هذا النوع حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم وهو مسرور، فقال: «**يَا عَائِشَةُ، أَلَم تَرَي أَنَّ مُجززاً المدلَجي**[٢]**، دَخَلَ عَليَّ فَرَأى أُسامة بن زَيد وَزَيداً، وَعَليهِمَا قَطِيفَة، قَد غَطَّيَا رُؤُوسَهُمَا وَبَدَت أَقدَامهُما، فقال: إِنَّ هَذِهِ الأَقدام بَعضُهَا مِن بَعْض**»[٣].

قال الرازي: إنه علمٌ متوارث في أعراقٍ مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم، فقد رأى جمعٌ من الأكابر الفقهاء التعويل عليه في تصحيح الأنساب[٤].

**قيافة الأثر**: هو علمٌ باحثٌ عن تتبع آثار الأقدام، والأخفاف، والحوافر في المقابلة للأثر[٥].

## ثانياً: الريافة:

وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة

---

(١) أبجد العلوم، ص(٤٧٨).

(٢) مجزز بن الأعور بن جعدة من بني مدلج، وكانت القيافة فيهم، وفي بني أسد، والعرب تعترف لهم بذلك.اهـ. (فتح الباري ١٢/ ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في الفرائض، باب: القائف، رقم (٦٧٧١)، ص(١٢٩٢).

(٤) الفراسة للرازي، ص(٣٢).

(٥) أبجد العلوم، ص(٤٤٩).

على وجوده[(١)].

## ثالثاً: الفراسة التعليمية:

وهي أنواع منها:

١ ـ الاستدلال بالخُلق الظاهر على الخُلق الباطن، كالاستدلال بسعة الصدر على سعة الخلق[(٢)].

٢ ـ الاستدلال بالحركات الظاهرة على الأفكار الباطنة.

مثل: وضع اليدين معقودتين خلف الظهر ناظراً إلى الأرض.

فهذا رجلٌ مشغولٌ بمشكلة ما يحاول حلها[(٣)]، وهذه تجدها ظاهرة جداً في اليهود، خاصة الحسديم[(٤)] منهم.

## رابعاً: الفراسة الرياضية:

وهي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجرَّدت عن العوائق، صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق، ولا عن طريق مستقيم[(٥)].

---

(١) المصدر السابق، ص(٤١٠).

(٢) انظر: الفراسة للرازي، ص(٢٠)، والرازي في كتابه هذا خلط بين الفراسة المعتبرة شرعاً، وبعض ضروب التكهن، متأثراً بأرسطو في هذا الباب.
وانظر أيضاً: شرح الطحاوية، ص(٧٥٤).

(٣) انظر: الفراسة طريقك إلى النجاح، ص(٤٦ ـ ٤٧)، وهناك أنواع أخرى لا تسلم من التحفظ عليها.
انظر: علم الفراسة؛ أسرار الخلقة وإبداعها؛ وعلم الفراسة الحديث، ولغة الوجوه، دليلك لمعرفة حقيقة الأشخاص.

(٤) أو الحسيدية، كان يطلق على عدة فرق دينية في العصور الوسطى، لكنه اليوم يطلق على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسسها بعل شيم طوف.
انظر: موسوعة اليهود (٢/ ١٣٧)؛ وسفر التاريخ اليهودي، ص(٤١٦).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص(٧٥٣).

## الطريقة الثالثة:

## بواسطة المَلَك

الأصل فيها إخبار النبي ﷺ بأن الملَكَ يَعبُر الرؤيا.

عن أبي أيوب الأنصاري[(١)] رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنِّي رَأَيتُني يَتبعُنِي غَنَم سُودٌ يَتبَعُهَا غَنَمٌ عفْر**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه العرب تتبعها العجم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَذَلِكَ عَبرَهَا المَلَكُ**»، وفي رواية: «**كَذَلِكَ عَبرَهَا المَلَكُ بِالسَّحَر**»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت كأني أَتَيْتُ بِكُتْلَةِ تَمْرٍ فَعَجَمْتُهَا[(٣)] في فمي فَوَجَدْتُ فيها نَوَاةً آذتني فَلَفَظْتُهَا، ثُمَّ أَخَذْتُ أُخْرَى فَعَجَمْتُهَا فَوَجَدْتُ فيها نَوَاةً فَلَفَظْتُهَا، ثُمَّ أَخَذْتُ أُخْرَى فَعَجَمْتُهَا فَوَجَدْتُ فيها نَوَاةً فَلَفَظْتُهَا**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: دعني فَلأَعْبُرْهَا، قال: قال: «**اعْبُرْهَا**»، قال: هو جَيْشُكَ الذي بَعَثْتَ يَسْلَمُ وَيَغْنَمُ، فَيَلْقَوْنَ رَجُلاً فَيَنْشُدُهُم ذِمَّتَكَ، فَيَدَعُونَهُ، ثُمَّ يَلْقَوْنَ رَجُلاً فَيَنْشُدُهُم ذِمَّتَكَ فَيَدَعُونَهُ، ثُمَّ يَلْقَوْنَ رَجُلاً فَيَنْشُدُهُم ذِمَّتَكَ فَيَدَعُونَهُ، قال: «**كَذَلِكَ قال الْمَلَكُ يا أَبَا بَكْرٍ**»[(٤)].

---

(١) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب، من كبار الصحابة، شهد بدراً، ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازياً الروم سنة خمسين، وقيل بعدها. التقريب (١٦٣٣)، (١٨٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٥)، وسنده صحيح.
انظر: السلسلة الصحيحة، حديث (١٠١٨)؛ وكتاب الرؤيا، للتويجري (١٢٧).

(٣) أي: عضضتها مع تذوقها. انظر: معجم مقاييس اللغة (٧٤٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، حديث (١٥٣٦٢)، (١٠٤٧)؛ والحميدي برقم (١٢٩٦)؛ والدارمي (٢/ ٥٦٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٧/ ١٨٠)، فيه مجالد بن سعيد، وهو ثقة وفيه كلام.

زاد الدارمي: أن الراوي عن مجالد[١]، قال له: «ما ينشد ذمتك؟ قال: يقول: لا إله إلا الله».

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عند البخاري، وفيه قول الملك له: «لَم تَرعَ إنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ»، قال ابن حجر: «إن ما فسر في النوم فهو تفسيره؛ لأن النبي ﷺ لم يزد في تفسيرها على ما فسرها الملك»[٢].

وأخرج البخاري في فضائل الصحابة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَقَد كَانَ فِيْمَا كَانَ قَبلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحدَّثُونَ، فَإِن يَك فِي أُمَّتي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»**.

وفي رواية: قال النبي ﷺ: **«لَقَد كَانَ فِيْمَن كَانَ قَبلَكُم مِنْ بَنِي إِسرَائِيْلَ رِجَالٌ يكلَّمون مِن غَير أَن يَكُونُوا أَنبيَاءَ، فَإِنْ يَكُن فِي أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُم فَعُمَر»**.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مِنْ نَبي وَلا محدَّث»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: محدَّثون، بفتح الدال، جمع محدَّث، واختلف في تأويله، فقيل: ملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في رُوعه شيءٌ من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدَّثه غيره به... وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلَّم؛ أي تكلِّمه الملائكة بغير نبوة، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ولفظه:

---

(١) مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، أبو عمرو الكوفي، ليس بالقوي، وقد تغيَّر في آخر عمره، مات سنة (١٤٤هـ). التقريب (٦٤٧٨)، (٥٢٠).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في الفضائل، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث (٣٦٨٩)، (٧٠٤).

قيل: يا رسول الله، وكيف يحدث؟ قال: «**تَتَكَلَّمُ المَلائِكَةُ عَلَى لِسَانِهِ**»[(١)].

وقال البيهقي: «هذا محمول على أنه يعرف في منامه من عالم الغيب ما عسى يحتاج إليه، أو يحدث على لسان ملك بشيءٍ من ذلك، كما ورد في بعض طرق الحديث بلفظ: وكيف يحدث؟ قال: «يتَكَلَّمُ المَلكُ عَلَى لِسَانِهِ»[(٢)]».

وقال الشوكاني: «وقد تكون المكاشفة من رجلٍ جعله الله ﷻ من المحدثين... وهذه طريقة أثبتها الشرع، وصحَّ بها الدليل، والغالب أن ذلك لا يكون إلا من خُلَّص المؤمنين، كما في حديث: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ**».

وهذا التحديث هو شيءٌ يوقعه الله في رُوع من كتب له ذلك، فيلقيه إلى الناس فيكون مطابقاً للواقع، وليس من الكهانة، ولا من باب النجامة، والرمل، ولا من باب تلقين الشيطان، كما كان يقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه»[(٣)].

قال ابن حجر: قوله: «**وإن يكن في أمتي**»، قيل: لم يورد هذا القول مورد الترديد، فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديقٌ فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفي الأصدقاء، ونحوه قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفِّني حقي، وكلاهما عالمٌ بالعمل، لكن مراد القائل أن تأخيرك حقي عمل من عنده

---

(١) فتح الباري (٧/ ٦٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٠٥)، وإرشاد الفحول (٢/ ٢٩٠)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٢٠٤، ٢٠٥).

(٣) قطر الولي على حديث الولي (٢٥٤).

شك في كوني عملت، وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم، حيث لا يكون حينئذٍ فيهم نبي، واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبي[(١)]، وقد وقع الأمر كذلك، حتى إن المحدث منهم إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له، بل لا بدَّ له من عرضه على القرآن، فإن وافقه، أو وافق السنة عمل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع لكنه نادرٌ ممن يكون في أمره منهم مبنياً على اتباع الكتاب والسنة.

وتمحَّضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، في زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء عُوِّضوا بكثرة الملهمين.

قال: والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات[(٢)].

---

(١) وهذا القول ذهب إليه ابن تيمية في الصفدية (١/ ٢٥٩)، قال رحمه الله: «قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقد أكمل الله الدين لأمته على لسانه، فلا يحتاجون إلى من يبلغ الدين الكامل، لا يحتاجون إلى محدَّث.
ولهذا قال ﷺ: «**إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمر**»، فلم يجزم بأن في أمته محدثاً، كما جزم أنه كان في الأمم قبلنا، مع أن أمتنا أفضل الأمم، وأكمل ممن كان قبلهم، وذلك لأن أمتنا مستغنية عن المحدَّثين، كما استغنوا عن نبي يأخذون عنه سوى محمد، وما علموه من أمور الأنبياء فبواسطة محمد، هو الذي بلَّغهم ما بلَّغهم من أمور الأنبياء، وما لم يبلغهم إياه من أمور الأنبياء فلا حاجة لأمته به.
إلى أن قال: وإذا كانت أمتنا مستغنية عن أن تأخذ عن نبوةٍ غير نبوة محمد، فاستغناؤها عن المحدَّثين أولى».
(٢) فتح الباري (٧/ ٦٢ ـ ٦٣).

أما قراءة ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «من نبي ولا محدث»[١]، فقال عنها ابن تيمية: «قيل: أولاً: هذه القراءة ـ إذا ثبت أنها قراءة ـ فلا يعرف لفظ بقية سائر الكلام معها كيف كان، فإنها بتقدير صحتها إما من الحروف السبعة، وإما مما نسخت تلاوته، وعلى التقديرين فيجوز أن يكون نظم سائر الآية على وجهٍ لا يدل على عصمة المحدَّث، بل فيها نسخ ما يلقيه في أمنية النبي والرسول دون المحدث، وإذا ثبت أن الله تعالى كان ينسخ ما يلقي الشيطان في قلوب المحدثين قبلنا فلا يقتضي أن ذلك بوحي يأتيه، بل يكون ذلك بعرضه ذلك على نبوات الأنبياء، فإن خالف ذلك كان مردوداً. . . وإن قدِّر أن المحدَّث ممن قبلنا كان ينسخ ما يلقيه الشيطان فيما يلقى إليه من غير استدلال بالنبوة، فيكون من كان قبلنا كانوا مأمورين باتباع المحدَّث مطلقاً لعصمة الله إياه، ونحن لم نؤمر بذلك»[٢].

ومن الإلهام الذي يكون بواسطة الملك ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً: «**إنَّ للشَّيطَانِ لمَّة بابنِ آدَمَ، وَلِلمَلَك لمَّة، فأما لمَّة الشيطان فإيعادٌ بالشرِّ، وتكذيبٌ بالحق، وأما لمَّة الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فيعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾** [البقرة: ٢٦٨]»[٣].

---

(١) إسناد هذه القراءة إلى ابن عباس رضي الله عنهما صحيح. انظر: الفتح (٧/ ٦٣).
(٢) الصفدية (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).
(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب: ومن سورة البقرة حديث (٢٩٩٥)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير حديث (١٠٩٨٥)، (١٠/ ٣٧)، وأبو يعلي، حديث (٤٩٩٩)، (٨/ ٤١٧) مرفوعاً، قال الترمذي: حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص.اهـ. =

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول ﷺ قال: **«ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»**[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت قاعداً مع النبي ﷺ، فمرّ بجنازة فقال: **«ما هذه الجنازة؟»**، قالوا: جنازة فلان الفلاني، كان يحب الله ورسوله، ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها، فقال رسول الله ﷺ: **«وَجَبَت وَجَبَت وَجَبَتْ»**، وبجنازة أخرى، الحديث وفيه...: **«نَعَم يَا أَبَا بَكْر، إِنَّ لله مَلائِكَة تَنْطقُ عَلَى أَلسِنَةِ بَنِي آدَمَ، بِمَا فِي المَرءِ مِنَ الخَيرِ وَالشَّرِّ»**[(٢)].

وكانت الملائكة عليهم السلام تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه، أخرج مسلم في صحيحه من حديث مطرف، قال: قال لي عمران بن حصين: «إني أحدثك بحديث عسى الله أن ينفعك به: إن رسول الله جمع بين

---

= وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (١/ ١٠٩)، وابن جرير (٣/ ٨٨) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه بسند صحيح، وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي. انظر: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الجان (١/ ٢٦١).

(١) أخرجه أحمد، حديث (١٧٧٨٤)، (١٢٥٧)؛ والحاكم (١/ ٧٣)؛ والآجري في الشريعة، حديث (١٥٠١٤)، (١/ ٢٩٤)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم حديث (١٣٩٧)، (١/ ٥٣٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي، والألباني. انظر: الصحيحة، حديث (١٦٩٤)، وأحكام الجنائز (٤٤).

حجة وعمرة، ثم لم ينه عنه حتى مات، ولم ينزل فيه قرآن يحرمه، وقد كان يسلِّم عليَّ حتى اكتويت، فتركت، ثم تركت الكي فعاد».

وهناك أحاديث وآثار كثيرة جداً في تعامل الملائكة مع الإنس إعانة وحفظاً وكلاماً وإلهاماً، وغير ذلك[١].

قال ابن تيمية: «والعلم يحصل في النفس كما تحصل سائر الإدراكات والحركات، بما يجعله الله من الأسباب، وعامة ذلك بملائكة الله تعالى، فإن الله سبحانه ينزل بها على قلوب عباده من العلم والقوة وغير ذلك ما يشاء، ولهذا قال النبي ﷺ لحسان: «**اللهمَّ أيِّدْهُ بِرُوحِ القُدس**»[٢]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال ﷺ: «**مَن طَلَبَ القَضَاءَ وَاستَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إِلَيْهِ، وَمَن لَم يَطلبِ القَضَاءَ وَلَم يَستَعِنْ عَلَيْهِ أَنزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ**»[٣]، وقال ابن مسعود: «كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر»»[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ٣٥٤)؛ والحبائك في أخبار الملائك للسيوطي، الهواتف لابن أبي الدنيا، رقم (٦٠، ٦٥، ٦٩، ٧٠)؛ ومجابي الدعوة له، رقم (٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب: الشعر في المسجد، حديث (٤٥٣)، (١٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث (٦٠٦٠)، (٧/)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ولي من أمر الناس ولاية، وكانت نيته على الحق، وكِّل به ملكان يوفقانه ويرشدانه، ومن ولي من أمر الناس ولاية وكانت نيته غير الحق، وكله الله إلى نفسه**».
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٥٠): فيه إبراهيم بن خثيم بن عراك، وهو ضعيف، وانظر: فتح المنان لمشهور حسن (١/ ٢٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١)، والأثر أخرجه أحمد، حديث (٨٣٤)، (٩١ ـ ٩٢)؛ واللالكائي في كرامات الأولياء، حديث (٧٠)، (٢/ ٤٢٥)، تحقيق: سيد عمران، من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم أجده من قول ابن مسعود رضي الله عنه، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، والسكينة المذكورة هنا ملك من الملائكة عليهم السلام. انظر: الحبائك في أخبار الملائك (٨٣)، والذيل على النهاية في غريب الحديث (٢٤٥).

## الطريقة الرابعة:

## بواسطة الروح

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الأَروَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدة، فَمَا تَعارَفَ مِنهَا ائتَلَف، وَمَا تَنَاكَرَ مِنهَا اختَلَفَ**»، وأخرجه أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه قصة عن عمرة بنت عبد الرحمٰن[2]، قالت: كان بمكة امرأة مزاحة، فنزلت على امرأة مثلها، فبلغ ذلك عائشة فقالت: صَدَقَ حِبِّي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأَروَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدةٌ، فَمَا تَعارَفَ مِنْهَا ائتَلَف، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اختَلَف**»[3].

قال البيهقي: سألت الحاكم أبا عبد الله الحافظ، عن معناه، فقال: المؤمن والكافر لا يسكن قلبه إلا إلى شكله[4]. اهـ.

قلت: رواية عائشة رضي الله عنها، تدل على أن لفظ الحديث أعمُّ مما ذكره الحاكم رحمه الله.

وقد ثبت أن أرواح بني آدم تلتقي وتشام وتتعارف، وهذا الالتقاء إما أن يكون بين أرواح الأحياء وأرواح الأموات، أو بين أرواح الأحياء في النوم، أو أرواح الأحياء في اليقظة، وهناك نوعٌ رابع وهو تلاقي روح

---

(1) في البر والصلة، باب: الأرواح جنود مجندة، حديث (٢٦٣٨)، (١٥٦٤)؛ وأخرجه أبو داود في الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، حديث (٤٨٢٤)، وأحمد في المسند، حديث (٧٩٢٢)، (٥٦٧).

(2) عمرة بنت عبد الرحمٰن بن سعد بن زرارة الأنصارية، المدنية، أكثرت عن عائشة، ثقة، ماتت قبل المائة، ويقال بعدها. التقريب (٨٦٤٣)، (٧٥٠).

(3) مسند أبي يعلى (٤٣٨/١)، قال المحقق: إسناده صحيح. اهـ. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، حديث (٧٧٧)، (٢١٥/٢).

(4) كشف الخفا (١٢١/١)، وانظر: المقاصد الحسنة للسخاوي (٥٠)؛ وشرح الصدور للسيوطي (٤٢٢).

النائم مع روح اليقظان، وخامس ـ لا يدخل في هذا البحث ـ وهو تلاقي أرواح الأموات.

**النوع الأول: تلاقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات:**

دليل هذه المسألة قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

وأخرج البخاري في الدعوات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أَوَى أحدكم إلى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فإنه لَا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عليه ثُمَّ يقول: بِاسْمِكَ ربي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «قال الطيبي(٢): هذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾ الآية.

قلت: ووقع التصريح بالموت والحياة في رواية عبد الله بن الحارث(٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهم أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لك مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إن**

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، حديث (٦٣٢٠)، (١٢١٦).

(٢) الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين، من علماء الحديث والتفسير والبيان، كان شديد الرد على المبتدعة، له: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو شرح للكشاف، والخلاصة في معرفة الحديث، والتبيان في المعاني والبيان، وغيرها، مات سنة (٧٤٣هـ). (الأعلام ٢/٢٥٦).

(٣) عبد الله بن الحارث الأنصاري، أبو الوليد البصري، نسيب ابن سيرين وختنه، ثقة، كان قليل الحديث. التهذيب (٣٣٧٥)، (٥/١٦٢)، والتقريب (٣٢٦٦)، (٢٩٩).

**أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لها»**، أخرجه النسائي[(١)]، وصححه ابن حبان»[(٢)].

وقد ثبت عن حبر الأمة وترجمان القرآن تفسيره لآية الزمر، حيث قال: «تلتقي أرواح الأحياء، وأرواح الأموات في المنام، فيتعارفون، ويتساءلون، ثم ترد أرواح الأحياء إلى أجسادها، لا تخطئ بشيءٍ منها، وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)] [الزمر: ٤٢]».

قال ابن القيم: «شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى، والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء»[(٤)].

وقال ابن كثير عند تفسير آية الزمر: «فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده[(٥)] وغيره... وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف»[(٦)].

وأخرج الحاكم[(٧)]، من حديث أنس رضي الله عنه أن ثابت بن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى، حديث (١٠٥٦٤) (٩/ ٢٩٣)؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث (٥٥١٦)، (٩٥٥)؛ والحديث في مسلم كتاب: الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم، وأخذ المضجع، (٢٧١٢)، (١٥٩٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٣١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث (١٢٢)؛ وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٠٦) برقم (٤٤٢)، وصحح إسناده المحقق؛ وانظر: شرح حديث النزول (٢٨٩).

(٤) الروح (١٧٣).

(٥) محمد بن إسحاق بن منده، أبو عبد الله العبدي، (نسبة إلى عبد ياليل) الأصبهاني، من كبار حفاظ الحديث، المكثرين من التصنيف، له: الرد على الجهمية، والتوحيد، والإيمان، وغيرها، مات سنة (٣٩٥هـ). (الأعلام ٦/ ٢٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٦).

(٧) في المستدرك (٣/ ٢٦٠) حديث (٥٠٣٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قيس[١]، جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس أكفانه، وقد انهزم أصحابه، وقال: اللّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتم أقرانكم، خلُّوا بيننا وبين أقراننا ساعة، ثم حمل فقاتل فقُتل، وكانت درعه قد سُرقت، فرآه رجل فيما يرى النائم، فقال: إن درعي في قدر تحت إكاف بمكان كذا وكذا، وأوصى بوصايا فطلب الدرع فوجد حيث قال، فأنفذوا وصيته.

وأخرجه الحاكم في المستدرك[٢]، والبيهقي في الدلائل[٣]، وأبو نعيم في الدلائل[٤] من طريق عطاء الخراساني[٥] قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس[٦].... الحديث بسياق أتم مما سبق وفيه أن ثابتاً: «استشهد فرآه رجلٌ من المسلمين في منامه، فقال: إني لما قتلت انتزع درعي رجل من المسلمين، وخبأه في أقصى العسكر، وهو عنده، وقد أكبَّ على الدرع بُرْمة، وجعل على البرمة رحلاً، فأت الأمير فأخبره، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، وإذا أتيت المدينة فأت فقل لخليفة رسول الله ﷺ: إنَّ عليَّ من الدين كذا وكذا، وغلامي فلانٌ من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلمٌ فتضيعه، قال: فأتاه فأخبره الخبر، فوجد الأمر على ما أخبر، وأتى أبا بكرٍ فأخبره فأنفذ وصيته، فلا نعلم

(١) ثابت بن قيس بن شمَّاس، أنصاري خزرجي، خطيب الأنصار، من كبار الصحابة، بشره النبي ﷺ بالجنة، واستشهد باليمامة، فنفِّذت وصيته بمنام رآه خالد بن الوليد رضي الله عنهما. التقريب (٨٢٥)، (١٣٣).

(٢) (٣/ ٢٦١) حديث (٥٠٣٦).

(٣) (٦/ ٣٥٦).

(٤) (٢/ ٧٣٠).

(٥) عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، صدوق يهم كثيراً ويرسل ويدلس، مات سنة (١٣٥هـ)، لم يصح أن البخاري أخرج له. التقريب (٤٦٠٠)، (٣٩٢).

(٦) هي زينب بنت ثابت بن قيس بن شماس الأنصارية، قال ابن حجر: ذكرها ابن حبيب فيمن بايعها رسول الله ﷺ . انظر: الإصابة (٤٦٧)، (١٢/ ٢٧٥).

أحداً بعدما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شمَّاس»[(١)].

قال ابن القيم: «وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكانٍ لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدينٍ عليه، وذكر له شواهد أدلته.

وأبلغ من هذا أنه يخبره بما عمله من عملٍ لم يطلع عليه أحدٌ من العالمين، وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا، فيكون كما أخبر، وربما أخبره عن أمورٍ يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره.. إلى أن قال: وهذا بابٌ طويلٌ جداً فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، وقلت: هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً، أو غيره، فأخبره بأمرٍ لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمالٍ دفنه، أو حذَّره بأمرٍ يقع، أو بشَّره بأمرٍ يوجد، فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا، فيقع كما أخبر، أو أخبره بخصبٍ أو جدب، أو عدوٍ، أو نازلة، أو مرض، أو بغرضٍ له فوقع كما أخبر، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله، والناس مشتركون فيه، وقد رأينا نحن وغيرنا من ذاك عجائب»[(٢)].

قال: «وحدثني غير واحدٍ ممن كان غير مائلٍ إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، أنه رآه بعد موته، وسأله عن شيءٍ كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجاب بالصواب.

وبالجملة، فهذا أمرٌ لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح،

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٢)؛ رواه الطبراني، وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله ثقات، **قلت**: هي صحابية ﷺ ويشهد له حديث أنس ﷺ السابق.

(٢) الروح (١٧٥، ١٨٨).

وأحكامها، وشأنها، وبالله التوفيق»[١].

**النوع الثاني: تلاقي أرواح الأحياء في النوم:**

الأصل في هذه المسألة حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه[٢] أن أباه[٣] قال: رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي ﷺ، فأخبره بذلك فقال: «**إِنَّ الرُّوحَ لَيَلْقَى الرُّوحَ**»، واقتبع النبي رأسه هكذا.

قال عفان[٤] برأسه إلى خلفه، فوضع جبهته على جبهة النبي ﷺ[٥].

قال ابن القيم: «فأخبر أن الأرواح تتلاقى في المنام»[٦].

وقال: «والمقصود أن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات»[٧].

---

(١) المرجع السابق (١٩٤)، ولمزيد من الأدلة، انظر: الروح (١٥٩، ١٦٣، ١٧٦، ١٩٤)؛ وكتاب المنامات لابن أبي الدنيا، وشرح الصدور للسيوطي (٣٥١، ٣٥٩).

(٢) عمارة بن خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي، أبو عبد الله، أو أبو محمد، المدني، ثقة، مات سنة (١٠٥هـ)، وهو ابن خمس وسبعين. التقريب (٤٨٤٤)، (٤٠٩).

(٣) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري، الخطمي، أبو عمارة المدني، ذو الشهادتين، من كبار الصحابة، شهد بدراً، وقتل مع علي بصفين، سنة (٣٧هـ). التقريب (١٧١٠)، (١٩٣).

(٤) عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصفَّار، البصري، ثقة ثبت، مات سنة (٢٢٠هـ). التهذيب (٤٧٩٠)، (٧/ ١٩٩)، والتقريب (٤٦٢٥)، (٣٩٣).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى، حديث (٧٥٨٤)، (٧/ ١٠٦)، وابن أبي شيبة (١١/ ٨٧)، وعبد بن حميد (٢١٦)؛ والطبراني، حديث (٣٧١٧)؛ وأحمد، حديث (٢٢٢٠٨)، (١٥٩٧)؛ وابن حبان، حديث (٧١٠٥)، (١٢٤٣)، وتحرفت لفظة: «ليلقي» إلى «لا يلقي» في مسند الإمام أحمد، وانظر: مختصر إتحاف السادة المهرة، حديث (٦٧٤٣)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٢): رواه أحمد بأسانيد، أحدها هذا، وهو متصل، والطبراني ورجالهما ثقات.اهـ.
وصحح إسناده الألباني في المشكاة، حديث (٤٦٢٤).

(٦) الروح (٤٧٦).

(٧) المرجع السابق (١٩٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ أَرْوَاحَ المؤمِنينَ تَلتَقِي عَلَى مَسيرةِ يَومٍ، ما رأى أحدهم صاحبه قط»**(١).

**النوع الثالث: تلاقي روح النائم مع روح اليقظان:**

قد يستشهد له بحديث عمارة بن خزيمة بن ثابت ﵄، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ السابقين.

قال ابن القيم: «فإن قيل: فالنائم يرى غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه، وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئي يقظان، روحه لم تفارق جسده، فكيف التقت روحاهما؟

قيل: هذا إما أن يكون مثلاً مضروباً ضربه ملك الرؤيا للنائم، أو يكون حديث نفسٍ من الرائي، تجرد له في منامه، كما قال حبيب بن أوس(٢):

سيقا لطيفك من زورٍ أتاك به    حديث نفسك عنه وهو مشغول

وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة إحداهما بالأخرى، فيشعر كلٌّ منهما ببعض ما يحدث لصاحبه، وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما، وقد شاهد الناس من ذلك عجائب»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٣٦)، (٤٧٦)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢/ ١٧٥)، وحسنه الأرناؤوط، حديث (٦٦٣٦).

(٢) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان، له: فصول الشعراء، وديوان الحماسة، ونقائض جرير والأخطل، وغيرها، مات سنة (٢٣١هـ). (الأعلام ٢/ ١٦٥).

(٣) الروح (١٩٥).

**النوع الرابع: تلاقي أرواح الأحياء في اليقظة:**

الأصل في هذه المسألة حديث عمرة بنت عبد الرحمٰن، وقد مضى، قالت: كان بمكة امرأة مزاحة، فنزلت على امرأة مثلها، فبلغ ذلك عائشة فقالت: صدق حِبِّي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَف، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَف**».

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن الأرواح جنود مجندة، تتلاقى فتشام كما تشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[1].

ومثله لا يقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع، وابن مسعود رضي الله عنه ما كان يأخذ من الإسرائيليات.

وعند العسكري[2] مرفوعاً عن ابن مسعود رضي الله عنه زيادة: «فلو أن رجلاً مؤمناً جاء إلى مجلسٍ فيه مائة منافق، وليس فيهم إلا مؤمنٌ واحد لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقاً جاء إلى مجلسٍ فيه مائة مؤمنٍ وليس فيه إلا منافقٌ لجاء حتى يجلس إليه».

وأورده الديلمي[3] عن معاذٍ رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لَو أَنَّ رَجُلاً مُؤْمِناً دَخَلَ مَدِيْنَةً فِيهَا أَلف مُنَافِق وَمُؤمِنٌ وَاحِد، لشمَّ روحه روح ذلك المؤمن، ولو أن رجلاً منافقاً دخل مدينة فيها ألف مؤمن ومنافق واحد، لشم روحه

---

(١) أخرجه الطبراني، رقم (١٠٥٥٧) (١٠/ ٢٨٣) بنحوه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٧): رجاله رجال الصحيح.اهـ. وانظر: مرقاة المفاتيح، حديث (٥٠٠٣) (٨/ ٣١٣٢)، ومختصر إتحاف السادة المهرة، رقم (٦٣٠١) (٨/ ٣٣٨)، وعزاه لمسدد بسندٍ رواته ثقات، وصححه ابن حجر في المطالب العالية، رقم (٣٤٤٨).

(٢) لم يتبين من هو؟ هل هو أبو أحمد (٣٨٢هـ) أو أبو هلال (٣٩٥هـ)، أو غيرهما.

(٣) شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني، مؤرخ، من علماء الحديث، له: تاريخ همدان، ورياض الأنس لعقلاء الإنس، ومسند الفردوس، مات سنة (٥٠٩هـ). (الأعلام ٣/ ١٨٣).

روح ذلك المنافق»[1].

قال البغوي: «وفي الحديث بيان أن الأرواح... مخلوقة على الائتلاف والاختلاف كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت... ثم الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا، فتأتلف، وتختلف على حسب ما جعلت عليه من التشاكل والتناكر... فترى البر الخير يحب مثله، والفاجر يألف شِكله، وينفر كل عن ضده»[2].

ويشهد لهذا؛ الحديث المتفق عليه: «**المرء مع من أحب**»[3]، وحديث: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[4].

ولما تكلم ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عن أهل الكهف عندما اعتزلوا قومهم في بادئ أمرهم، وتلاقوا تحت ظل شجرة قال: «وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان»، ثم استشهد بحديث: «**الأرواح جنودٌ مجندة...**» الحديث، ثم قال: «والناس يقولون: الجنسية علة الضم»[5].

وأخرج الحافظ أبو حاتم في روضة العقلاء، تحت عنوان: ذكر ائتلاف الناس واختلافهم، من حديث مجاهد، قال: رأى ابن عباس رجلاً فقال: «إن هذا ليحبني، قالوا: وما علمك؟ قال: إني لأحبه، والأرواح جنودٌ مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها

---

(١) كشف الخفا (١/ ١٢٢).

(٢) شرح السنة (١٣/ ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب: علامة الحب في الله عَزَّ وَجَلَّ، حديث (٦١٦٨) (١١٨٩)، ومسلم في البر والصلة، باب: المرء مع من أحب، حديث (٢٦٤٠)، (١٥٦٦)، من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد، حديث (٨٠١٥) (٥٧٣)، وأبو داود في الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، حديث (٢٠٩٠)، والترمذي في الزهد، باب: (٤٥)، حديث (٢٣٨٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الترمذي: حسن غريب. اهـ. وحسنه الألباني، انظر: الإيمان، لابن تيمية (٦٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٠).

اختلف»[١].

قال أبو حاتم رضي الله عنه: «إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه، وسكونه، هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده؛ لأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع.

وما رأيت شيئاً أدل على شيءٍ ولا الدخان على النار، مثل الصاحب على الصاحب، وساق بسنده عن مالك قال: الناس أشكالٌ كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصَّعْو مع الصَّعو[٢]، وكل إنسانٍ مع شكله، وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري:

يزين الفتى في قومه ويشينه وفي غيرهم أخدانه ومداخله
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئٍ يهوي إلى من يشاكله

قال أبو حاتم رحمه الله: فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها، قال: فإن لم يجد المرء بداً من صحبة الناس تحرى صحبة من زانه إذا صحبه، ولم يشنه إذا عرف به، وإن رأى منه حسنة عدَّها، وإن رأى سيئة سترها...»[٣].

(١) روضة العقلاء (١٠٨)، قال أبو حاتم: أنبأنا محمد بن المهاجر، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد.
وأخرجه أبو يعلى (٨٢٠٨) (١٣/ ١٦٦)، قال: حدثنا محمد بن قدامة، حدثنا أبو بكر بن عياش به.
فمدار الحديث على أبي بكر بن عياش، وعنه يوسف بن يعقوب الصفار، وهو ثقة، ومحمد بن قدامة الجوهري، فيه لين، انظر: التقريب (٧٨٩٧) (٦١٢) و(٦٢٣٤) (٥٠٣).

(٢) جمع صَعْوة، وهو طائر من صغار العصافير، أحمر الرأس، يضرب به المثل في الضعف، فيقال: أضعف من صعوة انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٥٣٨).

(٣) روضة العقلاء (١٠٨ ـ ١١٠).

ولما كان هذا شأن الأرواح، أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بمعاداة الكافرين، وعدم مخالطتهم، بل قال عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا بَرِيء مِنْ كُلِّ مُسلِمٍ يُقِيمُ بَينَ أَظهُرِ المُشرِكِيْنَ**»، قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «**لا تَرَاءَى نَارَاهُما**»[١].

وأخبر عليه الصلاة والسلام: «**أَنَّ المرءَ عَلَى دِينِ خَلِيْلِهِ**»، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً[٢]، كذلك حذَّر السلف من مخالطة أهل البدع، ومجالستهم لما في ذلك من تشرب الشبهات، وإفساد الدين، ومرض القلوب، أعاذنا الله من ذلك[٣].

وكذلك المفاضلة بين الخلطة والعزلة هي من هذا الباب، وفيها دقائق ليس هنا مجال ذكرها، وكذلك مجالسة الثقلاء، فبعض الناس ما ودك ينقضي مجلسه، وبعضهم أجارك الله، ومنها فقه إنكار المنكر بالقلب وغير ذلك، ولهذا قال الإمام أحمد، لما قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله! ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل، فقال: «كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق»[٤].

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، حديث (٢٦٤٥) (١١٢٨) والترمذي في السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، حديث (١٦٠٨) (٤٩٣) وأخرجه الطبراني، حديث (٣٨٣٦) (٤/ ١٣٤)، قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٤٦٠): رجاله ثقات. انظر: مجموعة التوحيد (١/ ١٥٩)، والصحيحة (٢/ ٢٢٨)، وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (١/ ٧١ ـ ١١٧).

(٣) انظر: الشريعة للآجري؛ والإبانة لابن بطة؛ وموقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع للرحيلي.

(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٤٢١).

وشرع للخاطب رؤية مخطوبته، لما في ذلك من تشام روحيهما الذي قد يكون أدعى للقبول، ثم الزواج بينهما.

وفي حديث سالم[١] بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، قال: «لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب، فقال: يا أبا الحسن، ربما شهدت وغبنا، وربما شهدنا وغبت، ثلاثة أشياء أسألك عنهن، فهل عندك منهنَّ علم؟، فقال علي بن أبي طالب: وما هنَّ؟ قال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً، فقال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ، تَلْتَقِي فِي الهَوَاءِ فَتَشَام، فَمَا تَعَارَفَ مِنهَا ائتَلَفَ، وَمَا تَناكَرَ مِنْهَا اختَلَفَ**»، قال عمر: واحدة. . . .» الحديث[٢].

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف تهزم الأبطال؟ قال: «تلاقي روحي روحه، فتهزم روحي روحه، ثم أهزمه».

---

(١) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر، أو أبو عبد الله، المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتاً عابداً فاضلاً، كان يشبَّه بأبيه في الهدي والسمت، مات سنة (١٠٦هـ). التقريب (٢١٧٦)، (٢٢٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في المجروحين (٢/ ١١٦)؛ والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٣٥)؛ والطبراني في الأوسط، حديث (٥٢٢٠) (٥/ ٣٩٣)؛ وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٩٦٨)؛ وفي الحلية (٢/ ١٩٦)؛ والحاكم (٤/ ٣٩٦).

وأصل الحديث المرفوع له شواهد صحيحة، أما قصة لقاء عمر مع علي رضي الله عنهما ففي سندها أزهر بن عبد الله الأودي، قال العقيلي: «حديثه غير محفوظ»، وقال الذهبي: «تكلم فيه»، وقال في التلخيص: «هذا حديث منكر»، وكأن الآفة فيه من أزهر، قال ابن حجر: وذكر العقيلي فيه اختلافاً على إسرائيل عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي في رفعه ووقفه، ورجح وقفه من هذا الوجه، قال ابن حجر: وهذه طريق أخرى تزحزح طريق أزهر عن رتبة النكارة.اهـ. وقد صححه الألباني رحمه الله، انظر: الصحيحة، حديث (٢٢٦٨) (٥/ ٣٣٩)، وانظر: لسان الميزان (١/ ٤٤٩)، في ترجمة أزهر بن عبد الله، وشرح حديث النزول (٢٩٥)، والروح لابن القيم (١٨٩)، والصارم المنكي (٢٢٧)، والنوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، حديث (١٨٠).

ولهذا كلما كان الود والصفاء بين روحين أشد، كان التعارف بينهما أبين وأسد، بل يصل الأمر إلى معرفة الخاطر، وما تحدث به النفس، وهذا يكشف لنا عن كثيرٍ من الإشكالات التي أثيرت حول بعض علماء السلف، ومعرفته بخواطر بعض طلابه أو غيرهم[١]، وليس في ذلك استخدام جنٍّ أو كهانة.

عن الحارث بن عميرة، قال: «انطلقت حتى أتيت المدائن، فإذا أنا برجل عليه ثياب خلقان، ومعه أديم أحمر يعركه، فالتفت فنظر إلي، فأومى بيده مكانك يا عبد الله، فقمت وقلت لمن كان عندي: من هذا الرجل؟ قالوا: هذا سلمان، فدخل بيته فلبس ثياب بياض ثم أقبل وأخذ بيدي، أو صافحني وسألني، فقلت: يا عبد الله، ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك، ولا عرفتني ولا عرفتك، قال: بلى والذي نفسي بيده، لقد عرفت روحي روحك حين رأيتك، ألست الحارث بن عميرة، فقلت: بلى، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مجنَّدةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنهَا ائتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنهَا فِي اللهِ اختَلَفَ**»[٢].

وعن هرم بن حيان العبدي[٣]، قال: قدمت الكوفة فلم يكن لي همٌّ

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٥١١)، وتعليق: محمد حامد الفقي؛ وأصول الدين ومنهاج الحق وسبيل الهدى ومصباح أهل السنة والجماعة (٦٨ ـ ٧٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٥)؛ والطبراني في الكبير (٦١٧٢)؛ والأوسط (١٦٠٠) مختصراً، قال في المجمع (٨/ ٨٨): رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، وفي إسناد هذا عبد الأعلى بن أبي المساور، وهو متروك، وفي بقيتها الحجاج بن فرافصة، وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف، وأبو عمرو أو أبو عمير الراوي عن سلمان لم أعرفه، وبقية رجال أحد إسنادي الكبير ثقات. اهـ.

(٣) هرم بن حيَّان العبدي، ويقال: الأزدي، البصري، أحد العابدين، حدَّث عن عمر رضي الله عنه، وروى عنه الحسن البصري وغيره، كان عاملاً لعمر، وكان ثقة له فضل وعبادة، عدَّه ابن عبد البر من صغار الصحابة، ولم أجد تاريخ وفاته. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٩٤)، والإصابة، وبذيله الاستيعاب (١٠/ ٢٤٠، ٣٩٢)، والسير (٣/ ٤٠٦٤).

إلا أويس القرني[١]، أطلبه وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً وحده على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، ويغسل ثوبه، إلى أن قال: هرم، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت فبكى، ثم قال: وأنت رحمك الله يا هرم بن حيان، وغفر لك، كيف أنت يا أخي من دلَّك عليَّ؟

قال: قلت: الله، قال: لا إله إلا الله، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، حين سمَّاني وعرفني، قال: لا والله ما رأيته قط ولا رآني، قلت: من أين عرفتني وعرفت اسمي واسم أبي، والله ما رأيتك قط قبل اليوم؟ قال: نبأني العليم الخبير، عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفسٌ كأنفس الأحياء، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً، ويتحابون بروح الله ﷻ وإن لم يلتقوا ويتعارفوا ويتكلموا، وإن نأت بهم الديار، وتفرقت بهم المنازل[٢].

وفي طبقات الحنابلة أن شيخاً كان يسافر في طلب الحديث، وقع له في خبر: أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ يَدخُلُ الجَنَّةَ سَبعُونُ أَلفَاً بِغَيرِ حِسَابٍ**»[٣]، قال: فسافرت كذا وكذا بلداً، أسأل: هل هناك

---

(١) أويس بن عامر القرني، سيد التابعين، روى له مسلم من كلامه، مخضرم، قتل بصفين، وكان في الرجالة بين يدي علي رضي الله عنه، قال ابن سعد: كان ثقة.اهـ. ولا يعلم له رواية إنما نتف من بعض كلامه في الزهد. التقريب (٥٨١) (١١٦)، والإصابة (١/ ١٨٩)، ولسان الميزان (١/ ٥٩٣).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد، ترجمة: أويس القرني (٤١٤)؛ واللالكائي في كرامات الأولياء (١٣)؛ والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٠٦)، وسكت عنه الذهبي؛ وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠)، وانظر: كشف الخفا (١/ ١٢٢)، ولا يضر جهالة بعض رواته لأمورٍ منها: أن هؤلاء الزهاد يكرهون الشهرة، وعلى رأسهم أويس، فقد كان لا يروي الحديث، مع أن المحدثين وثقوه، ولا يعلم له حديث واحد، فهكذا تلامذته.

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى، حديث (٣٤١٠)، (٦٥٥)، =

زيادة على هذا العدد، فما زادني أحد، فلما كان ذات يومٍ نمت وأنا تعب، فرأيت النبي ﷺ، فقبَّلت قدمه، فقال لي: يا فلان، قد تعبت في هذا الخبر الذي سمعته عني، فقلت: إي والله يا رسول الله، فقال لي: امض إلى بغداد إلى جامع الخليفة، سترى رجلاً واسع الجبين، جهوري الصوت، فسله عن هذه المسألة، يعني أبا بكر عبد العزيز(١)، فإنه يجيبك، قال: فلم يحملني القعود حتى جئت إلى بغداد، قال: فقلت في نفسي: لا سألت أحداً عن هذا الرجل حتى أدخل الجامع وأنظر إلى الصفة التي وصفها رسول الله ﷺ، فدخلت يوم الجمعة الجامع، فسمعت صوته، فإذا هو بالصفة التي وصفها رسول الله ﷺ؟ فوقفت حذاءه، فقلت: أيها الشيخ، مسألة، قال: أوسعوا للشيخ موضعاً، إلى أن وصلت بين يديه، فقال لي: اجلس، فجلست، فقال لي سراً: ألست الرجل الذي بعث بك رسول الله ﷺ، فوقعت عليَّ الرِّعدة، فقلت: نعم

---

= وفي الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، حديث (٥٧٠٥)، (١١١٩)، وقد ورد في الزيادة على هذا العدد أحاديث صحيحة منها:

قول النبي ﷺ: **«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً، مع كل ألفٍ سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي»**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨)، وغيره.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجلٍ واحد، فاستزدت ربي ﷻ فزادني مع كل واحدٍ سبعين ألفاً»**، أخرجه أحمد (١/ ٦) وغيره.

قال الدوسري في النهج السديد (٤٢): «وليعلم أن الروايات التي فيها أن السبعين ألفاً يدخل مع كل ألفٍ منهم سبعون ألفاً، أكثر عدداً وأقوى سنداً من الروايات التي فيها: أن السبعين ألفاً يدخل مع كل واحدٍ منهم سبعون ألفاً».اهـ.

(١) عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، يزداد بن معروف، أبو بكر، المعروف بغلام الخلال، كان أحد أهل الفهم، موثوقاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالديانة، له: الشافي، والمقنع، وتفسير القرآن، وغيرها، مات سنة (٣٦٣هـ). (طبقات الحنابلة ٢/ ١١٩).

وأمسكت، ثم قال لي: أيها الشيخ هات مسألتك، فسألته عن الحديث: إن النبي ﷺ قال: «**يَدخُلُ الجنَّةَ سَبعُونَ أَلفاً بِغَير حِسَابٍ**»، فقال لي: يا أبْله، أنت والذين سألتهم، حدثنا فلانٌ عن فلان، وذكر الإسناد، أنه إذا كان يوم القيامة، وحصل أهل الموقف، يقول الله سبحانه: «**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي**»، ثلاث مرات، ويحثي ثلاث حثيات، فمن قبضته [أربع عشرة][1] سماء، والأرض في يده كحبة خردل في أرضٍ فلاة، كم مرة سبعون ألفاً[2].

وقد سبق قول ابن القيم في شيخه ابن تيمية، وأنه كان يخبره غير مرة بأمورٍ باطنة تختصُّ بابن القيم مما عزم عليه، ولم ينطق به لسانه[3].

قال ابن تيمية: «والتحقيق أن الله قادرٌ أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادرٌ على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحياناً ما في قلب الإنسان، فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك»[4].

والمقصود أن عالم الأرواح عالمٌ عجيب، ولا نسبة لعالم الأجساد معه، بل هو أعظم وأوسع.

يقول ابن القيم: «علم الأرواح وصفاتها وكيفياتها ومعرفة تأثيراتها في الأجسام والطبائع وانفعال الأجسام عنها، وهذا علمٌ لا يعرفه إلا خواص الناس، والمحجوبون منكرون له، ولا يعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها إلا من له نصيبٌ من ذوقه.

وهل الأجسام إلا كالخشب الملقى، وهل الانفعال والتأثير

---

(١) كذا، وهو خطأ مطبعي.
(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٢).
(٣) المدارج (٢/ ٥١١).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٣).

وحدوث ما يحدث عنها من الأفعال العجيبة والآثار الغريبة إلا من الأرواح، والأجسام آلتها بمنزلة آلة الصانع، فالصنعة في الحقيقة له والآلات وسائط في وصول أثره إلى الصنع، ومن له أدنى فطنة وتأمل أحوال العالم، ولطفت روحه، وشاهدت أحوال الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الأجسام، وانفعالها عنها، كل ذلك بتقدير العزيز العليم، خالق الأسباب والمسببات، رأى عجائب في الكون وآيات دالة على وحدانية الله وعظمته وربوبيته، وأن ثَم عالماً آخر تجري عليه أحكامٌ أُخر تشهد آثارها، وأسبابها غيب عن الأبصار، فتبارك الله ربّ العالمين، وأحسن الخالقين، الذي أتقن ما صنع، وأحسن كل شيءٍ خلقه، ولا نسبة لعالم الأجسام إلى عالم الأرواح، بل هو أعظم وأوسع، وعجائبه أبهر، وآياته أعجب.

وتأمل هذا الهيكل الإنساني إذا فارقته الروح يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم، فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل، وتلك الصنائع الغريبة، وتلك الأفعال العجيبة، وتلك الأفكار والتدبيرات، كيف ذهبت كلها مع الروح، وبقي الهيكل سواء هو والتراب.

وهل يخاطبك من الإنسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك، ويخف عليك، ويثقل، ويؤنسك ويوحشك، إلا ذلك الأمر الذي وراء الهيكل المشاهد بالبصر، فرُبَّ رجل عظيم الهيولى[1]، كبير الجثة، خفيف على قلبك، حلو عندك، وآخر لطيف الخلقة صغير الجثة، أثقل على قلبك من جبل، وما ذاك إلا للطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها، وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها.

(١) الهيولى ـ بضم الياء مخففة أو مشددة ـ: مادة الشيء التي يصنع منها: كالخشب للكرسي، وتطلق على صورة الشيء انظر: المعجم الوسيط (١٠٠٤).

وبالجملة فالعلق والوصل التي بين الأشخاص، والمنافرات والبعد، إنما هي للأرواح أصلاً والأشباح تبعاً»[١].

وبعد أن تقررت لدينا ولله الحمد، طرق التعبير، التي يتفضل الله بها على عابر الرؤيا؛ فيما يتعلق بعبارته في الحال، بقي النظر في تعبير الرؤيا المكتسب، الذي بموجبه يتأمل في قرائن الأحوال، وهذا يتم بدراسة هذا العلم، كما تقدم في مبحث: أصول علم التعبير، بواسطة قوة نفسية مودعة.

فبعد ضبط المعبر لأصول التعبير، نتيجة لما أعطاه الله تعالى من استعداد نفسي لهذا العلم، ثم بذله من الجهد، والطلب، في تحصيل هذا العلم، يتكون لديه ملكة غريبة في الاطلاع على بعض الغيب، بما وهبه الله تعالى من فكٍّ لرموز الرؤيا بواسطة هذه الملكة.

يقول ابن القيم: «ويكفي الاعتبار بفرعٍ واحدٍ من فروعه[٢]، وهو عبارة الرؤيا، فإن العبد إذا نفذ فيها، وكمل اطلاعه، جاء بالعجائب، وقد شاهدنا نحن وغيرنا من ذلك أموراً عجيبة، يحكم فيها المعبر بأحكامٍ متلازمة صادقة، سريعة وبطيئة، ويقول سامعها: هذه علم غيب، وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسباب انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره»[٣].

ويتم ذلك لمعبر الرؤيا بفراسة مكتسبة، ونفسٍ مستعدة تصل إلى النتائج، بعد النظر في أصول التعبير.

يقول القرافي: «وعلم المنامات منتشرٌ انتشاراً شديداً لا يدخل تحت ضبط، فلا جرم احتاج الناظر فيه مع ضوابطه وقرائنه إلى قوة من

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).
(٢) يقصد علم الغيب.
(٣) زاد المعاد (٥/ ٧٨٩).

قوى النفوس المعينة على الفراسة والاطلاع على المغيبات، بحيث إذا توجه الحرز إلى شيءٍ لا يكاد يخطئ بسبب ما يخلقه الله تعالى في تلك النفوس من القوة المعينة على تقريب الغيب أو تحققه، إلى أن قال: ومن ليس له قوة نفس في هذا النوع صالحة لعلم تعبير الرؤيا، لا يصح منه تعبير الرؤيا، ولا يكاد يصيب إلا على الندرة، فلا ينبغي له التوجه إلى علم تعبير الرؤيا، ومن كانت له قوة نفس، فهو الذي ينتفع بتعبيره، وقد رأيت ممن له قوة نفسٍ مع هذه القواعد، فكان يتحدث بالعجائب والغرائب، في المنام اللطيف، ويخرج منه الأشياء الكثيرة، والأحوال المتباينة، ويخبر فيه عن الماضيات، والحاضرات، والمستقبلات، وينتهي في المنام اليسير إلى نحو مائة من الأحكام بالعجائب والغرائب، حتى يقول من لا يعلم بأحوال قوى النفس: إن هذا من الجان أو المكاشفة، أو غير ذلك، وليس كما قال، بل هي قوة نفسٍ يجد بسببها تلك الأحوال عند توجهه للمنام، وليس هو صلاح، ولا كشف، ولا من قبل الجان، وقد رأيت أنا من هذا النوع جماعة واختبرتهم، فمن لم تحصل له قوة نفس، عسر عليه تعاطي علم التعبير، ولا ينبغي لك أن تطمع في أن يحصل لك بالتعلم والقراءة وحفظ الكتب، إذا لم تكن لك قوة نفس، فلا تجد ذلك أبداً، ومتى كانت لك هذه القوة حصل ذلك بأيسر سعي، وأدنى ضبط، فاعلم هذه الدقيقة فقد خفيت على كثيرٍ من الناس»[1].

جاء طالب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي[2]، يريد أن يتعلم

---

(١) الفروق (٤/ ٢٤٩)؛ وانظر: بلوغ الأرب (٣/ ٢٦٧).

(٢) الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، أبو عبد الرحمٰن البصري، اللغوي، صاحب العروض، والنحو، صدوق، عابد، له: كتاب الأربعين، والعروض، والشواهد، وغيرها، مات سنة سبعين أو بعدها. انظر: التقريب (١٧٥٠) (١٩٥)، وإنباه الرواة عن أنباء النحاة (١/ ٣٧٦).

العروض، فمكث زمناً ولم يتمكن من التعلم، فقال له الخليل يوماً: خذ قطّع هذا البيت:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه      وجاوزه إلى ما تستطيع[١]

ففهم الطالب، وعدل عن تعلم هذا العلم[٢].

فهذا الطالب لم تكن لديه قوة نفسية لتقبل هذا العلم، وهو أيسر بكثير من علم التعبير.

كذلك من له رسوخ في علم الفرائض، أو الحساب، تجده إذا سئل، يصل إلى النتائج بسرعة غريبة، يظن سامعه أن ذلك إخبارٌ من جن، وليس كذلك.

ولرسوخ ابن عباس رضي الله عنهما وتمكنه في العلم قيل عنه: «إنه كان ينظر إلى الغيب من وراء سترٍ رقيق»، إشارة إلى قوة أودعه الله إياها، فرأى بما أودعه الله تعالى في نفسه، من الصفاء، والشفوف، والرقة، واللطافة، فمن الناس من هو كذلك»[٣].

وقد خصَّ الله تبارك وتعالى جنس العرب بمزايا «في عقولهم وألسنتهم، وأخلاقهم، وأعمالهم، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ وهو قوة العقل، الذي هو الحفظ والفهم، وتام، وهو قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ، وأقدر على البيان، أما كمالهم في الفهم، فلأنهم كانوا لا يبارون قوة ذكاء، وإصابة حدس[٤]، وحدَّة ألمعيَّة[٥]، وصدق فراسة،

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب.
(٢) انظر: محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٩٢ ـ ٩٣).
(٣) الفروق (٤/ ٢٤٩).
(٤) الحدس: إدراك الشيء، إدراكاً مباشراً. انظر: المعجم الوسيط (١٦١).
(٥) الألمع: الذكي المتوقد، الصادق الفراسة. المصدر السابق (٨٣٩).

يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم، كأنهم شاهدوه، ويصف لهم الحدس الصائب حال الورد قبل أن يردوه»[١].

(١) بلوغ الأرب (١/ ١٩).

## المبحث السابع

# تجزؤ التعبير

الأصل في ذلك ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلاً أتى رَسُولَ الله ﷺ فقال: «إني رأيت اللَّيْلَةَ في الْمَنَام ظُلَّةً تَنْطُفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى الناس يَتَكَفَّفُونَ منها، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وإذا سَبَبٌ وَاصِلٌ من الأرض إلى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ»، فقال أبو بكر: «يا رَسُولَ الله، بِأَبِي أنت، والله لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا»، فقال النبي ﷺ: «**اعْبُرْهَا**»، قال: «أَمَّا الظُّلَّةُ، فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا الذي يَنْطُفُ من الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ، حَلَاوَتُهُ تَنْطُفُ، فَالْمُسْتَكْثِرُ من الْقُرْآنِ، وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ من السَّمَاءِ إلى الأرض فَالْحَقُّ الذي أنت عليه تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ الله، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ من بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يأخذ به رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصَّلُ له فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أنت أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟» قال النبي ﷺ: «**أَصَبْتَ بَعْضاً، وَأَخْطَأْتَ بَعْضاً**»، قال: «فَوَاللهِ لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ»، قال: «**لَا تُقْسِمْ**»[(١)].

قال القاضي عياض: «وقيل: الخطأ هنا بمعنى الترك؛ أي: تركت

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير، باب: من لم ير الرؤيا لأول عابر، حديث (٧٠٤٦)، (١٣٤٦).

بعضاً لم تفسره»[١].

وقال ابن العربي: «ألا ترى أن الصديق لما أخطأ في تفسير الرؤيا لم يكن ذلك حكماً عليها، وإنما ذلك إذا احتملت وجوهاً من التفسير، فعين بتأويله أحدها جاز»[٢].

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٤٥٥).

(٢) أحكام القرآن (٣/ ٥٦).

## المبحث الثامن

# العمل بالتعبير

### * تمهيد *

اتفق أهل السنة على أنَّ مصادر الأحكام الشرعية هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، واختلفوا في: الاستصحاب، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والاستحسان، والمصالح المرسلة[١].

فالأحكام المستندة إلى نص من الكتاب أو من السنة، أو من الإجماع المبني على دليل من كتاب أو سنة، أو من القياس الصحيح المعتبر، فهذه أحكام شرعية مأمور بفعلها أو تركها؛ لأنها مستندة إلى أدلة قطعية يقينية.

أما ما كان من الأحكام مستنداً إلى أدلة ظنية فلا يعمل بها إلا بشروط.

والناظر لعلم تعبير الرؤيا يجده من العلم المظنون إلا ما كان من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

جاء في أحكام القرآن[٢]، لابن العربي: «تفسير الرؤيا ليس بقطع، وإنما هو ظن... وذلك في حق الناس، فأما في حق الأنبياء فلا، فإن حكمهم حق كيفما وقع».

---

(١) انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة.

(٢) (٣/ ٥٤)؛ وانظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠).

والناظر في كتب الأصول، يجد أن العلماء بحثوا ما يتعلق بالإلهام، الذي هو أحد طرق التعبير، كما سبق، بل هو أقواها، ولم يجعلوه مصدراً للأحكام الشرعية، وإنما يؤخذ به عند تكافؤ الأدلة أو فقدانها، وفي حدود ضيقة بشروط، وليس في كل مسألة، وبعضهم نص على أن من علامته أن ينشرح له الصدر، ولا يعارضه معارض من خاطر آخر[(١)]؛ لأن الخلق مفطورون على الحق.

قال ابن تيمية: «والقلب المعمور بالتقوى إذا رجح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعي، فمتى ما وقع عنده وحصل في قلبه ما يظن معه أن هذا الأمر أو هذا الكلام أرضى لله ورسوله، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الإلهام ليس طريقاً إلى الحقائق مطلقاً أخطأوا، فإذا اجتهد العبد في طاعة الله وتقواه، كان ترجيحه لما رجح، أقوى من أدلة كثيرة ضعيفة، فإلهام مثل هذا دليل في حقه، وهو أقوى من كثيرٍ من الأقيسة الضعيفة والموهومة، والظواهر، والاستصحابات الكثيرة، التي يحتج بها كثيرٌ من الخائضين في المذاهب، والخلاف، وأصول الفقه»[(٢)].

ويقول الشاطبي: «فإذا لاح لأحدٍ من أولياء الله شيءٌ من أحوال الغير فلا يكون على علمٍ منها محقق لا شك فيه، بل على الحال التي يقال فيها: أرى، أو أظن، فإذا وقع مطابقاً في الوجود، وفرض تحققه بجهة المطابقة أولاً، والاطراد ثانياً، فلا يبقى للإخبار به بعد ذلك حكم؛ لأنه صار من باب الحكم على الواقع، فاستوت الخارقة وغيرها،

---

(١) انظر: قواطع الأدلة (٥/ ١٣٢)؛ وشرح الكوكب (١/ ٣٢٩)؛ وإرشاد الفحول (٢/ ٢٨٧)؛ وبدائع الفوائد (٤/ ٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٢).

نعم[١] تفيد الكرامات والخوارق لأصحابها يقيناً وعلماً بالله تعالى، وقوة فيما هم عليه، وهو غير ما نحن فيه».

قال دراز معلقاً: «أي لأنه يبقى على عدم العلم، بل على مجرد الظن، أو شك حتى يقع، فبعد وقوعه مطابقاً لا يبقى للإخبار به فائدة في بناء حكم عليه، ويكون الحكم إن كان هناك حكم مبنياً على الواقع نفسه»[٢].

ومضى تقرير أنه ما من منقبة أعطيها الرسول إلا وأعطيت أمته أنموذجاً منها، إلا ما خص به، فقد يقال: إن الرسول حكم بموجب التعبير، فعلى الأمة اقتفاء أثره في ذلك.

يقال: رؤيا الأنبياء وحي، وإقرارهم لتعبير رؤيا شرع، وهم معصومون من الخطأ في البلاغ، وتقرر أيضاً أن الأولياء لا يطاعون في كل ما يقولون ورؤياهم ظن، وتعبيرهم كذلك لعدم العصمة.

قال الشاطبي: «فاعلم أن النبي مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة، الدالة على صدق ما قاله، وصحة ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوماً بلا خلاف، إما بأنه لا يخطئ البتة، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض، فما ظنك بغير ذلك؟ فكل ما حكم به أو أخبر عنه من جهة رؤيا نوم، أو رؤية كشف، مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله ﷻ، وأما أمته فكل واحدٍ منهم غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط والخطأ والنسيان، ويجوز أن تكون رؤياه حلماً،

---

(١) قال دراز: استدراك على ما قبله الموهم أنه حينئذ لا فائدة في الخوارق والكرامات لأنه لا ينبني عليها حكمٌ أصلاً، يقول: بل لها فائدة أهم من هذا، وهي زيادة اليقين وشرح الصدر بتضاعف نور الإيمان، واتساع البصيرة والعلم بالرب واهبها.

(٢) الموافقات (٤/ ٨٥)، وهذا هو الفرق بين أن يكون للأمة أنموذجاً من آياته ﷺ، إلا ما خص به، وبين ترتيب الحكم على تلك الآيات.

وكشفه غير حقيقي، وإن تبين في الوجود صدقه، واعتيد ذلك فيه واطرد، فإمكان الخطأ والوهم باق، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم»[١].

لكن من تصرف بمقتضى هذه الخوارق كما كان عليه الصلاة والسلام فقد «ثبت أن النبي ﷺ حذَّر وبشَّر، وأنذر، وندب[٢] وتصرف بمقتضى هذه الخوارق من الفراسة الصادقة والإلهام الصحيح، والكشف الواضح، والرؤيا الصالحة، كان من فعل ذلك ممن اختص بشيءٍ من هذه الأمور على طريق من الصواب، وعاملاً بما ليس بخارجٍ عن المشروع، لكن مع مراعاة شرط ذلك»[٣].

وهو «ألا تخرم حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكماً شرعياً ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيالٌ أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق، وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره، من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع»[٤].

قال: «ليس القصد بالكرامات والخوارق أن تخرق أمراً شرعياً، ولا أن تعود على شيءٍ منه بالنقص، كيف وهي نتائج عن اتباعه، فمحال أن ينتج المشروع ما ليس بمشروع، أو يعود الفرع على أصله بالنقض، هذا لا يكون البتة»[٥].

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٨٣).
(٢) قال دراز: أي أنه ﷺ رتب على فراسته ورؤياه وإلهاماته بشارة للبعض ونذارة للآخر، وتصرفات في بعض الشؤون، وهكذا، فمن فعل مثله ﷺ كان على صوابٍ في عمله، وقد علمت... أن صدق ذلك تابع لقوة المتابعة.
(٣) الموافقات (٢/ ٢٦٣).
(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٦٦).
(٥) المرجع السابق (٢/ ٢٧٢).

قال: «فإن قيل: هذا يقتضي أن لا يعمل عليها، وقد بنيت المسألة على أنه يعمل عليها.

قيل: إن المنفي هنا أن يعمل عليها بخرم قاعدة شرعية، فأما العمل عليها مع الموافقة فليس بمنفي»[١].

ويلحق بهذا التمهيد مسألة رؤية النبي ﷺ في المنام، فهي رؤيا حق، ولا يمكن أن يتمثل به الشيطان، فإذا كانت بهذه المثابة فهل يبنى عليها حكم، خاصة إذا أمره بأمرٍ فيه مخالفة لقواعد الشرع؟.

يقال: أخرج البخاري في صحيحه[٢]، من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«مَن رَآني فِي المَنَام فَقَد رَآني، فَإِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي، وَرُؤْيَا المُؤمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَربَعِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»**، وفيه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«مَن رَآنِي فَقَد رَأَى الحَقَّ»**[٣].

القول الصحيح في معنى هذا الحديث، هو ما حرره ابن حجر بقوله: «والذي يظهر لي أن المراد: من رآني في المنام على أي صفةٍ كانت فليستبشر، ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق، التي هي من الله، لا الباطل الذي هو الحلم، فإن الشيطان لا يتمثل بي»[٤].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «من رآه ﷺ في المنام بصفته المعلومة فهو إدراك الحقيقة، وإن رآه على غير صفته فهو إدراك

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٧٣).
(٢) في التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام، حديث (٦٩٩٤)، (١٣٣٧).
(٣) انظر: روايات الحديث وألفاظه في فتح الباري (١٢/ ٤٠٢)؛ وكتاب الرؤيا للتويجري (٤٠، ٤٣).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٤٠٦).

المثال... فإن رآه على خلاف صفته قلنا: هي أمثال، فإن رآه حسن الهيئة حسن الأقوال والأفعال مقبلاً على الرائي كان خيراً له، وإن رأى خلاف ذلك كان شراً له وفيه، ولا يلحق النبي ﷺ من ذلك شيء، وتفصيل ذلك في كتب التعبير»[١].

وقال أبو العباس القرطبي: «فالصحيح في معنى هذا الحديث أن يقال: إن مقصوده الشهادة منه بأن رؤيته في النوم على أي حالٍ كانت ليست باطلة، ولا من أضغاث الأحلام، بل هي حق في نفسها، وإن تصوير تلك الصورة، وتمثيل ذلك المثال ليس من قبل الشيطان، إذ لا سبيل له إلى ذلك، وإنما ذلك من قبل الله تعالى، وهذا مذهب القاضي أبو بكر[٢]، وغيره من المحققين، وقد شهد لذلك قوله ﷺ: «**مَن رَآنِي فَقَد رَأَى الحَقَّ**»، أي الحق الذي قصد إعلام الرائي به، وإذا كانت تلك حقاً فينبغي أن يبحث عن تأويلها، ولا يهمل أمرها، فإن الله تعالى إنما مثل للرائي بشرى فينبسط للخير، أو إنذاراً لينزجر عن الشر، أو تنبيهاً على خيرٍ يحصل له في دين أو دنيا، والله تعالى أعلم»[٣].

إذا تقرر هذا فهل يؤخذ حكمٌ من هذه الرؤيا إذا كلمه الرسول ﷺ وأمره أو نهاه؟

---

(١) عارضة الأحوذي (٩/ ١٣٠).

(٢) يقصد القاضي أبا بكر بن الطيب الباقلاني، وقد صرَّح المازري به. انظر: الفتح (١٢/ ٤٠٣)، والباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، من كبار علماء الكلام، وإمام الأشاعرة في وقته، له: إعجاز القرآن، والملل والنحل، وكشف أسرار الباطنية، وغيرها، مات سنة (٤٠٣هـ). (الأعلام ٦/ ١٧٦).

(٣) المفهم (٦/ ٢٣)؛ وانظر معنى الحديث: فتح الباري (١٢/ ٤٠٠)؛ وكتاب الرؤيا للتويجري (٤٤).

قال ابن أبي جمرة: «وكذلك يقال في كلامه ﷺ في النوم أنه يعرض على سنته، فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره، قال: وهذا خير ما سمعته في ذلك»(١).

وقال ابن حجر: «قال بعض علماء التعبير: إن من رآه شيخاً فهو عام سِلم، أو شاباً فهو عام حرب، ويؤخذ من ذلك ما يتعلق بأقواله، كما لو رآه أحدٌ يأمره بقتل من لا يحل قتله، فإن ذلك يحمل على الصفة المتخيلة، لا المرئية.

إلى أن قال: [و] رؤياه على الحالين حقيقة، لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير، وإذا كان على غير صورته كان النقص من جهة الرائي لتخيله الصفة على غير ما هي عليه، ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلى تعبير، وعلى ذلك جرى علماء التعبير»(٢).

قال: إن النائم لو رأى النبي ﷺ يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد؟ أو لا بدَّ أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني هو المعتمد(٣).

لكن نصَّ العلماء على أنه لا بدَّ من ضبط صفاته عليه السلام، وقالوا: «إنما تصح رؤيته لأحد رجلين: أحدهما: صحابي رآه فعلم صفته، فانطبع في نفسه مثاله، فإذا رآه: جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان، فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته عليه السلام.

---

(١) الفتح (١٢/ ٤٠٤).

(٢) الفتح (١٢/ ٤٠٣)، وانظر: الفروق (٤/ ٢٤٥).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ٤٠٥).

**وثانيهما**: رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب، حتى انطبعت في نفسه صفته ﷺ، ومثاله المعصوم، كما حصل ذلك لمن رآه، فإذا رآه جزم برؤية مثاله ﷺ، كما يجزم به من رآه فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته ﷺ، وأما غير هذين فلا يحصل له الجزم، بل يجوز أن يكون رآه ﷺ بمثاله، ويحتمل أن يكون من تخييل الشيطان، ولا يفيد قول المرئي لمن رآه أنا رسول الله، ولا قول من يحضر معه: هذا رسول الله؛ لأن الشيطان يكذب لنفسه، ويكذب لغيره»[١].

وعلى هذا يحمل قول ابن سيرين، فإنه إذا قصَّ عليه رجلٌ أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره[٢].

نخلص مما سبق إلى أن العمل بالتعبير ينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول**: عمل صحيح.

**القسم الثاني**: عمل باطل.

---

(١) الفروق (٤/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في: فضل الصلاة على النبي ﷺ كما قال ابن حجر، وصحح إسناده في فتح الباري (١٢/ ٤٠٠).

## □ القسم الأول □

## عمل بالتعبير صحيح

وهو ما كان شرعاً في حق النبي، أو موافقاً له في حق غيره، أو من المبشرات، وهو على نوعين:

### النوع الأول: عمل الأنبياء عليهم السلام، بموجب رؤياهم:

ورؤيا الأنبياء وحي، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، قال: «كَانَتْ رُؤْيَا الأَنبِيَاء وَحْياً»[(١)].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفاً قال: «أن رسول الله ما رأى في نومه وفي يقظته فهو حق»[(٢)].

وعن عبيد بن عمير[(٣)]، قال: رؤيا الأنبياء وحي، وقرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾[(٤)] [الصافات: ١٠٢].

وهذه الآثار مثلها لا يقال بالرأي، فهي في حكم المرفوع.

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، رقم (٤٦٣)؛ وابن جرير في أول تفسير سورة يوسف (٧/١٤٨)؛ والطبراني (١٢/٦)؛ والحاكم في المستدرك (٢/٢٣١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢٠٢)، تحقيق: الألباني؛ والأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٣٣)؛ وابن أبي شيبة (١٢/٢٧)؛ والطبراني في الكبير (٢٠/١٤٩)؛ وابن أبي عاصم في السنة، برقم (٤٦٤)؛ وعبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل (١/٣٢٦)؛ قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ، قاله مسلم، وعدَّه غيره من كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر رضي الله عنه. التقريب (٤٣٨٥) (٣٧٧).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً برقم (١٣٨)؛ وابن جرير في التفسير (١٠/٥٠٧)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات، برقم (٤٢٠) (١/٤٩١).

قال: «رؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا في المنام شيئاً فعلوه»[(١)].

وقد مضى أن آيات الأنبياء على قسمين: كبرى مختصة بهم لا يشاركهم أحد فيها، وصغرى قد يشاركهم الصالحون فيها، فكذلك رؤيا الأنبياء على قسمين:

قسمٌ لا يشاركهم أحدٌ فيه[(٢)]، وهي ما كان فيها أمرٌ ونهي، وتعبيرها تطبيقها.

وقسمٌ فيه بشارة ونذارة، وهي الباقية من النبوة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

وقد سبق تقرير القول فيها، وأنه لا يؤخذ منها حكم، لكمال الشريعة، وانتفاء العصمة، لكن النبي ﷺ قد يعمل بموجبها، وقد لا يعمل، كما في غزوة أُحد[(٣)]، وقد تحتاج إلى تعبير[(٤)]، وقد يذهب وهل النبي ﷺ في تفسيرها إلى غير المراد منها، كما في حديث مهاجر النبي، بعكس الأولى فإنها حق لا تحتاج إلى تعبير، وتفسيرها تطبيقها، ويجب على النبي ﷺ العمل بها.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠/ ٥٠٧)؛ وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٧/ ١٠٤).

(٢) إلا ما كان في حياتهم بعد إقرارهم، كحديث تشريع الأذان وغيره.

(٣) أخرج أحمد، حديث (١٤٨٤٧)، (١٠١٣)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقراً منحرة، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير، قال: فقال لأصحابه: لو أنَّا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم؟**»، فقالوا: يا رسول الله، والله ما دُخل علينا فيها في الجاهلية، فكيف يُدخل علينا فيها في الإسلام؟، فقال: «**شأنكم إذاً**»، قال: فلبس لأمته، قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله، شأنك إذاً، فقال: «**إنه ليس لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**».
قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٥٣): رجاله رجال الصحيح.

(٤) لأن منها ما يأتي مثل فلق الصبح، كما في أول النبوة، ورؤيا خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، ورؤيا المؤمن في آخر الزمان.

**إذاً نخلص إلى أن رؤيا الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه على قسمين:**

ـ **القسم الأول: رؤيا مختصة بالنبي ﷺ.**

وهذا القسم فيه أمرٌ للنبي ﷺ، ويجب امتثاله، وتعبيره تطبيقه، ودليله قول الله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٠ ـ ١٠٥].

ـ **القسم الثاني: رؤيا مبشرة**، وهذا القسم هو الباقي من النبوة، وأدلته كثيرة جداً، منها:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: ٤٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَينا أَنا نَائِمٌ أُعطيت قَدَحَ لَبَن، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، حَتَّى إِني لأَرَى الرِيَّ يَخرُجُ مِن أَظفَارِيْ، ثُم أعطيت فَضلِي**» يَعنِي عُمر، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟، قال: «**العِلْم**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير، باب: اللبن، حديث (٧٠٠٦)، (١٣٣٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أريتك في المنام مرتين، إذا رجلٌ يحملك في سرقة[١] من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه»**[٢]، ولهذا بنى بها الرسول وهي ابنة تسع سنين.

وعن سالم، عن أبيه[٣]: أن النبي ﷺ قال: **«رَأَيْتُ امرَأَةً سَودَاء ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَة حَتى قَامَتْ بِمَهْيَعَة، فأولت أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة»**[٤]، وهي الجحفة[٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«رَأَيتُ في المَنَام أَني أُهَاجِرُ مِن مَكَّة إلى أَرضٍ بِهَا نَخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة[٦]، أو الهَجَر[٧]، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت فيها بقراً والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أُحد، وإذا الخير ما جاء الله من الخير، وثواب الصدق**

(١) السرقة ـ بفتح المهملة، والراء والقاف ـ: هي القطعة. انظر: فتح الباري (٩/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في التعبير، باب: كشف المرأة في المنام، حديث (٧٠١١)، (١٣٤٠).

(٣) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في التعبير، باب: المرأة السوداء، حديث (٧٠٣٩)، (١٣٤٥).

(٥) قرية كبيرة على طريق المدينة، وهي ميقات أهل مصر والشام، سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها، وحمل أهلها في بعض الأعوام، قيل: هم: بنو عقيل، إخوة عاد بن ربّ، لما أخرجهم العماليق نزلوا هناك فاجتحفهم السيل، وتبعد عن مكة نحو (٢٠٠) كيلو متر. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٢٩)، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام (٢/ ٢٧٥)، وشرح عمدة الفقه (٦٢٥).

(٦) اليمامة: تقع في نجد، وكان اسمها جوًّا، فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم، وقيل: باسم طائر يقال له: اليمام، وقيل: من يمامة كل شيءٍ: أي قطبه. انظر: معجم البلدان (٥/ ٥٠٥).

(٧) هجر: تسمى قديماً البحرين، وهي الآن الأحساء، شرق جزيرة العرب على الخليج، فتحها العلاء بن الحضرمي، قيل: سنة ثمان، وقيل: سنة عشرٍ للهجرة. المصدر السابق (٥/ ٤٥٢).

**الذي آتانا به بعد يوم بدر»**[١].

قال أبو العباس القرطبي: «هذا يدل على أن هذه الرؤيا وقعت له وهو بمكة قبل الهجرة، وأن الله تعالى أطلعه بها على ما يكون من حاله وحال أصحابه.

قوله: «**فذهب وهَلي**»: أي: ذهب وهمي وظني، ثم إنه لما هاجر إلى المدينة تعينت له تلك الأرض، فأخبر بعد هجرته إليها بقوله: «**فإذا هي المدينة**».

ففيه ما يدل على أن الرؤيا قد تقع موافقة لظاهرها من غير تأويل، وإن الرؤيا قبل وقوعها لا يقطع الإنسان بتأويلها، وإنما هي ظنٌّ وحدس، إلا فيما كان منها وحياً للأنبياء»[٢].

## النوع الثاني: عمل من سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

وفيه أمور:

ـ **الأمر الأول: تشريعٌ جديد في عصر النبوة**: وأقرَّه النبي، فيلحق بالأول، ومنه تشريع الأذان، كما في حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه[٣] رضي الله عنه، قال: لما أجمع رسول الله ﷺ أن يضرب بالناقوس[٤]، يجمع للصلاة الناس، وهو كارهٌ لموافقته النصارى، طاف بي من الليل طائفٌ وأنا نائم، رجلٌ عليه ثوبان أخضران، وفي يده ناقوسٌ يحمله،

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير، باب: إذا رأى بقراً تُنحر، حديث (٧٠٣٥)، (١٣٤٤).

(٢) المفهم (٦/ ٣٥).

(٣) عبد الله بن زيد بن عبد ربه، بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أبو محمد المدني، أُرِيَ الأذان، صحابي مشهور، مات سنة (٣٢هـ)، وقيل: استشهد بأُحد. انظر: التقريب (٣٣٣٢)، (٣٠٤).

(٤) الناقوس: مضراب النصارى الذي يضربونه إيذاناً بحلول وقت الصلاة. المعجم الوسيط (٩٤٦).

قال: فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: ما تصنع به؟، قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خيرٍ من ذلك؟ قال: فقلت: بلى، قال: تقول: الله أكبر الله أكبر. . . ذكر الأذان بكماله، ثم قال: ثم استأخرت غير بعيد، قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة. . فذكر له الإقامة، قال: فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ الله**»، ثم أمر بالتأذين، وفي رواية: أن عمر رضي الله عنه سمع بذلك وهو في بيته، فخرج يجر رداءه يقول: «والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى»، قال: فقال رسول الله: «**فَلِلَّهِ الحَمْدُ**»[١].

وعن الطفيل[٢] أخي عائشة لأمها، قال: أتى رجلٌ النبي ﷺ فقال: إني رأيت في المنام أني لقيت بعض أهل الكتاب، فقال: نعم القوم أنتم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فقال النبي ﷺ: «**قَدْ كُنتُ أَكرَهُهَا مِنْكُم، فَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحمَّد**»[٣].

قال سليمان بن عبد الله: «وفيه أن الرؤيا قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام، كما في الحديث، وحديث الأذان، وحديث الذكر بعد الصلوات»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٣)، واللفظ له، والترمذي في أبواب الصلاة، باب: ما جاء في بدء الأذان (١/ ٤٨٠)، وقال: حسنٌ صحيح؛ وأبو داود في الصلاة، باب: كيف الأذان (٢/ ١١٩)، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود (١/ ٩٨).

(٢) الطفيل بن سخبرة، ويقال: ابن عبد الله بن الحارث بن سخبرة، أخو عائشة لأمها، صحابي له حديث عند ابن ماجه. التقريب (٣٠١٨) (٢٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩٣)، واللفظ له، وابن ماجه في الكفارات، باب: النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت، حديث (٢١١٨) (٢/ ٥٥١)، قال البوصيري: هذا إسنادٌ صحيح، رجاله ثقات، على شرط مسلم، وقال الأرناؤوط: حديث حسن. انظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (٥٠٦).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٤٥٧).

وقال عبد الرحمٰن بن حسن[١]: «وهذه رؤيا حق أقرها رسول الله وعمل بمقتضاها، قال: وفيه معنى قوله: «**الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»، قال: وإن كانت رؤيا منام فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي أمراً ونهياً، والله أعلم»[٢].

قال الإمام[٣] في المسائل:

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام[٤].

ـ **الأمر الثاني**: قبل ذكر الأمر الثاني، يقول الشاطبي: «إذا تقرر اعتبار ذلك الشرط ـ وهو أن الخوارق لا تخرم قاعدة شرعية ـ قال: فأين يسوغ العمل على وفقها؟

قال: فالقول في ذلك أن الأمور الجائزات، أو المطلوبات، التي فيها سعة يجوز العمل فيها بمقتضى ما تقدم، وذلك على أوجه»[٥]، ومنه:

الأمر الثاني: أن يكون العمل بالرؤيا في أمر مباح.

قال الشاطبي: «كأن يرى المكاشف أن فلاناً يقصده في الوقت الفلاني، أو يعرف ما قصد إليه في إتيانه من موافقة أو مخالفة، أو يطلع على ما في قلبه من حديث أو اعتقاد حق أو باطل[٦]، وما أشبه ذلك،

---

(١) عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه حنبلي من علماء نجد، حفيد الإمام صاحب الدعوة إلى التوحيد، ويعرف هذا البيت بآل الشيخ، له: الإيمان، والرد على أهل البدع، وفتح المجيد، ومجموعة رسائل وفتاوى، وغيرها، مات سنة (١٢٨٥هـ). (الأعلام ٣/ ٣٠٤).

(٢) فتح المجيد (٥٠٧).

(٣) المجدد إمام الدعوة، محمد بن عبد الوهاب التميمي.

(٤) كتاب التوحيد، باب: قول: ما شاء الله وشئت (١٨٥).

(٥) الموافقات (٢/ ٢٧٣).

(٦) تقدم تفصيل القول في الكشف، ومعرفة الخواطر.

فيعمل على التهيئة له حسبما قصد إليه، أو يتحفظ من مجيئه إن كان قصده الشر، فهذا من الجائز له، كما لو رأى رؤيا تقتضي ذلك، لكن لا يعامله إلا بما هو مشروع»[١].

وقد مضى حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، قال: رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي ﷺ، فأخبره بذلك فقال: «**إِنَّ الرُّوحَ لَيَلْقَى الرُّوْحَ**»، واقتبع النبي ﷺ فوضع جبهته على جبهة النبي ﷺ، وفي رواية البغوي، قال النبي ﷺ: «**صدِّق رُؤْيَاكَ**».

«وهـذا أمرٌ من التصديق؛ أي اعمل بمقتضاها، قال: هذا تصريحٌ بأن من رأى رؤيا يستحب أن يعمل بها في اليقظة إن كانت تلك الرؤيا شيئاً فيه طاعة»[٢].

وعن مسروق[٣]، قال: «مرَّ صهيب[٤] بأبي بكرٍ فأعرض عنه، فقال: ما لك أعرضت عني؟ أبلغك شيءٌ تكرهه، قال: لا والله إلا رؤيا رأيتها كرهتها، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت يدك مغلولة إلى عنقك على باب رجلٍ من الأنصار، يقال له: أبو الحشر، فقال أبو بكر: نِعْمَ ما رأيت، جمع ديني إلى يوم الحشر»[٥].

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٧٣).

(٢) مرقاة المفاتيح (٨/ ٤٠٦).

(٣) مسروق بن الأجدع بن مالك، الهمداني الوادعي، أبو عائشة، الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، مخضرم، مات سنة (٦٢هـ)، ويقال: (٦٣هـ). التقريب (٦٦٠١) (٥٢٨).

(٤) صهيب بن سنان أبو يحيى الرومي، أصله من النمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب: لقب، صحابي شهير، مات بالمدينة سنة (٣٨هـ)، وقيل قبل ذلك. المصدر السابق (٢٩٥٤) (٢٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٢٤٠)، وسنده صحيح.

- **الأمر الثالث: أن يكون العمل بالرؤيا لحاجة يرجو نجاحها:**

قال الشاطبي: «فإن العاقل لا يدخل على نفسه ما لَعَلَّهُ يَخَافُ عَاقِبَتَه، فقد يلحقه بسبب الالتفات إليها عُجب أو غيره، والكرامة كما أنها خصوصية، كذلك هي فتنة واختبار، لينظر كيف تعملون... وقد كان رسول الله ﷺ يخبر بالمغيّبات للحاجة إلى ذلك، ومعلومٌ أنه عليه الصلاة والسلام لم يخبر بكل مغيَّب اطلع عليه، بل كان ذلك في بعض الأوقات، وعلى مقتضى الحاجات... وهكذا سائر كراماته ومعجزاته، فعمل أمته بمثل ذلك في هذا المكان أولى منه في الوجه الأول، لكنه مع ذلك في حكم الجواز»[(١)].

فمن رأى رؤيا فله العمل بها، ووضع الخطط والدراسات على هذه الرؤيا، ما لم تخالف الشرع، وهذا شبيه بما يضعه الدارسون، والمحللون، والمهندسون، من دراسات مستقبلية، في أمورٍ مهمة، قد تكون هذه الدراسات مبنية على حدس وتخمين، وهم لا يضمنون نجاحها، فكذلك العمل بالرؤيا في الأمور المستقبلية، بل هي أقوى لأنها مستندة إلى الوحي المنامي، خاصة إذا عبَّرها ملهمٌ بها.

عن إبراهيم التيمي[(٢)]، قال: «إنما حملني على مجلسي هذا أني رأيت كأني أشم ريحاناً بين الناس، فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي[(٣)]، فقال: إن الريحان له منظر، وطعمه مر»[(٤)].

وعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: «رأيت علي بن أبي

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٧٤).

(٢) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء، الكوفي العابد، ثقة، إلا أنه يرسل ويدلس، مات سنة (٩٢هـ)، وله أربعون سنة. التقريب (٢٦٩) (٩٥).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة، إلا أنه يرسل كثيراً، مات سنة (٩٦هـ)، وهو ابن خمسين أو نحوها. المصدر السابق (٢٧٠) (٩٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٤٥).

طالبٍ رضي الله عنه في النوم، فسلَّم عليَّ وصافحني، وخلع خاتمه وجعله في إصبعي، وكان لي عم ففسرها لي فقال لي: أما مصافحتك لعلي فأمانٌ من العذاب، وأما خلعه خاتمه وجعله في إصبعك فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب، قال الربيع بن سليمان: والله لقد فشا ذكر الشافعي في الناس بالعلم، كما فشا ذكر علي بن أبي طالب»[١].

وكان إسلام أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه سببه وحي من السماء، وذلك أنه كان تاجراً بالشام، فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأي شيءٍ أنت؟ قال: تاجر، قال: صدق الله تعالى رؤياك، فإنه يبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسرَّها أبو بكر حتى بُعث النبي ﷺ، فقال: يا محمد، ما الدليل على ما تدَّعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام، فعانقه وقبَّل بين عينيه، وقال: أشهد أنك رسول الله[٢].

وفي ترجمة ابن جرير الطبري[٣]، أن أباه رأى رؤيا فيها النبي ﷺ، وهو بين يديه ومعه مخلاة مملوءة حجارة، ومحمد بن جرير يرمي بها بين يديه، فعبرت له: بأن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذب عن شريعة النبي ﷺ، وكان أبوه موسراً فأنفق عليه، وسارع في تعليمه في سنٍّ مبكرة[٤].

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ٢١٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٠)؛ وأورده الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١/ ١٢٤).

(٣) محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، مؤرخ مفسر، إمام مجتهد، أوثق من نقل التاريخ، له: جامع البيان، واختلاف الفقهاء، وأخبار الرسل والملوك، وغيرها، مات سنة (٣١٠هـ). (الأعلام ٦/ ٦٩).

(٤) معجم الأدباء (٥/ ٢٤٧).

وذكر الشيخ حمود التويجري «أن الملك عبد العزيز[١] لما أراد أن يغزو الأحساء رأى في منامه كأنه تحت سورٍ رفيع وكان يحفر تحته، فكان ينهار بسهولة، فقصَّ رؤياه على الشيخ محمد ـ هو ابن عبد الرحمٰن بن عبد الله ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكان ممن اشتهر بتعبير الرؤيا ـ فقال له: إن صدقت رؤياك فإنك تستولي على الأحساء بسهولة، قلت: وقع الأمر على وفق ما عبر الشيخ رؤيا الملك»[٢].

وعن الحسين بن خارجة، قال: «لما كانت الفتنة الأولى أشكلت عليَّ فقلت: اللّهم أرني أمراً من أمر الحق أتمسك به، قال: فأريت الدنيا والآخرة وبينهما حائط غير طويل، وإذا أنا بجائز[٣]، فقلت: لو تشبثت بهذا الجائز لعلي أهبط إلى قتلى أشجع، ليخبروني قال: فهبطت بأرضٍ ذات شجرٍ وإذا أنا بنفرٍ جلوس، فقلت: أنتم الشهداء، قالوا: لا، نحن الملائكة، قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقدم إلى الدرجات العلى، إلى محمد، فتقدمت فإذا أنا بدرجة ـ الله أعلم ـ ما هي في السعة والحسن، فإذا أنا بمحمد ﷺ وإبراهيم ﷺ، وهو يقول لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: «استغفر لأمتي»، فقال له إبراهيم: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، أراقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد[٤]، قلت: أراني قد أريت أذهب إلى سعد، فانظر كيف كان مكان

---

(١) عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن فيصل بن تركي بن عبد الله من آل مقرن، ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشؤها، وأحد رجالات الدهر، شجاعاً بطلاً، انتهى به عهد الفروسية في شبه الجزيرة العربية، مات سنة (١٣٧٣هـ). (الأعلام ٤/ ١٩).

(٢) كتاب الرؤيا (١٧٨).

(٣) الجائز: الخشبة بين حائطين، والجمع: أجوزَة، وجيزان، وجُوزان، وجوائز. المعجم الوسيط (١٤٧).

(٤) سعد بن أبي وقاص: مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة (٥٥هـ)، وهو آخر العشرة وفاة. التقريب (٢٢٥٩) (٢٣٢).

سعد، فأكون معه، فأتيته فقصصت عليه الرؤيا، فما أكثر بها فرحاً، وقال: قد شقي من لم يكن له إبراهيم خليلاً، قلت: في أي الطائفتين أنت؟ قال: لست مع واحدٍ منهما، قلت: فكيف تأمرني؟ قال: ألك ماشية؟ قلت: لا، قال: اشترِ ماشية واعتزل فيها حتى تنجلي»[١].

وروي أن عطَّاراً من أهل الكرخ كان مشهوراً بالسنة، ركبه ستمائة دينار ديناً، فأغلق دكانه وانكسر عن كسبه، ولزم منزله وأقبل على الدعاء والتضرع، والصلاة ليالي كثيرة، فلما كان في بعض تلك الليالي رأى رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول له: «اذهب إلى علي بن عيسى الوزير[٢]، فقد أمرته لك بأربعمائة دينار»، فلما أصبح الرجل قصد باب الوزير فلم يعرفه أحد، فجلس لعل أحد يستأذن له على الوزير حتى طال عليه المجلس وهمَّ بالانصراف، ثم إنه قال لبعض الحجبة، قل للوزير أني رجلٌ رأيت رسول الله في المنام، وأنا أريد أن أقصه على الوزير، فقال له الحاجب: وأنت صاحب الرؤيا، إن الوزير أنفذ في طلبك رسلاً متعددة، ثم دخل الحاجب فأخبر الوزير، فقال: أدخله عليَّ سريعاً، فأقبل عليه الوزير يستعلم عن حاله واسمه وصفته ومنزله، فذكر ذلك له، فقال له الوزير: إني رأيت رسول الله ﷺ وهو يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار، فأصبحت لا أدري من أسأل عنك، ولا أعرفك، ولا أعرف أين أنت، وقد أرسلت في طلبك إلى الآن عدة رسل، فجزاك الله خيراً عن

---

(١) أخرجه الحاكم (٤٩٩)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) علي بن عيسى بن داود الجراح، البغدادي الوزير الإمام، المحدِّث، الصادق، الوزير العادل، أبو الحسن البغدادي، الكاتب، كان على الحقيقة غنياً شاكراً ينطوي على دينٍ متين، وعلم وفضل، وكان صبوراً على المحن، ولله به عناية، قال الصولي: لا أعلم أنه وزر لبني العباس مثله في عفته، وزهده، وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله، وما رأيت أعرف بالشعر منه، وكان يجلس للمظالم، وينصف الناس، ولم ير أعف بطناً ولساناً وفرجاً منه، له: كتاب الدعاء، ومعاني القرآن، وديوان رسائله، مات سنة (٣٣٤هـ). معجم الأدباء (٤/ ١٨٨)، والسير (٢/ ٢٨٢٢).

قصدك إياي، ثم أمر الوزير بإحضار ألف دينار، فقال: هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ، وستمائة هبة من عندي، فقال الرجل: لا والله لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ، فإني أرجو الخير والبركة فيه، ثم أخذ منها أربعمائة دينار، فقال الوزير: هذا هو الصدق واليقين.

فخرج ومعه الأربعمائة دينار، فعرض على أرباب الديون أموالهم، فقالوا: نحن نصبر عليك ثلاث سنين، وافتح بهذا الذهب دكانك، ودم على كسبك، فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث، فدفع إليهم مائتي دينار، وفتح حانوته بالباقي، فما حال عليه الحول حتى ربح ألف دينار[1].

## الأمر الرابع: أن يعمل بتعبير فيه بشارة أو نذارة:

قال الشاطبي: «فهذا أيضاً جائز، كالإخبار عن أمرٍ ينزل إن لم يكن كذا، أو لا يكون إن فعل كذا، فيعمل على وفق ذلك، على وزان الرؤيا الصالحة، فله أن يجري بها مجرى الرؤيا»[2].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصونها على رسول الله ﷺ، فيقول فيها رسول الله ﷺ: ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلت: اللّهم إن كنت تعلم فيَّ خيراً فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحدٍ منهما مِقمَعَة[3] من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللّهم إني أعوذ بك من

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤)؛ وانظر: كتاب الرؤيا للتويجري (١٠٧).

(٢) الموافقات (٢/ ٢٧٤).

(٣) المقمعة: خشبة أو حديدة معوجة الرأس، يضرب بها رأس الفيل ونحوه ليذل ويهان. المعجم الوسيط (٧٠٦).

جهنم، ثم أراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد، فقال: لن تراع، نعم الرجل أنت، لو كنت تكثر الصلاة، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم.... الحديث، وفيه: فقصصتها على حفصة[١]، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ عَبدَ الله رَجُلٌ صَالِح**»، فقال نافع[٢]: فلم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة[٣].

قال القرطبي: «إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار، ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار، والدنو منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك»[٤].

وقال عبد الرحمٰن بن عوف[٥] رضي الله عنه: «رأيت الجنة وأني دخلتها حبواً، ورأيت أنه لا يدخلها إلا الفقراء»[٦].

قال الذهبي: «فهو وغيره منام، والمنام له تأويل، وقد انتفع ابن عوف رضي الله عنه بما رأى، وبما بلغه حتى تصدق بأموالٍ عظيمة، أطلقت له ـ ولله الحمد ـ قدميه، وصار من ورثة الفردوس الأعلى فلا ضير».

---

(١) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس ابن حذافة سنة ثلاث، وماتت سنة (٤٥هـ). التقريب (٨٥٦٣) (٧٤٥).

(٢) نافع أبو عبد الله المدني، مولى ابن عمر، ثقة ثبت، فقيه مشهور، مات سنة (١١٧هـ) أو بعدها. التقريب (٧٠٨٦) (٥٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في التعبير، باب: الأمن وذهاب الروع في المنام، حديث (٧٠٢٨) (١٣٤٣).

(٤) فتح الباري (١٠/٣).

(٥) عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة، مات سنة (٣٢هـ) وقيل غير ذلك. التقريب (٣٩٧٣) (٣٤٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (٨١/١) قال الذهبي: إسناده حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قتلت جاناً، فأتيت في المنام فقيل لها: أمَّا والله لقد قتلت مسلماً، قالت: فلِمَ يدخل على أزواج النبي ﷺ، فقيل لها: ما يدخل عليك إلا وعليك ثيابك، فأصبحت فزعة، وأمرت باثني عشر ألفاً في سبيل الله(١).

ورأى محمد بن سيرين كأن الجوزاء(٢) تقدمت الثريا(٣)، فأخذ في الوصية وقال: يموت الحسن، وأموت بعده، وهو أشرف مني(٤).

وجاء عن الشافعي أنه أرسل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل كتاباً يذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في نومه وهو يقول له: يا ابن إدريس، بشِّر هذا الفتى أبا عبد الله أحمد بن حنبل أنه سيُمتحن في دين الله، ويدعى إلى أن يقول: القرآن مخلوق، فلا يفعل، وأنه سيُضرب بالسياط، وأن الله عز وجل ينشر له بذلك علماً لا ينطوي إلى يوم القيامة(٥).

وجاء أن شمويل اليهودي التاجر رأى في منامه، وكان في سفرٍ كأن الملائكة يصلون عليه، فسأل معبراً فقال له: إنك تدخل في دين الله وشريعة رسول الله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣](٦).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٤٣)، وأبو الشيخ في العظمة، حديث (١١١٤) (٤٩٠)، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٦)، بسندٍ رجاله ثقات.

(٢) الجوزاء: برج من بروج السماء على صورة إنسان. انظر: الأنواء والأزمنة للثقفي (٢٤)، والمعجم الوسيط (١٤٧).

(٣) الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور، وكلمة النجم عَلَم عليها. انظر: المصدرين السابقين (٢٥، ٩٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٤)؛ والفسوي في المعرفة (٢/ ٤٦)؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٣/ ٢٣٣). انظر: شرح السنة (١٢/ ٢٣٢).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (٦١٠)؛ وانظر: تفسير القرطبي (٩/ ٨٥).

(٦) تفسير الأحلام لأبي سعيد الواعظ (٤١).

وعن كامل بن طلحة[١] قال: جثوت على ركبتي فقلت لحماد بن سلمة[٢]: يا أبا سلمة، ما لك رويت عن الناس كلهم، وتركت عمرو بن عبيد؟ فقال: إني رأيت في المنام، يوم الجمعة، كأن الناس يصلون إلى القبلة، ورأيت عمرو بن عبيد يصلي إلى غير القبلة[٣].اهـ.

وليس المقصود هنا الإكثار من الرؤيا وتعبيرها، وإنما المقصود التنبيه على ما وراءها، لأن غاية البحث تأصيل المسائل، وإيراد الأمثلة التي تدل على المقصود.

ومن يطالع ما سطره العلماء في كتبهم في هذا الباب[٤] يجد مصداق حديث رسول الله ﷺ بأن الرؤيا مبشرات، فكم من كافرٍ أسلم، ومبتدعٍ أخلص وتابع، وعاصٍ تاب وأناب، وفقيرٍ اغتنى، وعزيزٍ ذلَّ، وذليلٍ عزَّ، ومستكبرٍ تواضع، وغني أنفق، ومبتلى عوفي، وصحابي شهد له بالجنة، كل ذلك كان بسبب رؤيا رآها أو ترى له، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وقد فسرها النبي ﷺ بالرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له.

وهل وصل يوسف عليه السلام إلى ما وصل إليه من الملك، إلا بسبب رؤيا؟! نسأل الله تعالى من فضله العظيم.

---

(١) كامل بن طلحة الجحدري، أبو يحيى البصري، نزيل بغداد، لا بأس به، مات سنة (٢٣١هـ) أو (٢٣٢هـ)، وله بضعٌ وثمانون سنة. التقريب (٥٦٠٣) (٤٥٩).

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغيَّر حفظه بأخرة، مات سنة (١٦٧هـ). المصدر السابق (١٤٩٩) (١٧٨).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢/٨١٦) برقم (١٣٧٤).

(٤) انظر ما عقده اللالكائي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة من فصول في الرؤيا التي رؤيت لأهل السنة، أو رؤيت لأهل البدعة، وانظر: كتاب الرؤيا للتويجري، فقد جمع فيه الكثير الطيب، وانظر: المنامات لابن أبي الدنيا، والروح لابن القيم، وغيرها.

## ❑ القسم الثاني ❑

### عمل بالتعبير باطل

وهو ما كان مضاداً للشرع، كمن رأى في المنام أنه يذبح ابنه، أو يؤمر بفاحشة، أو بعملٍ محرمٍ أياً كان.

روي أن فرعون[١] رأى في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط[٢]، وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل ألا يولد لهم غلامٌ إلا ذبحوه، ولا يولد لهم جارية إلا تركت[٣].

وأخرج نعيم بن حماد[٤] في الفتن، قال: حدثنا عبد القدوس[٥]، عن أبي بكر بن أبي مريم[٦]، عن أشياخه قال: يؤتى السفياني في منامه

---

(١) فرعون: لقب ملك مصر في القديم، وأصله بالمصرية (برْعو)، بغير نون، ومعناه: البيت العظيم، وهو لقب كل عاتٍ. (المعجم الوسيط ٦٨٤).

(٢) كلمة يونانية الأصل بمعنى: سكان مصر، ويقصد بهم اليوم: النصارى من المصريين. انظر: المصدر السابق (٧١١).

(٣) أخرجه ابن جرير في تاريخه، من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعن ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. انظر: كتاب الرؤيا للتويجري (١٨٣).

(٤) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي أبو عبد الله المروزي، نزيل مصر، صدوق يخطئ كثيراً، تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه، وقال: باقي حديثه مستقيم، مات سنة (٢٢٨هـ) على الصحيح. التقريب (٧١٦٦) (٥٦٤).

(٥) عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، أبو المغيرة الحمصي، ثقة، مات سنة (٢١٢هـ). التهذيب (٦/ ٣٢٤)، والتقريب (٤١٤٥) (٣٦٠).

(٦) أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغسَّاني، الشامي، وقد ينسب إلى جده، قيل: اسمه بكير، وقيل: عبد السلام، ضعيف، وكان قد سرق بيته فاختلط، مات سنة (١٥٧هـ). =

فيقال له: قم فاخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثانية، فيقال له مثل ذلك، ثم يقال له الثالثة: قم فاخرج، فانظر من على باب دارك، فينحدر في الثالثة على باب داره، فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة نفر، ومعهم لواء، فيقولون: نحن أصحابك، فيخرج فيهم ويتبعه ناس من قريات وادي اليابس، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم[١]. أبو بكر بن أبي مريم ضعيف وأشياخه مبهمون، والسفياني هذا روي أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، فهو من بني أمية، قرشي النسب، يخرج في وادي اليابس، ناحية دمشق، روى ذلك نعيم بن حماد بسندٍ فيه مجاهيل[٢].

وجاء في جريدة الوطن أنَّ حاجاً أوروبياً رأى في المنام أنه سيتمكن من رؤية المسيح الدجال في مشاعر الحج، واصفاً شكله بأنه ذو لحية طويلة، وكريم عين، وكانت هذه المواصفات تنطبق على أحد الحجاج من اليمن، فعندما رآه في طواف الإفاضة طعنه بسكينٍ وهو يصرخ: إنه المسيح الدجال... إنه المسيح الدجال[٣].

---

= المصدر السابق (٧٩٧٤) (٦٢٣).

(١) كتاب الفتن (١/ ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق، وانظر: السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٥/ ١٠٢٤).

(٣) جريدة الوطن، عدد (٥١٢)، السنة الثانية، السبت (١١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ).

## المبحث التاسع

# كُتُبُ عِلم التَّعبِير

علم التعبير كغيره من العلوم، له علماء متخصصون فيه، وله الكتب المؤلفة في فضله وشرفه، وأصوله، وطبقات أهله.

فمن الكتب التي ألفت في علم التعبير ما صنَّفه المحدثون من كتب أو أبواب ضمن مؤلفاتهم الحديثية، وقد مضى ذكر هذه الكتب.

أما الكتب التي أفردت لهذا العلم فكثيرة جداً، منها:

١ ـ تعبير الرؤيا لابن إسحاق (ت ١٥١هـ).

٢ ـ كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

٣ ـ التعبير لأبي حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ).

٤ ـ كتاب التعبير لإسماعيل بن أشعث (ت ٣٦٠هـ).

٥ ـ كتاب العبارة، لنعيم بن حماد (ت ٢٢٨هـ)، وهو ثلاثة أجزاء.

٦ ـ بيان التعبير، للحافظ المتقن عبدوس بن عبد الله الهمذاني (ت ٤٩٠هـ).

٧ ـ التعبير للحافظ أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني الحداد (ت ٥١٥هـ).

٨ ـ تعبير الرؤيا، لأبي عبد الله الحسين بن محمد المعروف بابن المقري (ت ٥٢٣هـ).

٩ ـ تعبير الرؤيا لأبي طالب عبد الرحمٰن بن محمد القرشي الهاشمي المعدل (ت ٦٢١هـ).

١٠ ـ كتاب التعبير، للإمام القيرواني، وهو كتاب مسند في التعبير.

١١ ـ التعبير القادري، للإمام نصر بن يعقوب الدينوري (كان حيّاً سنة ٣٩٩هـ)، صنَّفه للملك القادر بالله العباسي.

١٢ ـ التعبير، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمٰن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ).

١٣ ـ البشارة والنذارة، لأبي سعيد الواعظ (ت ٤٠٧هـ)، وسيأتي الكلام عليه (مطبوع).

١٤ ـ البشرى في تأويل الرؤيا، لأبي عبد الله محمد بن يحيى الحذَّاء (ت ٤١٦هـ).

١٥ ـ كتاب الرؤيا والمنامات، لأبي ذر الهروي (ت ٤٣٤هـ).

١٦ ـ حكايات المنامات للديلمي (ت ٥٠٩هـ).

١٧ ـ التعبير الميموني، لأبي محمد هارون بن العباس البغدادي (ت ٥٧٢هـ).

١٨ ـ كتاب العبارة، لإبراهيم الكرماني (ت ٤٠٠هـ).

١٩ ـ المعلم على حروف المعجم، لأبي طاهر إبراهيم بن يحيى بن غنام الحراني النميري الحنبلي المقدسي (ت ٦٧٤هـ).

٢٠ ـ المحكم في اختصار المعلم، لمحب الدين أبي حامد محمد المقدسي الشافعي، اختصر فيه كتاب المعلم السابق، وذيل عليه.

٢١ ـ الإشارة في علم العبارة، للإمام جلال الدين عبد الله بن حازم المزني الشافعي.

٢٢ ـ الإشارة إلى علم العبارة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد السالمي (ت ٨٠٠هـ).

٢٣ ـ الحكم والغايات في تعبير المنامات، للإمام محمد بن أبي بكر محمود بن إبراهيم المعروف بابن الدقاق المقري.

٢٤ ـ تفسير الأحلام، ينسب لابن سيرين خطأ، وليس له، يعرف ذلك من الأسانيد المروية فيه، حيث يبدأ السند فيه من رجال القرن الخامس، قيل: إنه لأبي سعيد الواعظ، وهو كتاب البشارة والنذارة، وقيل: لعله لأبي سعد أحمد بن محمد بن نصر، والأول أقرب (مطبوع).

٢٥ ـ البدر المنير في علم التعبير، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمٰن المعروف بالشهاب العابر (ت ٦٩٧هـ).

٢٦ ـ الإشارات إلى علم العبارات، لخليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٩٣هـ)، لخَّص فيه أكثر من ثلاثين كتاباً في تعبير الرؤيا، كما نصَّ على ذلك في المقدمة (مطبوع).

٢٧ ـ ألفية ابن الوردي بشرح المناوي، في علم التعبير[١] (مطبوع).

**ومن كتب المعاصرين:**

٢٨ ـ كتاب الرؤيا، للعلامة حمود بن عبد الله التويجري (مطبوع).

٢٩ ـ قاموس تفسير الأحلام.

٣٠ ـ كيف تعبر رؤياك في ضوء الكتاب والسنة؟

٣١ ـ ثلاثة كتب في الرؤى والأحلام، ثلاثتها للدكتور: خالد العنبري (مطبوع).

---

(١) انظر عن هذه الكتب وغيرها: كشف الظنون (١/٤١٦)؛ والمنامات بين الرائي وقانون المعبر، ص(١٥ ـ ٢٧)؛ وثلاثة كتب في الرؤى (٩٠ ـ ٩٦)؛ والبدر المنير في علم التعبير، ص(١١٤ ـ ١١٦الحاشية)؛ ومعجم الموضوعات المطروقة، ص(٩٩).

٣٢ ـ كتاب المنامات بين آداب الرائي وقانون المعبر، للشيخ عبد السلام محمد علوش (مطبوع).

٣٣ ـ الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية، لأسامة الريس، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مطبوع، لكنه حذف منها جزءاً مهماً وهو ما يتعلق بالرؤى عند علماء النفس.

٣٤ ـ الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع العتيبي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام.

٣٥ ـ الرؤى والأحلام في سنّة هادي الأنام، لأحمد بن سليمان العريني (مطبوع).

٣٦ ـ أحكام تفسير الرؤى والأحلام، لأسامة بن محمد العوضي (مطبوع).

٣٧ ـ من رأى رؤيا فكانت كما رأى، للحازمي (مطبوع).

٣٨ ـ الرؤيا: ضوابطها وتفسيرها، لهشام عبد الرزاق الحمصي (مطبوع).

٣٩ ـ منامات الرسول ﷺ والأنبياء والصحابة، لعبد القادر الشيخ إبراهيم (مطبوع)[١].

٤٠ ـ حياتي وتفسير الأحلام، للمعبِّر: نادر زين الدين.

٤١ ـ المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات، صنعه: مشهور بن حسن سلمان، وعمر بن إبراهيم.

٤٢ ـ القواعد الحسنى في تأويل الرؤى، د. عبد الله بن محمد السدحان.

---

(١) ومن أراد الاستزادة فليراجع: كشف الظنون (١/٤١٦)؛ وأبجد العلوم (٣٣٢)؛ والمنامات لعلوش (١٥ ـ ٢٧)؛ وثلاثة كتب في الرؤى (٩٠ ـ ٩٦)؛ ومعجم الموضوعات المطروقة للحبشي (٩٩).

٤٣ ـ مدى حجيَّة الرؤيا عند الأصوليين، للدكتور: علي جمعة.

٤٤ ـ تعبير الرؤيا، للدكتور: فهد العصيمي.

والمقصود من ذكر هذه الكتب لا يعني أن من طالعها وقرأ فيها يصبح معبراً كما مضى ذكر ذلك في مبحث أصول التعبير.

قال العلامة التويجري: وقد ألف في تعبير الأحلام عدة مؤلفات... ولا خير في الاشتغال بها، وكثرة النظر فيها؛ لأن ذلك قد يشوش الفكر، وربما حصل منه القلق والتنغيص من رؤية المنامات المكروهة، وقد يدعو بعض من لا علم لهم إلى تعبير الأحلام على وفق ما يجدونه في تلك الكتب، ويكون تعبيرهم لها بخلاف تأويلها المطابق لها في الحقيقة، فيكونون بذلك من المتخرصين القائلين بغير علم، ولو كان كل ما قيل في تلك الكتب من التعبير صحيحاً ومطابقاً لكل ما ذكروه من أنواع الرؤيا؛ لكان المعبرون للرؤيا كثيرين جداً في كل عصر ومصر، وقد علم بالاستقراء والتتبع لأخبار الماضين من هذه الأمة أن العالمين بتأويل الرؤيا قليلون جداً، بل إنهم في غاية الندرة في العلماء، فضلاً عن غير العلماء، وذلك لأن تعبير الرؤيا علم من العلوم التي يختص الله بها من يشاء من عباده، كما قال تعالى مخبراً عن يعقوب عليه السلام، أنه قال ليوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، قال القرطبي: أجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا[(١)].اهـ.

قلت: هذا لا يمنع من تعلم هذا العلم بشرطه كما سبق في أصول التعبير.

قال ابن شاهين: ولو اعتمد المعبرون على ما كتب في الكتب

---

(١) كتاب الرؤيا (١٦٩).

خاصة لعجزوا عن أشياء كثيرة لم تذكر في الكتب، لأن علم التعبير واختلاف رؤيا الناس كبحرٍ ليس له شاطئ[١].

وقال: وقد اعتذرت أنه لو اعتمد المعبرون على كتب التعبير خاصة لعجزوا عن أشياء كثيرة، ولكن يحتاج المعبر أن يكون عالماً بأصول التعبير، ويعبر بما يظهر له من المعاني[٢].

*** فائدة:**

ما نسب إلى ابن سيرين من مؤلفات في علم التعبير لا يصح ذلك عنه لأمورٍ، منها:

١ ـ أنه ثبت عن ابن سيرين بالأسانيد الصحيحة أنه كان لا يرى تصنيف الكتب، أخرج ابن سعد، بسندٍ حسن قال: أخبرنا بكار بن محمد، قال: حدثنا ابن عون، قال: قال محمد بن سيرين: إياكم والكتب، فإنما تاه من كان قبلكم، أو قال: ضل من كان قبلكم بالكتب، قال بكار: ولم يكن لجدي، ولا لأبي، ولا لابن عون كتابٌ فيه تمام حديث واحد.

قال ابن سعد: أخبرنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن عتيق، أن محمد بن سيرين كان لا يرى بأساً أن يكتب الحديث، فإذا حفظه محاه[٣]، إسناده صحيح.

وقال صالح بن أحمد، قال أبي: كان عوف وابن سيرين لا يكتبون ولا يكتِبون[٤].

وروى الدارمي، من طريق ابن عونٍ قال: قال ابن سيرين: لا والله

---

(١) الإشارات (٢٩).
(٢) المصدر السابق (٦٤٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٤٥).
(٤) مسائل صالح، رقم (١٠٣٤).

ما كتب حديثاً قط[١].

وأخرج ابن سعد بسندٍ صحيح عن ابن سيرين قال: لو كنت متخذاً كتاباً لاتخذت رسائل النبي ﷺ.

٢ ـ أن من ترجم لابن سيرين من العلماء المحققين لم يذكر أنه ألف في علم التعبير، ولا في غيره، كابن سعد في الطبقات، والخطيب في تاريخ بغداد، والذهبي في تاريخ الإسلام، وابن كثير في البداية والنهاية، وحاجي خليفة في كشف الظنون.

٣ ـ أن التحقيق العلمي أثبت بما لا يدع مجالاً للشك كذب نسبة ذلك لابن سيرين.

٤ ـ أن المؤلفين الذين نسبوا ذلك لابن سيرين كابن النديم، والخلال، في طبقات المعبرين، وابن شاهين في الإشارات لم يذكروا دليلاً على ذلك[٢].

---

(١) (٤١٦/١).

(٢) انظر: البدر المنير (٢٧) الحاشية.

# الفصل الثاني

## مسائل في علم التعبير

وفيه تمهيد، وعشر مسائل:

المسألة الأولى: كثرة التعبير وجمع الناس له.

المسألة الثانية: الدعوة إلى الله تعالى من خلال علم التعبير.

المسألة الثالثة: التفرغ لهذا العلم، والاشتهار بذلك.

المسألة الرابعة: أخذ الأجرة على علم التعبير.

المسألة الخامسة: السلبيات التي تنتج من تعلُّمِ هذا العلم وتعليمه.

المسألة السادسة: قضية التحديد، في تعبير الرؤيا.

المسألة السابعة: تقصد الرؤيا وعبارتها والحرص على ذلك.

المسألة الثامنة: رمي المعبرين في هذا العصر بالكهانة.

المسألة التاسعة: تهافت الناس على المعبرين.

المسألة العاشرة: أنَّ الهمم لم تتوافر على نقل الرؤيا وتعبيرها.

# تمهيد

من المسائل المثَارة حول علم التعبير القول بأنه ليس من منهج السلف، فيقال: ما هو منهج السلف فيما يتعلق بهذا العلم النبوي؟ وقد مضى ما فيه الكفاية من أصالة هذا العلم وشرفه وأهميته.

لكن منهج السلف وللأسف مظلومٌ من كثيرٍ من المنتسبين إليه؛ لأن هؤلاء يجعلون منهج السلف شيئاً ذهنياً لا يمكن تطبيقه في الواقع، ومعلومٌ أن الأشياء الذهنية كلية لا جزئية، فإذا ما سألت أحدهم عن منهج السلف في قضية ما، لا يستطيع التفصيل، لكن يعطيك جواباً مجملاً وهو أن هذا الأمر ليس من منهج السلف، فيقال: ما هو المخالف لمنهج السلف فيما يتعلق بعلم التعبير؟

أهو كثرة التعبير، وجمع الناس له؟ أم الدعوة إلى الله تعالى من خلاله؟ أو هو التفرغ لهذا العلم والاشتهار بذلك؟ أم أخذ الأجرة عليه؟ أم السلبيات التي تنتج من تعلم هذا العلم وتعليمه؟ أم قضية التحديد في عبارة الرؤيا؟ أو تقصد الرؤيا وعبارتها والحرص على ذلك، أو كثرة تهافت الناس على المعبِّرين؟ أو إخبار المعبِّرين ببعض جزئيات الغيب، وأن هذا لا يكون إلا من قبيل الكهانة؟

يقال: قد سبق تقرير أن هذا علمٌ شرعي نبوي إيماني، له أصوله وقواعده، وعلماؤه، وكتبه، فما كان هذا شأنه كيف يقال فيه مثل هذه الشبه، لكن أغلب من يطلق ذلك يكون لديه قصورٌ في الاطلاع على أمور الغيب ومنها أمور الملائكة وعالم الأرواح، وعالم الجن

والشياطين، والبرزخ وما فيه، والنوم وما هو؟ ومسائل السحر والشعوذة والكهانة وغير ذلك، وهذه المسائل لم تعط حقها حتى في الأقسام المتخصصة لتدريس مثل هذه العلوم، فلهذا يكثر المنكرون لبعض جزئيات هذه القضايا، لأن ذلك مبلغ علمهم فيها.

فيقال جواباً على هذه المسائل إجمالاً: ينبغي الاطلاع على تفاصيل هذه المسائل في كتب أهل السنة المعتمدة، وسؤال أهل العلم في ذلك؛ لأن بعض مسائلها وعرة المسالك، وأن لا يبادر الإنسان بإنكار ما لم يحط بعلمه، يغره في ذلك منصبه، إذ كيف يُسأل عن مثل هذه الأمور ولا يستطيع الإجابة؟ وليعلم كل أحد أنَّ فوق كلِّ ذي علمٍ عليم، وبالله التوفيق.

أما جواب هذه المسائل تفصيلاً فهو كما يلي:

## المسألة الأولى

# كَثرَةُ التَّعبير وَجمعُ النَّاس له

لا أدلَّ على ذلك من كثرة الأحاديث التي رويت في تفسير النبي ﷺ للكثير من الرؤيا سواء ما رآه هو ﷺ، أو رآه أحدٌ من الصحابة الكرام، وسبق بيانٌ ببعض مواطن ذلك في كتب السنة.

وقد روى البخاري[1] من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: **«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُم رُؤْيَا؟»**، قال: فيقص عليه من شاء أن يقص... الحديث، وفي لفظٍ قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: **«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُم البَارِحَةَ رُؤْيَا؟»**، وعند مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه: **«مَنْ رَأَى مِنْكُم رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا أَعْبُرْها لَه...»** الحديث.

قال النووي: قوله: كان مما يقول لأصحابه... قال القاضي: معنى هذه اللفظة عندهم: كثيراً ما كان يفعل كذا، كأنه قال: من شأنه[3].

وفي حديث ابن عمر عند البخاري[4] أنَّ رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصونها... الحديث.

---

(١) رقم: (٧٠٤٧).
(٢) رقم: (٥٨٩٠).
(٣) مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٢)؛ وانظر: المفهم (٦/ ٣٠).
(٤) رقم: (٧٠٢٨).

وقد اقتفى أثره أبو بكر ﵁، فأخرج البيهقي في شعب الإيمان[١] بسنده: أنَّ أبا بكر الصديق ﵁ كان يقول إذا أصبح: «من رأى رؤيا صالحة فليحدثنا بها؟»، وكان يقول: «لأن يرى لي رجلٌ مسلم مسبغ الوضوء رؤيا صالحة أحب إليَّ من كذا وكذا».

وكأنَّ ابن حجر لهذا قال: قوله: «كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه، كذا لأبي ذر عند الكشميهني، وله عن غيره بإسقاط «يعني»، وكذا وقع عند الباقين... قال الطيبي:... أي رسول الله كائناً من النفر الذين كثر عنهم هذا القول، فوضع «ما» موضع «من» تفخيماً وتعظيماً لجانبه، وتحريره: كان رسول الله ﷺ يجيد تعبير الرؤيا، وكان له مشاركٌ في ذلك منهم؛ لأن الإكثار من هذا القول لا يصدر إلا ممن تدرَّب فيه ووثق بإصابته[٢]...».اهـ.

وأبو بكرٍ ﵁ كان له التقدم العظيم في عبارة الرؤيا، قال ابن حجر: وفي رواية سفيان بن حسين: «فأذن له»[٣]، زاد سليمان: وكان من أعبر الناس للرؤيا بعد رسول الله ﷺ[٤].

ويقول القرطبي: كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح: «**هَل رَأَى أَحَدٌ مِنكُم اللَّيْلَةَ رُؤيَا فَلْيَقُصَّهَا أُعْبُرْهَا لَهُ**»، فكانوا يقصُّون عليه، ويعبِّرُ، وقد سلك أصحابه ذلك المسلك في حياته، وبعد وفاته، وقد كان ﷺ يقتبس الأحكام من منامات أصحابه كما فعل في رؤيا الأذان، وفي ليلة القدر، وكل ذلك بناءً على أنها وحيٌ صحيح[٥].

---

(١) رقم: (٤٧٧٤) (٤/ ١٩٢) بسندٍ رجاله موثوقون، ونسبه في الدر المنثور (٤/ ٣٧٧) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول.
(٢) الفتح (١٢/ ٤٥٩)؛وانظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٤٠٦).
(٣) أي: الرسول ﷺ أذن لأبي بكرٍ في تعبير حديث الظلة التي تنطف سمناً وعسلاً...
(٤) فتح الباري (١٢/ ٤٥٣، ٤٥٤). (٥) المفهم (٦/ ١٤).

فمن كان من علماء التعبير من أهل السنة فلا ينبغي أن يُثَرَّب عليه بكثرة التعبير، وبما أنَّ التعبير علمٌ من العلوم فهو يخضع لاجتهاد المعبِّر، فقد يرى من المصلحة أن يكثر من التعبير لما في ذلك من البشارة والنذارة ودعوة الناس وتعليمهم، كما يرى المفتي أن يكثر من الفتوى أو لا يكثر؛ لأن مثل هذا يخضع لعوامل كثيرة من حيث الزمان والمكان، والحاجة والمصلحة العامة، نقل عن ابن سيرين أنه كان يقول في الرؤيا، ولا يقول في الفتوى، ثم أمسك عن القول في الرؤيا، ثم قال فيها، وقال: إنما هو ظنٌّ أظنه فما ظننت له في رؤياه خيراً حدَّثته إيَّاه[١].

والناظر في سير علماء السلف من المحدثين، والفقهاء، وعلماء اللغة والأدب، يرى ذلك واضحاً جليّاً، فتجد أحدهم يكثر من الرواية، وآخر من التصنيف، وثالثٌ من الاجتهاد في جمع طرق الحديث، ورابعٌ في الإقلال من الرواية، وآخر في نزوله للناس، وقوله لطلابه: سلوني، وصنفٌ كان يرى الاعتزال عن الناس والبعد عنهم، وهكذا[٢].

ومعبِّر الرؤى ينبغي له أن يكون همه تعليم طلبة العلم أصول هذا العلم ومبادئه ودعوة الناس من خلاله، وفتح باب البشائر بنصرة الدين وأهله دون المبالغة في ذلك، لا أن يكون همه فقط الإكثار من عبارة الرؤيا دون ملاحظة هذه الأمور.

وله أيضاً أن يلاحظ المصلحة من حيث جمع الناس أولاً، فالرسول ﷺ كان يعرض على أصحابه الكرام رضوان الله عليهم في جماعة صلاة الصبح، وكان يعبِّر لكل واحدٍ بمفرده، واقتفى أثره من بعده أبو بكر رضي الله عنه وغيره من معبِّري أهل السنة.

---

(١) تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي، الباب الرابع والعشرون: في عبارة الرؤيا.
(٢) انظر في ذلك: جامع بيان العلم وفضله؛ سير أعلام النبلاء، وغير ذلك.

المقصود أن علم التعبير كغيره من العلوم الشرعية، يلاحظ فيه العالم ما هو الأسلوب المناسب لنشر هذا العلم وإحيائه، وبالله التوفيق.

قال هشام بن حسان: كان ابن سيرين يُسأل عن مائة رؤيا، فلا يجيب فيها بشيءٍ إلا أن يقول: اتق الله وأحسن في اليقظة فإنه لا يضرك ما رأيته في النوم[1].

في هذا الأثر فوائد منها:

١ ـ كثرة الجمع السائل عن الرؤيا.

٢ ـ كثرة الاستماع من ابن سيرين.

٣ ـ استخدام هذا العلم في دعوة الناس.

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٤٥١).

## المسألة الثانية

# الدعوة إلى الله من خلال علم التعبير

الأصل في هذه المسألة قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٣٧ ـ ٤١].

قال ابن سعدي: . . . فلتطمئن قلوبكما، إني سأبادر إلى تعبير رؤياكما . . . ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام، قصد إلى أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما.

ثم قال: فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال، وأنه محسنٌ معهم، ذكر لهما أن هذه الحالة التي عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث منَّ عليَّ بترك الشرك، وباتباع ملة آبائي، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرَّح لهما بالدعوة فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: ٣٩].. إلى أن قال: فيوسف عليه السلام، دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا على شركهما، فقامت عليهما بذلك الحجة، ثم إنه عليه السلام شرع يعبِّر رؤياهما بعدما وعدهما ذلك[1]. اهـ.

أما ما روي عن ابن جريجٍ إن صحَّ من أنه قال: إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا، لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما، فأحبَّ أن يشغلهما بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها، فعاودوه فأعاد عليهم الموعظة، فقد قال ابن كثير: وفي هذا الذي قاله نظر، لأنه قد وعدهما أولاً بتعبيرها، ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام، وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما من قَبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال[2].

ومما يدل على الدعوة إلى الله تعالى بالتعبير، سيرة الرسول ﷺ، فمن يطالع ما روي عنه في كتب السنة يجد ذلك واضحاً جليّاً.

قال ابن حجر في الكلام على حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه الطويل الذي فيه رؤيا النبي ﷺ التي ذكر فيها أنواعاً من العقوبات لبعض المعاصي وغيرها، وهو آخر حديث عند البخاري في كتاب التعبير، قال: وفي هذا الحديث من الفوائد تلخيص العلم، وهو أن يجمع القضايا

(١) تفسير ابن سعدي (٢/٤١٣ ـ ٤١٦)، وانظر كلاماً نحوه في: تيسير اللطيف المنان، ص(٢٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٨).

جملة، ثم يفسِّرها على الولاء ليجتمع تصورها في الذهن، والتحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة، وعن رفض القرآن لمن يحفظه، وعن الزنا، وأكل الربا، وتعمد الكذب، وفيه الحثُّ على طلب العلم واتباع من يلتمس منه ذلك.

إلى أن قال: وفيه استقبال الإمام أصحابه بعد الصلاة، وأراد أن يعظهم أو يفتيهم أو يحكم بينهم[١].

والرسول ﷺ ما بُعثَ إلا مبشِّراً ونذيراً، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح: ٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وغير ذلك من الأدلة الدالة على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرسل مبشِّراً ونذيراً، مبشِّراً بالجنَّة لمن اتبعه، ومنذراً بالنار والعذاب لمن عصاه، كذلك الرؤيا، فقد ذكر النبي ﷺ أنها جزءٌ من النبوة، وأنها مبشرات، ولفظ: مبشرات، في الحديث خرج للأغلب، وإلا هناك رؤيا تكون منذرة[٢].

إذاً فالرؤيا بعد النبي ﷺ فيها البشائر للمؤمنين، أو النذارة لهم ولغيرهم، فبعض الرؤيا تكون سبباً لإسلام شخص، وأخرى لتوبة عاص، وثالثة لتطمين خائف، ورابعة لإخافة عدو، وهكذا.

فإذا كان هذا حال الرؤيا التي لا يعلم ما فيها إلا بتفسيرها، فكان الأولى بعالم التعبير أن يستفيد من هذا في دعوته للناس، ففي جانب البشائر يرشد الناس إلى حمد الله وشكره، وعدم العجب، والإكثار من عبادة الله... إلخ.

(١) فتح الباري (١٢/ ٤٦٦).

(٢) المرجع السابق (١٢/ ٢٩٣)؛ وتفسير القرطبي (٩/ ٨٥).

وإذا كانت الرؤيا منذرة دعا الناس إلى التوبة والاستغفار، والإقلاع عن المعاصي والآثام، والاجتهاد في فعل الخيرات وترك المنكرات.

وينبغي لمعبري الرؤيا من علماء السنة أن يتذكروا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالواجب عليهم أن يكونوا على بصيرة في نشر هذا العلم الشريف، ويجب أن يعلِّموا طلبة العلم أنَّ هذا علمٌ شرعي يجب نشره وبقاؤه في الأمة، وأن لا يثني عزائم هؤلاء العلماء ما يروج عن هذا العلم، وأنه ليس بعلم، ولا يمكن تعلمه، وأنه يعتمد على الكهانة، وغير ذلك من الشبهات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

عن أبي قلابة أنَّ رجلاً أتى أبا بكرٍ فقال له: إني رأيت في النوم كأني أبول دماً، قال: أراك تأتي امرأتك وهي حائض، قال: نعم، قال: فاتق الله[(١)].

وعن عامر قال: أتى رجلٌ أبا بكرٍ فقال: إني رأيت في المنام أني أجري ثعلباً، قال: أنت رجلٌ كذوب، فاتق الله ولا تعد[(٢)].

وجاء رجلٌ إلى محمد بن سيرين، وقصَّ عليه أنه رأى في المنام كأن في حجره صبيّاً، فقال له ابن سيرين: اتق الله ولا تضرب العود[(٣)].

وجاء آخر فقال: إني رأيت كأن على رأسي تاجاً من ذهب، فقال ابن سيرين: اتق الله فإنَّ أباك في أرض غربة، وهو يريد أن تأتيه، قال الراوي: فما راده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتاباً

(١) المصنف (٧/ ٢٤٠)؛ وأخرجه عبد الرزاق (١/ ٣٣٠)؛ والدارمي (١/ ٢٦٧)، وإسناده صحيح إلا أنه منقطع.
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٩٣).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٧).

من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة، ويأمره بالإتيان إليه[١].

هذه بعض الأمثلة التي تدل على أنَّ علماء التعبير كانوا يستعملون هذا العلم كغيره من العلوم الشرعية في دعوة الناس إلى الخير، وما ذكر فيه كفاية؛ لأنَّ غرض البحث التأصيل لا التطويل.

المقصود أنَّ الدعوة من خلال هذا العلم الشرعي النبوي أمرٌ حسنٌ لا شيءَ فيه، بل هو المقدم على استخدام علوم الكفار كالمسرح والتمثيل في نشر دعوة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٧٧)، وإسناده صحيح.

## المسألة الثالثة

# التفرغ لعلم التعبير والاشتهار بذلك

بما أنَّ علم التعبير من العلوم الشرعية التي يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، ففيه معنى التخصص كباقي العلوم الشرعية الأخرى، خاصة في هذا العصر، الذي كثرت فيه فروع العلم الواحد، فاحتاج طلاب العلم إلى التخصص في كل فرع، وهذا لا يمنع أن يكون المتخصص لديه أساسيات في العلوم الشرعية الأخرى، وعلم الطب، والواقع خاصة في علم التعبير، فنظراً لكثرة أصوله كان لا بدَّ لمتعلِّمه من الاطلاع على علومٍ كثيرة[١].

والتخصص في علمٍ من العلوم الشرعية، والاشتهار بذلك كان موجوداً في السلف الصالح، وذلك من عصر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، يقول الرسول ﷺ: **«أَرحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أبو بكر، وَأَشَدُّهُم في أمرِ اللهِ عُمَر، وَأَصدَقُهُم حَياءً عُثمَان، وَأَقْرَؤُهم لِكِتَابِ الله أُبَيّ بن كَعْب، وَأَفرَضُهُم زَيد بن ثَابِت، وَأَعْلَمُهُم بِالحَلالِ وَالحَرامِ مُعَاذ بن جَبَل، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَميناً، وَإِنَّ أَمِين هَذهِ الأُمَّةِ أبو عُبيدَة بن الجَرَّاح»**[٢].

---

(١) انظر: مبحث أصول علم التعبير.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل (٣٨٠٠)، ص(١٠٣٨)؛ وابن ماجه في السنة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١٥٤) (١/١٠٢)، وهو حديث صحيح.
انظر: السلسة الصحيحة، رقم (١٢٢٤).

فإذا ما نظرنا إلى هؤلاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم نجد أنَّ كلَّ واحدٍ منهم خصَّه الرسول ﷺ بعلم، خاصة أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ، ومع هذا لو نظرنا إليهم لوجدناهم من كبار علماء الصحابة في كل علم، لكنهم اشتهروا بالتخصص والبروز في علم ما، كما ذكر ذلك الرسول ﷺ، كذلك عصر التابعين ومن بعدهم إلى عصرنا نجد التخصص في أحد العلوم الشرعية هو السائد على أغلب أفراد الأمة، حتى إنَّ العلماء ألَّفوا الكتب في ذلك، مثل: طبقات المحدثين، وطبقات المفسرين، وطبقات النحاة، وطبقات الأدباء، وطبقات المعبِّرين، وطبقات النسَّابين، وطبقات الفقهاء، وطبقات الأصوليين، وطبقات القرَّاء...

وسبق كلام ابن عبد البر وغيره في أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، وأنه كان من أعبر الناس للرؤيا بعد رسول الله ﷺ، قال البوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة[١]: باب: أعبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكرٍ رضي الله عنه، عن محمد بن سيرين قال: كان أبو بكر رضي الله عنه أعبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ. رواه مسدَّد.

وروى البيهقي في الدلائل[٢] عن سعيد بن المسيب، قال: عرضت عائشة على أبيها رؤيا، وكان أعبر الناس، وكذلك سعيد بن المسيب، ففي طبقات ابن سعد[٣]: وكان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات (٨١ ـ ١٠٠هـ)، وكان ابن المسيب إماماً أيضاً في تعبير الرؤيا، وكان عمر رضي الله عنه يسأل أسماء بنت عميس رضي الله عنها عن عبارة الرؤيا[٤] ولو لم تشتهر بذلك، ما كان يسألها خاصة وهي امرأة، وابن سيرين اشتهر عنه تعبير الرؤيا حتى إذا ما ذكر

(١) (٨/ ٤٨٩).
(٢) (٧/ ٢٦١).
(٣) (٥/ ٩٣).
(٤) تهذيب التهذيب، والإصابة في ترجمتهما رضي الله عنهما.

انصرف ذهن السامع إلى علم تعبير الرؤيا، حتى صار لا يعرف إلا به، مع أنه رَحِمَهُ اللهُ كان إماماً في غيره من العلوم.

قال ابن عبد البر: وحصل لابن سيرين فيها[1] التقدم العظيم والطبع والإحسان[2]...

وقال الذهبي عنه: الإمام الرباني، صاحب التعبير[3]. والمتتبع لسير أعلام الإسلام يجد أنَّ ثلَّة منهم كان يعبر الرؤيا، لكن الاشتهار بذلك كان لبعضهم، ولم يلاحظ الإنكار أو التثريب من أهل الإسلام على أولئك العلماء الذين اشتهروا بعلم عبارة الرؤيا.

أما التفرغ لعلم التعبير فالأصل فيه أنَّ هذا من العلوم الشرعية التي يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، فإذا ما اعتبرنا هذا القيد لم يبق إشكالٌ في هذا الأمر، فمن منَّ الله تعالى عليه بهذا العلم وبرع فيه، إن رأى أنه من المصلحة النزول للناس، والتفرغ لهذا العلم فلا شيء في ذلك أسوة بغيره من العلوم الشرعية من: فقه، وأصول، وتفسير، وحديث، ولغة... إلخ.

وينبغي لعالم التعبير أن يلاحظ أنَّ هذا العلم ليس مقتصراً على التعبير فحسب، بل فيه معنى تعليم أصول هذا العلم، والدعوة إلى الله من خلاله، وتربية الناس، وفتح البشائر لهم.

ونظراً لكثرة فروع العلوم، وازدياد أعداد الناس، وتقارب الأمم، وسرعة وسائل الاتصال، أصبح التفرغ لتخصص ما من الأهمية بمكان في هذا العصر، بل إن التفرغ لفرعٍ من فروع العلم الشرعي كان موجوداً في الأمة الإسلامية من قبل هذا العصر.

---

(١) أي: عبارة الرؤيا.

(٢) التمهيد (١/ ٣١٤).

(٣) تاريخ الإسلام، وفيات (١١٠ _ ١٢٠).

فنجد من العلماء من فرَّغ نفسه لعلم الحديث، أو علم التفسير، أو علم الجرح والتعديل، أو علم النحو وهكذا...

ولا يقال: إنه لم يوجد في الأمة من تفرغ لعلم التعبير، يقال: أولاً إنَّ هذا النفي بحسب علم النافي وليس لأنه لم ينقل لنا ذلك أنه لم يوجد.

وقد تقدم كلام الحافظ ابن كثير أنَّ علم التعبير من العلوم التي كانت الأمة مشتغلة بها، كعلم الحديث والتفسير والفقه.

**ثانياً**: لو سلَّمنا جدلاً أنه لم يوجد ذلك، فهذه المسألة من المسائل المستجدة فيما يتعلق بهذا العلم، وقد سبق القول في تقرير حكمها.

وضابط المصلحة في التفرغ والاشتهار بهذا العلم هو ألَّا يفوت عليه الاشتغال بما هو أوجب عليه منه، قال أبو الليث السمرقندي: من تعلَّم علم الرؤيا فلا بأس به بعدما تفقه في الدين، وهو علمٌ حسن، قال: ولو كان ذلك يشغله عن علم الفقه فالكف عنه والاشتغال بعلم الفقه أفضل[١].

---

(١) تنبيه الغافلين، الباب الرابع والعشرون: في عبارة الرؤيا.

## المسألة الرابعة

# أَخذُ الأُجرَةِ عَلَى عِلْمِ التَّعبِير

تقرر لدينا أنَّ علم التعبير من العلوم الشرعية التي ينبغي نشرها وتعليمها للناس، وعدم كتمانها، فعليه يلحق حكم أخذ الأجرة على التعبير بحكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن وغيره من علوم الشرع.

قال البخاري في كتاب الإجارة: باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، وقال ابن عباس، عن النبي ﷺ: «**أَحَقُّ مَا أَخَذْتُم عَلَيْهِ أَجْرَاً كِتَاب الله**».

وقال الشعبي: لا يَشترطُ المعلم، إلا أن يُعطى شيئاً فليقبله.

وقال الحكم: لم أسمع أحداً كَرِهَ أجر المعلِّم.

وأعطى الحسن دراهم عشرة، ولم يرَ ابن سيرين بأجر القسَّام بأساً، وقال: كان يقال: السحت، الرشوة في الحكم، وكانوا يعطون على الخرص. اهـ.

فما يؤخذ من بيت المال أو جعالة أو أخذ بلا شرط فلا شيء في ذلك، قال شيخ الإسلام وغيره: والفقهاء متفقون على الفرق بين الاستئجار على القرب، وبين رزق أهلها، فرزق المقاتلة، والقضاة، والمؤذنين، والأئمة، جائز بلا نزاع، وأما الاستئجار فلا يجوز عند أكثرهم. اهـ.

فعالم التعبير إذا جاءه رزق من بيت مال المسلمين، أو جعالة، أو

هبة، أو هدية فيجوز له أخذ ذلك إلا أن يتورع فله ذلك، ولو قدِّر أن علم التعبير يدرَّس في مؤسسة علمية كمادة دراسية، مثل: التوحيد، والفقه، والحديث، والتفسير، والأصول... وغيرها، وفُرض راتب لمن يقوم بتدريسه من علماء التعبير، فله أخذ ذلك، ولا شيء عليه.

قال شيخ الإسلام: وأما ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضاً وأجرة، بل رزقٌ للإعانة على الطاعة، فمن عمل منهم لله أثيب، وما يأخذه فهو رزقٌ للمعونة على الطاعة، وكذلك المال الموقوف على أعمال البر، والموصى به كذلك، والمنذور كذلك ليس كالأجرة[١]. اهـ.

قال البسام على حديث: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُم عَلَيْهِ أَجْراً كِتَابُ اللهِ**».

قال: الحديث يدل على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، ولا سيما إذا كان قصد المعلم الخير، وأخذ الأجرة للتقوي على القيام بهذا العمل وأمثاله مما فيه طاعة لله تعالى ونشر العلوم النافعة[٢].

---

(١) الاختيارات الفقهية، ص(١٥٣).

(٢) انظر بسط المسألة في: حاشية الروض (٥/ ٣٢٠)؛ وتفسير القرطبي (١/ ٢٢٩)؛ وفتح الباري (٤/ ٥٣٠)؛ والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٥١)؛ وتوضيح الأحكام للبسام (٤/ ٢٢١)؛ وأحكام الإمامة والائتمام في الصلاة (٧٢ ـ ٧٧).

## المسألة الخامسة

# السلبيات التي تنتج من تعلُّمِ هذا العلم وتعليمه

سبق أنَّ هذا العلم من العلوم الشرعية الشريفة المستمدة أصولها من الكتاب والسنة، فإذا كان ذلك كذلك فلا ينبغي إطلاق مثل هذه العبارات في علمٍ هذا شأنه، **هذا أولاً**.

**ثانياً**: لا يوجد في هذه الدنيا من شيء إلا فيه طرفان ووسط، فالرسل عليهم صلوات الله وسلامه بعثوا إلى الناس، وبسببهم انقسم الناس إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، والقرآن الكريم كان هداية للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصّلت: ٤٤].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، كذلك فِرَقُ الضلال، فالخوارج إنما ضلوا لآيات تأولوها على غير وجهها، والمرجئة كذلك، والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكُلَّابية والكرَّامية، وغيرهم من الفرق التي ضلَّت بسبب سوء فهمهم لنصوص الكتاب والسنة، بل الفقهاء واختلافهم الذي يؤدي أحياناً إلى الفرقة والتعصب والاختلاف المذموم، إنما كان ذلك

بسبب التأويل الباطل لبعض النصوص، كذلك أهل الحديث تجد أحدهم يروي الموضوعات عن النبي ﷺ، أو يرد بعض الأحاديث الصحيحة التي لا توافق مذهبه، وهكذا.

ولم نسمع في الأمة من يقول: أخفوا القرآن عن الناس حتى لا يتأوَّلوه على غير تأويله، أو قيل: لا يدرس الفقه أو الحديث؛ لأن الناس ربما يضلون بسبب ذلك.

فيقال: وهكذا الشأن في علم التعبير، لا يقال: إنَّ هذا العلم يفتح باب شرٍّ على الأمة، فيجب إلغاؤه، ولا يدرس ولا ينشر في الأمة.

فيقال: من ضلَّ فإنما يضلُّ على نفسه، سواء كان من معبري الرؤيا أو من عامة الناس الذين يتعلمون هذا العلم، أو تُعبر لهم الرؤيا.

فمن السلبيات التي قد تعرض لمعبر الرؤيا إعجابه بنفسه وغروره بعلمه، فهذه مسألة قد تكلَّم عنها العلماء في كتب الطلب، وهي ليست مختصة بمن يعبر الرؤيا فقط.

ومنها أن التفرغ لهذا الأمر يشغله عن العلوم الشرعية الأخرى، ويتصدى للناس وهو جاهل بمسائل الفقه في الدين.

يقال: علم التعبير علمٌ دقيق يحتاج صاحبه إلى علومٍ شرعيةٍ أخرى وغيرها، كذلك على عالم التعبير أن يراعي هذه الناحية ويكمل نفسه كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: «تفقَّهوا قبل أن تسوَّدوا»، قال البخاري: «وبعد أن تسوَّدوا»[(١)].

وسبق ما يتعلق بالتفرغ لهذا العلم والاشتهار به، وأنه ينبغي تدريسه في مراحل متأخرة من الطلب.

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٦).

أمَّا ما يتعلق بالناس وانبهارهم بمن يعبر الرؤيا، فكما سبق أن ذكرنا أنَّ الناس دائماً طرفان ووسط في كل شيءٍ، فطرفٌ غالٍ وطرف جافٍ، وقسمٌ وسط.

والناظر في متعصبة المذاهب الفقهية يرى ذلك واضحاً جليّاً، وكذلك من يتعصَّب لعالمٍ أو ملكٍ أو أميرٍ أو غير ذلك.

فكذلك معبِّرو الرؤيا من الناس من يعتقد فيهم، ويرفعهم فوق منزلتهم، ويعتقد أنهم يعلمون الغيب المطلق، فهذا أضلَّ نفسه، ويعلَّم حتَّى يَعرِف الحق.

ومنهم من يذمُّ معبِّر الرؤيا ويعتقد أن تعبيره نوع كهانة، فيحذر منه، ويحارب طريقته، فهذا أخبر عن مبلغ علمه، وجهل نفسه أمام العلماء وطلبة العلم، فعليه أن يطلب العلم في مظانِّه، حتى تكون أحكامه على الناس صحيحة.

وثالثٌ توسَّط وعرف للعلماء قدرهم، ونزَّل الناس منازلهم، وقدَّر الله تعالى، وعلم أنه ﷻ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وأنَّ له في خلقه شؤون، يرفع هذا ويخفض هذا، ويمنُّ على هذا، ويعطي هذا ويحرم هذا: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، له الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

## المسألة السادسة

# قضيَّةُ التَّحديد في تَعْبير الرُّؤْيا

أخرج البخاري[1] من حديث أنس بن مالك ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»**.

وعند الترمذي[2] بلفظ: **«رُؤْيَا المُسْلِم، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزُءِ النُّبُوَّةِ»**.

وعن سمرة ﵁: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ حَظٌّ مِنَ النُّبوَّة»**[3].

وعند البخاري[4] من حديث أبي هريرة ﵁: **«لَم يَبقَ مِنَ النبوَّةِ إلا المُبشِّرَات»**، قالوا: ما المبشِّرات؟ قال: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»**.

قال القرطبي في «المفهم»[5]: من أضيفت الرؤيا إليه، فتارة سكت عنه، وأخرى من قيل فيه: المسلم، وفي أخرى: المؤمن، وفي أخرى: الصالح... وحيث سُكِتَ عنه لم يضر السكوت عنه، مع العلم بأنَّ الرؤيا مضافةٌ إلى راءٍ ما، فإذا صرَّح به في موضعٍ آخر فهو المعني، وأما حيث نطق به فالمراد به واحدٌ وإن اختلفت الألفاظ، وذلك أنَّ الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يناسب حاله حال النبي ﷺ، فأُكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على شيءٍ من علم الغيب، كما قال النبي ﷺ: **«إِنَّهُ لَم يَبقَ مِن**

---

(١) رقم (٦٩٨٣).
(٢) رقم (٢٣٧٤).
(٣) أخرجه الطبراني، برقم (٧٠٥٧).
(٤) رقم (٦٩٩٠).
(٥) (٦/١٣).

**مُبشِّراتِ النبوَّةِ إلا الرُّؤيَا الصَّالِحَة فِي النَّومِ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أو تُرَى لَهُ»**، فإنَّ الكافرَ والكاذبَ والمخلِّط وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات، لا تكون من الوحي، ولا من النبوَّة، إذ ليس كل من صدق في حديثٍ عن غيب يكون خبره ذلك نبوَّة، والكاهن يخبر بكلمة الحقِّ، وكذلك المنجم قد يحدس فيصدق، لكن على الندور والقلة، وكذلك الكافر والفاسق والكاذب، وقد يرى المنام الحق ويكون ذلك المنام سبباً في شرٍّ يلحقه أو أمرٍ يناله إلى غير ذلك من الوجوه المعتبرة المقصودة به، وقد وقعت لبعض الكفار منامات صحيحة صادقة، كمنام الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتَيَين في السجن، ومنام عاتكة عمَّة رسول الله ﷺ، ونحوه كثير، لكن ذلك قليلٌ بالنسبة إلى مناماتهم المختلطة والفاسدة(١).

وقد أشار إلى هذا المعنى وهو أنَّ الرؤيا جزءٌ من النبوة؛ أي: فيها اطلاعٌ على بعض علم الغيب، كلٌّ من المازري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وابن الجوزي، وابن تيمية، والشاطبي، وابن القيم، وغيرهم(٢).

فإذا كان هذا حال الرؤيا، فيجب أن يكون تعبيرها فيه اطلاع على بعض الغيب أيضاً، وإلا فما فائدة الرؤيا إذا لم تفسَّر.

يقول ابن تيمية: من المعلوم أن الرؤيا إن لم يعلم تعبيرها لم يكن فيها فائدة، بل قد يضلُّ الرائي إذا حملها على ظاهرها(٣)، ولهذا شدَّد أئمة الإسلام في الإقدام على تأويل الرؤيا بغير علم.

قيل لمالك: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوَّة يلعب؟

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٧٩)؛ وتفسير القرطبي (٩/ ٨٣)؛ وإكمال إكمال المعلم (٧/ ٤٩١).

(٢) الفتح (١٢/ ٣٨٠، ٣٨٤)، وقد تقدم قول ابن القيم، والشاطبي، وابن تيمية.

(٣) السبعينية (ص٣٢٠).

وقال مالك: لا يعبِّر الرؤيا إلا من يُحسنها، فإن رأى خيراً أخبر به، وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت، قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه، لقول من قال: إنها على ما أُوِّلت عليه؟ فقال: لا، ثم قال: الرؤيا جزءٌ من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة[(١)].

قال ابن حجر: والجواب أنه لم يُرد أنها نبوة باقية، وإنَّما أراد أنها لمَّا أشبهت النبوَّة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي أن يُتكلَّم فيها بغير علم[(٢)].

والرسول ﷺ كان يخبر ببعض أمور الغيب إمَّا خبراً مجملاً كليّاً، أو خبراً مفصّلاً جزئيّاً، محدداً، إمَّا بأسماءٍ أو صفات أو بأرقامٍ أو غير ذلك.

ولما كان من أمَّته من أطلعه الله على بعض الغيب، كان هذا الغيب إمَّا مجملاً أو مفصَّلاً، إذ لم يأت دليل على أنَّ الاطلاع على بعض الغيب يكون هذا الغيب مجملاً كلياً لا مفصَّلاً جزئياً محدداً إما بأسماء أو صفات...

والشاطبي كما مرَّ يقول: إنَّه ما من مزيَّةٍ ومنقبة أعطيها الرسول ﷺ سوى ما استثني، إلا وأعطيت أمته منها أنموذجاً، فهي عامة كعموم التكاليف، وهذا يُعلم بالاستقراء، ومن ذلك الوحي وهو النبوة له ولأمته الرؤيا الصالحة[(٣)].

فمعبِّر الرؤيا قد أطلعه الله على شيءٍ من الغيب، وهذا الغيب قد يكون مجملاً وقد يكون مفصَّلاً محدداً، إمَّا بأسماء أو بأوصاف، أو

---

(١) التمهيد (١/ ٢٨٨).

(٢) الفتح (١٢/ ٣٨٠)، وانظر: المفهم (٦/ ١٤).

(٣) الموافقات (٢/ ٢٥٩).

بأرقام، أو بغير ذلك، وقد سبق تفصيل ذلك في طرق التعبير، وهذا لا يعارض قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

لما تقرر في الأصل الأول والثاني والثالث، وفي مبحث طرق التعبير، والله أعلم[(١)].

والرؤيا قد تأتي واضحة جليَّة محددة المعالم لا تحتاج إلى تفسير، كما يحصل لأهل الإيمان في آخر الزمان، أو تكون الرؤيا خفيَّة لا تُعلمُ إلا بعالِم بها وبرموزها، أو ملهم مؤيد بتفسيرها، ومضى قول ابن تيمية أنَّ الرؤياً إذا لم تفسَّر فلا فائدة ترجى منها.

وتفسيرها قد يكون مجملاً، وقد يكون مفصَّلاً محدداً، بحسب ما يظهر لعالم التعبير، فإذا ما حدَّد في تفسيره للرؤيا فلا يثرَّب عليه؛ لأنَّ تحديده يأتي إمَّا من جهة الإلهام، أو من جهة الفراسة، أو من جهة المَلَك، أو من جهة القياس والاعتبار والمناسبة كما سبق في طرق التعبير، على أنه ينبغي أن يلاحظ أنَّ القسم الأول من التعبير وهو ما كان منَّةً وفضلً يكون التحديد فيه أكثر وأدق؛ لأنه مرتبطٌ بالإلهام والملائكة، وفيه تأييد إلهي، أما ما كان طلب وكسب فالتحديد فيه أقل.

المقصود أنه إذا لم يحصل تحديد في بعض الرؤيا فلا فائدة ترجى من كونها مبشِّرة أو منذرة، ولم يزل معبِّرو الرؤيا يحدِّدون في كلِّ عصرٍ ومصر، ولم يثرِّب عليهم أحد، أو ينكر عليهم منكر، ومعلومٌ أنَّ الحكم الشرعي يثبت بدليلٍ واحدٍ، إمَّا بالصيغة أو بالخبر، أو بما رتَّب عليه الشارع في العاجل والآجل من خيرٍ أو شرٍّ أو ضر، على ما هو مقرَّرٌ في

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ١١٠).

الأصول، فإذا ثبت التحديد بدليل واحد، أُخِذ به حتى ولو لم يثبت في زمن الرسول ﷺ التحديد مع أنه قد ثبت، فلنا الأخذ به كما في الكرامات التي كثرت في التابعين، ولم يوجد مثلها في زمن الرسول ﷺ كما سبق تفصيل ذلك في الأصل الثالث، ولم ينكر السلف على من حصلت له، ويُتَّهمُ بالشعوذة أو الكهانة؛ ولأنه من الخطأ اعتبار كليات الشريعة دون جزئياتها والعكس.

قال ابن هبيرة: للعالم بالتعبير أن يسكت عن تعبير الرؤيا أو بعضها عند رجحان الكتمان على الذكر، قال المهلب: ومحله إذا كان في ذلك عموم، فأما لو كانت مخصوصة بواحدٍ مثلاً فلا بأس أن يخبره ليعد الصبر ويكون على أهبةٍ من نزول الحادثة[1]؛ أي: يحدد له ما ظهر له في تعبير تلك الرؤيا.

ومن الاحتمالات التي ذكرها العلماء عند قول الرسول ﷺ لأبي بكرٍ: «**أَصَبتَ بَعضاً وَأَخْطَأْتَ بَعْضاً**»، قالوا: يحتمل أن يكون خطؤه في ترك تعيين الرجال المذكورين[2].

والتعبير من باب الظنيَّاتِ، كما هو مقرَّر، فلو أخطأ العالم في تعبيره وتحديده فلا شيء عليه لحديث أبي بكرٍ رضي الله عنه هذا وغيره من الأحاديث.

## نماذج من التحديد في تعبير الرؤيا:

١ ـ جاء رجلٌ إلى سعيد بن المسيِّب، فقال له: إنِّي رأيت حمامة وقعت على المنارة، منارة المسجد، فقال سعيد: يتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[3].

(١) الفتح (١٢/٤٥٧). (٢) المرجع السابق (١٢/٤٥٦).
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٩٣)؛ والسير (٤/٢٣٦).

٢ ـ أخرج ابن عبد البر في التمهيد بسنده عن ابن سيرين قال: رأت عائشة كأنَّ في حجرها ثلاثة أقمار، قال: فقصَّت ذلك على أبي بكرٍ، فقال: إن صدقت رؤياك يدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، قال: فلمَّا قبض رسول الله ﷺ ودفن في بيتها، قال: يا عائشة، هذا أحد أقمارك[(١)].

٣ ـ وجاء رجلٌ إلى ابن المسيِّب فقال: إنِّي أرى تيساً أقبل يشتدُّ من الثنيَّةِ، فقال: اذبح اذبح، قال: ذبحت، قال سعيد: مات ابن أمِّ الصلَّاء، فما برح حتى جاءه الخبر أنه مات[(٢)].

٤ ـ وجاء رجلٌ من فهم إلى ابن المسيب وقال له: إنه يرى في النوم كأنه يخوض النار، فقال سعيد: إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر، وتموت قتلاً، قال: فركب البحر فأشفى على الهلكة، وقتل يوم قديد بالسيف.

٥ ـ ورأى محمد بن سيرين كأنَّ الجوزاء تقدَّمت الثريا، فأخذ في وصيَّته، وقال: يموت الحسن، وأموت بعده، وهو أشرف مني.

٦ ـ وجاءه رجلٌ فقال: إنِّي رأيت كأنَّ على رأسي تاجاً من ذهب، فقال ابن سيرين: اتق الله، فإنَّ أباك في أرض غربةٍ، وهو يريد أن تأتيه، قال الراوي: فما رادَّه الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتاباً من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة، ويأمره بالإتيان إليه[(٣)].

(١) التمهيد (٢٤/٤٨)، وأخرجه الحاكم من حديث عمرة عن عائشة وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وهو عند الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٩٤)، وابن أم الصلَّاء رجلٌ من موالي المدينة يسعى بالناس.

(٣) الحلية (٢/٢٧٧)، ونحوه في الشعب، برقم (٤٧٧٩)، وسنده صحيح.

٧ ـ وجاءه رجلٌ وقال: رأيت كأني وجارية سوداء نأكل في قصعةٍ سمكة، فقال: أتهيءُ طعاماً وتدعوني؟ قال: نعم، ففعل، فلما وضعت المائدة إذا جارية سوداء، فقال ابن سيرين: هل أصبت هذه؟ قال: لا، قال: فادخل بها المخدع، فدخل وصاح يا أبا بكر: رجلٌ والله، فقال ابن سيرين: هذا الذي شاركك في أهلك(١).

٨ ـ وجاءت إليه امرأة فقالت: رأيت كأنَّ سنَّوراً أدخل رأسه في بطن زوجي، فأخذ منه قطعة، فقال لها ابن سيرين: سُرق لزوجك ثلاثمائة درهم، وستة عشر درهماً، قالت: صدقت(٢).

٩ ـ وقال له رجلٌ: إني رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها، فقال له ابن سيرين: أمؤذِّنٌ أنت؟ قال: نعم، قال له: اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران.

وهذه الآثار عن سعيد بن المسيِّب وابن سيرين، وإن كان في أسانيد بعضٍ منها مقال إلا أنها تنجبر بما صحَّ عنهم في البعض الآخر، ومن المعلوم أنه لم ينقل إلينا كل ما فسَّره هذان الإمامان.

١٠ ـ وقال سمرة بن جندب رضي الله عنه: قلت لأبي بكرٍ: رأيت في المنام كأني أفتل شريطاً وأضعه إلى جنبي ونفرٌ يأكله، قال: تتزوج امرأةً ذات ولدٍ يأكل من كسبك(٣).

١١ ـ وعند البيهقي في شعب الإيمان بسندٍ صحيح أنَّ رجلاً جاء إلى ابن المسيِّب فقال: رأيت كأنَّ في يدي قطرة دم، فكلَّما غسلتها ازدادت إشراقاً، فقال له ابن المسيب: أنت رجلٌ تنتفي من ولدك،

(١) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٥٣/ ٢٣٣)، وانظر: السير (٤/ ٦١٨).
(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٨٧).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٣) ت: اللحام.

فاتق الله واستلحقه[١].

١٢ ـ وعن جابر بن عبد الله ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتني البارحة كأن رجلاً ألقمني كُتْلَة تَمْرٍ فَعَجَمْتُهَا، فَوَجَدْتُ فيها نَوَاةً فآذتني فَلَفَظْتُهَا، ثمَّ أَلقَمني كُتلة كَمِثلِ ذَلك، ثُم أُخرَى كَمِثْل ذَلِكَ**»، فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله، دعني أعبُرها، قال: هي الجيش الذي بعثت بهم، يسلمهم الله ويغنمهم، ثم يلقون رجلاً فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثم يلقون آخر، فينشدهم ذمتك فيدعونه، فقال النبيُّ ﷺ: «**كَذَلِكَ قَالَ المَلَكُ يَا أَبَا بَكْرٍ**».

قال مجاهد في قوله: ينشدهم ذمتك، أي يقول: لا إله إلا الله.

١٣ ـ وجاء رجلٌ إلى الشهاب العابر، وقال له: رأيتُ أنَّ عليَّ ملبوساً قباء مليح، قال الشهاب: عليه طرز؟ قال: نعم، قال الشهاب: لون واحدٌ الطرز أم لا؟ قال: أحدهما ذهب، والآخر حرير، قال الشهاب: أنت تصاحب إنساناً جليل القدر، له ولدان من امرأتين، الواحدة جارية بيضاء، وربما يكون اسمها الطون، قال: صدقت، قال الشهاب: والمرأة الأخرى مولدة مليحة، والولد منها أسمر مليح، وهي حرة ما هي مملوكة، قال: صحيح، قال الشهاب: واسمها علمية أو عليمة، أو شيءٌ فيه عين، قال: صدقت، قال الشهاب: يموت ولد الطون، ويعيش ولد هذه المولدة السمراء، وأنت تربي الاثنتين، وتحملهم على أكتافك، قال: صدقت، قال الشهاب: وكان دليل ذلك أن الطون من أسماء الذهب، والفضة شبهه، والحرة من الحرير، والأسمر من سواد الحرير، وموت ولد الطون يذهب من كونه ذهب، فذهب؛ أي: مات[٢].

---

(١) برقم (٤٧٧٦) (٤/ ١٩٣).

(٢) البدر المنير في علم التعبير (ص٣٤٠). وانظر: (ص٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨) وغيرها كثير.

١٤ ـ وجاء رجلٌ فقال له: رأيتُ كأنَّ في يدي خلخالاً، وآخر مسكه، وأنا ماسكه وأزعق عليه، وأقول: اترك خلخالي، فتركه، قال الشهاب: فكان الخلخال أملس في يدك؟ قال: بل كان خشناً تألمت منه مرَّةً بعد مرةٍ، وفيه شراشيف، قال الشهاب: أمك شريفة وكذلك خالك، وأنت لست بشريف، واسمك عبد القاهر، قال: صدقت، قال الشهاب: ولسان خالك لسان نحس ردي يتكلم في عرضك ويأخذ مما في يدك، قال: نعم، قال الشهاب: ثم إنه يقع في يد ظالم متعدي فيحتمي بك فتشد أنت منه، وتقول: خلِّ خالي، فعن قليلٍ جرى ذلك[(١)].

قال ابن القيم معلِّقاً على هذه الرؤيا وتعبيرها، قال: تأمَّل أخذه الخال من لفظ الخلخال، ثم عادَ إلى اللفظ بتمامه حتى أخذ منه، خلِّ خالي، وأخذ شرفه من شراشيف الخلخال، ودلَّ على شرف أمه، إذ هي شقيقة خاله، وحكم عليه بأنه ليس بشريف، إذ شرفات الخال الدالة على الشرف اشتقاقاً هي في أمرٍ خارجٍ عن ذاته، واستدل على أنَّ لسان خاله لسانٌ رديء يتكلم في عرضه بالألم الذي حصل له، بخشونة الخلخال مرة بعد مرة، فهي خشونة لسان خاله في حقه، واستدل على أخذ خاله ما في يديه بتأذيه به، وبأخذه من يديه في النوم بخشونته، واستدل بإمساك الأجنبي للخلخال، ومجاذبة الرائي عليه على وقوع الخال في يد ظالم متعدٍّ منه ما ليس له، واستدل بصياحه على المجاذب له، وقوله: خلِّ خالي، على أنه يعين خاله على ظالمه، ويشد منه، واستدل على قهره لذلك المجاذب له، وأنه القاهر يده عليه على أنه اسمه عبد القاهر.

وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه في علم التعبير[(٢)].

وقال ابن عبد البر شارحاً لأثر أبي بكرٍ الصديق ﷺ عندما أوَّل

---

(١) البدر المنير (ص٣٧٧).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦١٥).

لابنته عائشة رضي الله عنها، وقد سبق، قال: إنَّ التأويل قد يخرج على اشتقاق اللفظ وقرب المعنى، لأنَّ قولها: سقطن في حجري، تأوله أبو بكر رضي الله عنه على الدفن في حجرتها وفي بيتها، فكأن الحجرة أخذها من الحجر، والبيت والحجرة سواء؛ لأن أصل الكلمة الضم، فكأنَّه عدَّها على اللفظ، والله أعلم.

والسقوط ههنا: الدفن، وعلم تأويل الرؤيا من علوم الأنبياء وأهل الإيمان[1].

١٥ ـ أخرج البخاري ح(٧٠٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَينَا أَنَا نَائِمٌ إذ أتيت خَزَائِنَ الأَرضِ فَوُضِعَ فِي يَدي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَليَّ وَأَهمَّانِي، فَأوحي إليّ أنِ انفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُما فَطَارَا، فَأَوَّلتُهما الكَذَّابَين الذين أَنَا بَينَهُما: صَاحِبُ صَنعَاءَ، وَصَاحِبُ اليَمَامَةِ**».

١٦ ـ وجاء رجلٌ إلى ابن سيرين غير متَّهمٍ في دينه قلقاً فقال: إنِّي قد رأيت البارحة أني قد وضعت رجلي على وجه رسول الله ﷺ، فقال له: هل بتَّ البارحة مع خُفَّيكَ؟ قال: نعم، قال: فاخلعهما، فخلعهما فكان تحت إحدى رجليه درهمٌ عليه: محمد رسول الله ﷺ[2].

١٧ ـ وأخرج الدارمي في الرؤيا، باب في القميص والبئر... عن العباس رضي الله عنه قال: رأيت في المنام كأنَّ شمساً أو قمراً ـ شكَّ الراوي ـ في الأرض، ترفع إلى السماء بأشطانٍ شداد، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**ذاك ابن أخيك**»، يعني: رسول الله نفسه.

---

(١) التمهيد (٢٤/٤٩).
(٢) تفسير الأحلام لأبي سعيد الواعظ، ص(٣٩).

١٨ ـ وأخرج ابن ماجه في الرؤيا، باب تعبير الرؤيا بسندٍ رجاله ثقات، أنَّ أمَّ الفضل قالت: يا رسول الله، رأيت كأنَّ في بيتي عضواً من أعضائك، قال: «**خَيراً رَأَيْتِ، تَلِدُ فَاطِمَةُ غُلاماً فَتُرضِعِيْه**»، فولدت حُسيناً أو حَسناً، فأرضعته بلبن قثم... الحديث.

١٩ ـ وأخرج البيهقي في الشعب[1] عن هشام بن حسَّانٍ قال: كنت مع ابن سيرين في السوق، فجاءه رجلٌ فقال: إني رأيت في المنام كأنَّ عنقي ضربت، فقال: أنت عبدٌ تعتق، قال: ثم أعدته، قال: يموت مولاك، قال: فبلغ ذلك مولاه فقال: يا عجباً لابن سيرين هذا، يتكلف علم الغيب، قال: فلم يلبث أن أعتق العبد، ومات المولى.

٢٠ ـ قال الملك عبد العزيز لمحمد آل الشيخ: إني رأيت في المنام أني أمسكت امرأة وجرَّدتها من ثيابها وتركتها عريانة، فقال الشيخ: هل فعلت بها شيئاً؟ قال: لا، فقال الشيخ: إن صدقت رؤياك فإنَّك تستولي على بلاد حائل، قال التويجري: وقد وقع الأمر على وفق ما عبَّر به الشيخ رؤيا الملك[2].

٢١ ـ روى أبو العرب في كتاب «المحن»، عن غالب العقيلي، قال: أتى سعيدَ بن المسيب آتٍ فقال: يا أبا محمد إني رأيت عند وجه السَّحر كأن موسى قاتل فرعون، فقال له: أيهما الغالب؟ قال: موسى غلب فرعون، قال: فصاح بأعلى صوته: هلك ابن مروان ورب الكعبة، ثلاث مرات، فأُعلم صاحب المدينة، فخرج حتى وقف على رأسه ثم قال: تتمنى موت أمير المؤمنين، إني لأرجو أن يقتلك الله قبله، قال سعيد: ويحك، سيجيئك خبره إلى تسعة أيام، قال: فما مكثوا إلا تسعة

(١) رقم (٤٧٧٩) (٤/ ١٩٤).

(٢) كتاب الرؤيا للتويجري ص(١٧٩).

أيام حتى أتى راكبٌ بموته واستخلاف الوليد ابنه[١].

٢٢ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات[٢] في ترجمة الحسن بن علي عن عمران بن عبد الله قال: رأى الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما يرى النائم بين عينيه مكتوباً: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، فقصَّها على سعيد بن المسيب، فقال: إن صدقت رؤياك فقد حضر أجلك، قال: فسُمَّ في تلك السنة ومات رحمة الله عليه.

٢٣ ـ وأخرج ابن عساكر[٣] بسنده عن عبد الرزاق، قال: سمعت معمراً يقول: جاء رجلٌ إلى ابن سيرين فقال: رأيت في النوم كأنَّ حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سوداء، فقال له ابن سيرين: أما التي خرجت أعظم مما دخلت فذلك الحسن يسمع الحديث فيجوده بمنطقه، ثم يصل فيه من مواعظه، وأما التي خرجت أصغر مما دخلت فذاك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه، وأما التي خرجت كما دخلت فهو قتادة، فهو أحفظ الناس.اهـ.

٢٤ ـ وجاء رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما، فقال: رأيت كأني أدليت دلواً في بئرٍ، وامتلأ ثلثا الدلو، وبقي الثلث، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: غبت عن أهلك منذ ستة أشهر وامرأتك حامل وستلد لك غلاماً، فقال الرجل: صدقت[٤].

هذه بعض نماذج من التحديد تفي بالغرض المقصود، ولو لم يثبت

---

(١) المرجع السابق، ص(١٥٥).

(٢) (١/ ٣٣٤)، وأخرجه ابن عساكر وهو منقطع.

(٣) تاريخ دمشق (٥٣/ ٢٣٣).

(٤) البشارة والنذارة، ص(٢٦١).

لدينا التحديد في التعبير فما ذكر من تأصيل هذا الموضوع في الأصل الأول والثاني والثالث، وفي مبحث طرق التعبير لكان كافياً، لكن ولله الحمد والمنَّة ثبت التحديد بالنماذج السابقة مع التأصيل السابق، نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء، وبالله التوفيق.

وهنا أمرٌ أنه ليس من الضروري أن تظهر المناسبة بين كلٍّ من الرؤيا وتعبيرها لكل أحد.

يقول ابن تيمية: وأما الرؤيا وتأويلها فبابٌ لا ينضبط له حدٌّ، وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجهٍ بعيد لا يهتدي له إلا حذَّاق المعبِّرين[1].

---

(١) السبعينية، ص(٣٢٠).

## المسألة السابعة

# تقصُّد الرؤيا وعبارتها والحرص على ذلك

الأصل في هذه المسألة حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنَّ رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصُّونَها على رسول الله ﷺ، فيقول فيها رسول الله ما شاء الله، وأنا غلامٌ حديث السنِّ، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلت: «اللَّهمَّ إن كنت تعلمُ فيَّ خيراً فأرني رؤيا...» الحديث[١].

وفي رواية: وكان من رأى مناماً قصَّه على النبي ﷺ، فقلت: «اللهمَّ إن كان لي عندك خيرٌ فأرني مناماً يعبِّره لي رسول الله ﷺ...» الحديث[٢].

وفي رواية ثالثة قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله، فتمنَّيتُ أن أرى رؤيا فأقصّها على رسول الله ﷺ... الحديث[٣].

قال ابن حجر: ويؤخذ منه أن الرؤيا الصالحة تدل على خير رائيها[٤]، وفيه: تمني الخير والعلم[٥].

وقال في موضعٍ آخر: الاهتمام بأمر الرؤيا بالسؤال عنها، وفضل

---

(١) البخاري (ح٧٠٢٨) في التعبير. (٢) المرجع السابق (ح ٧٠٣٠).
(٣) المرجع السابق (ح ١١٢١) في التهجد. (٤) الفتح (٣/ ٩).
(٥) المرجع السابق (٣/ ١٠).

تعبيرها[١].

وقال القرطبي في «المفهم»[٢]: وإذا كانت هكذا ـ أي: الرؤيا من الوحي ـ فتعيَّن على الرائي أن يعتني بها ويسعى في تفهمها ومعرفة تأويلها.

وقال ابن عبد البر في شرحه لحديث عائشة عندما رأت ثلاثة أقمارٍ سقطن في حجرها، قال: وفي هذا الحديث دليل على اشتغال أنفس السلف بالرؤيا وتأويلها[٣].

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالمستقرئ لذلك يجد ذلك كذلك.

فقد ذكر كثيراً من ذلك ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، وابن القيم في كتاب الروح، والسيوطي في شرح الصدور، وكتب التراجم مليئة من ذلك أيضاً، مثل: طبقات ابن سعد، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، كلاهما للذهبي، وتاريخ ابن عساكر، وغيرها.

وعن عروة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها كانت إذا أرادت النوم تقول: اللهم إني أسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة، نافعة غير ضارة، وكانت إذا قالت هذا عرفوا أنها غير متكلمةٍ بشيءٍ حتى تصبح أو تستيقظ من الليل[٤].

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لي خليلاً، وإنه لمَّا توفي لبثت حولاً أدعو الله أن يرينيه في المنام، قال: فرأيته على رأس الحول، يمسح العرق عن جبهته، قلت: يا أمير

---

(١) المرجع السابق (١٢/ ٤٦٦). (٢) (٦/ ١٤).

(٣) التمهيد (٢٤/ ٤٨).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يسأل إذا أوى إلى فراشه من الرؤيا (ص٣٤٦)، قال الحافظ: موقوف صحيح الإسناد، انظر: الفتوحات (٣/ ١٧٠)؛ ونتائج الأفكار (٣/ ٨٩)، ت: حمدي السلفي.

المؤمنين، ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت، وإن كاد عرشي ليهد، لولا أني لقيت ربي رؤوفاً رحيماً[١].

وعن سالم بن عبد الله قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: دعوت الله أن يريني عمر رضي الله عنه في النوم، فرأيته بعد عشر سنين، وهو يمسح العرق عن جبينه، فقلت: يا أمير المؤمنين ما فعلت؟ قال: الآن فرغت، ولولا رحمة ربي لهلكت[٢].

وأسند ابن سعدٍ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه سأل ذلك أيضاً[٣].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٨٦)؛ ونحوه في المنامات لابن أبي الدنيا برقم (٢٢)؛ والحلية (١/ ٥٤)؛ وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤٨٢)، وسنده لا بأس به.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٧)، ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ (٤٤/ ٤٨٣).

(٣) المرجع السابق.

## المسألة الثامنة

# رمي المعبِّـرين في هذا العصر بالكهانة

نظراً لطغيان المادة، والجانب العقلي[١]، والظاهرية في فهم

(١) جاء في كتاب: «تأملات في المشكلة اليهودية»، للكاتب اليهودي الوجودي «سارتر»، يقول: إن اليهود متهمون بتهم ثلاث كبرى، هي: عبادة الذهب، وتعرية الجسم البشري، ونشر العقلانية المضادَّة للإلهام الديني، ويقول: إن التهم كلها صحيحة، ثم يروح يقدم المعاذير عن اليهود في تلبسهم بهذه التهم. انظر: مذاهب فكرية، ص(٥٣٠).
وفي آراء الفيلسوف اليهودي المعاصر هربرت ماركوز (١٨٩٨ ـ ١٩٧٩م) الشاهد الواضح على هذا، ففي سنة (١٩٦٤م) أصدر كتاباً بعنوان «الإنسان ذو النظرة الواحدة»، دعا فيه إلى قيام جمهورية القلة، التي تمارس العقلانية بواسطة الصفوة، ووجه هذه الصفوة لاستغلال الحركات الطلابية الثورية واستغلال المنبوذين والخوارج، والمضطهدين من مختلف الأجناس والعناصر والألوان، والعاطلين عن العمل، للقيام بعملٍ ثوري جذري يحقق هذا الهدف، وتلتقي فيه أشد قوى الوعي الإنساني المتمثلة بالصفوة، بأشد العناصر البشرية تعرضاً للاستغلال، أو الاضطهاد.
وأنه لا سبيل أمام الصفوة لتأسيس مجتمع المستقبل القائم على العقلانية والتحرير والتسامح إلا بالثورة والاستيلاء على مقاليد الحكم وإعلان ديكتاتورية الأقلية عن طريق الحركات الطلابية، ولهذا خصص «ماركوز»، جزءاً من فلسفته للثورة الطلابية، ونوَّه بطابعها الجمالي الذي زعمه. انظر: كواشف زيوف، ص(٣٩٣).
ومن المتقرر أن الناس يشاكلون عصرهم في التصورات والأفكار، وذكر ابن خلدون ان المغلوب دائماً مولعٌ بتقليد الغالب، والرسول قال: **«لَتَتَّبِعَن سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم حَذْوَ القُذَّة بِالقذَّة، حَتَّى لَو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»**، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَن؟»، فانظر إلى واقع الحركات الطلابية في الجامعات... وقارن... والإشارة تغني عن العبارة... لأن الإنسان قد يكون من أعوان الكفار وهو لا يشعر، ومعه شيطانٌ يسيِّره وهو لا يشعر، بل يظن أنه يكشف مخططات الكفار ويحاربهم وهو في الحقيقة ينفذ مخططاتهم دون شعور.
يقول ابن تيمية في الفتاوى (١٠/ ٦١٢): ولهذا كثيرٌ من أهل الزهد والعبادة يكون من =

النصوص، وغلظ الطبع، وقلة العلم الشرعي، جاءت هذه الشبهة، فكيف لو رأى من يقول ذلك ما ذكر من كرامات لكثيرٍ من هذه الأمة سواء ما يتعلق بعلم التعبير، أو غيره من العلوم، أو المكاشفات، أو التأثيرات في الأمور الكونية أو الشرعية.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يؤلف الحموية في جلسة بين الظهر والعصر[1]، وفيها من القواعد والأصول والنقول ما يتعجب المرء منه، بل غيرها من مؤلفاته التي لو تبنت مؤسسة علمية أن تخرج مثلها لما استطاعت، وكذلك غيره من علماء السلف، وقد مضى أمثلة كثيرة في مثل هذه الأمور، لكن الناس إلا من رحم ربك يغلبون جانب الجن والشياطين وسيطرتهم على البشر، وينسون جنود الله الأخرى من ملائكة وغيرها، بل إن الملائكة أكثر بكثير من الجن، كما ثبت ذلك في الأدلة الصحيحة[2]، ولها تعلق بالإنسان أكثر من تعلق الجن، فهناك رقيبٌ وعتيد، والحفظة الذين يحفظونه من أمر الله، والملك الموكل له لمة الخير، والملائكة المؤيدة وغير ذلك، بل ثبت أن الملائكة تحارب مع المؤمنين كما في غزوة بدرٍ وغيرها، ولم ينقل ذلك عن الجن إلا ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قتلت جانّاً، فأتيت في منامها، فقيل لها: أقتلت فلاناً وقد شهد بدراً؟. لكن في سنده ضعفاً، وفي متنه اضطراباً، فمرَّة ذكر أنه شهد بدراً، وفي رواية أنه من النفر الذين استمعوا الوحي من

---

= أعوان الكفار ويزعم أنه مأمورٌ بذلك، ويخاطب به، ويظن أن الله هو الذي أمره بذلك، والله منزَّهٌ عن ذلك، وإنما الآمر له بذلك النفس والشيطان وما في نفسه من الشرك، إذ لو كان مخلصاً لله لما عرض له شيءٌ من ذلك، فإن هذا لا يكون إلا لمن فيه شرك في عبادته، أو عنده بدعة، ولا يقع هذا لمخلص متمسك بالسنة البتة.اهـ.

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤).

(٢) انظر: كتاب العظمة لأبي الشيخ؛ وبدء الخلق من صحيح البخاري مع شرحه؛ والحبائك في أخبار الملائك للسيوطي.

النبي ﷺ[١]، وقد يكون شهد بدراً ولم يقاتل، لكن ذلك ممكن.

كذلك ما أكرم به بعض الصالحين من مساعدة الملائكة لهم في قصص يطول شرحها[٢]، لكن العقول القاصرة دائماً تغلب جانب الحس والمادة، وإذا انتقلت إلى عالم الغيب غلبت الجن والشياطين، وما ذاك إلا لقلة العلم وضعف الإيمان بالغيب، ويخشى أن يكون لدى هؤلاء خلل في العقيدة لأنهم يعتقدون في الجن أموراً لا دليل عليها لكن وجدوا آبائهم على أمة فهم سائرون عليها.

وجانبٌ آخر هو أنَّ علم التعبير من العلوم الدقيقة التي قلَّ أن يبرع فيها كل أحد، كما سبق ذلك في كلام القرافي، وابن القيم، وابن تيمية وغيرهم[٣]، وجانبٌ آخر هو أن الرسول ذكر في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اقتَرَبَ الزَّمَانُ لَم تَكَدْ رُؤْيَا المُسلِمِ** - وفي رواية: المُؤمِنِ - **تَكْذِبُ...**» الحديث.

قال ابن بطَّال: فعلى هذا المعنى، إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم، ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة، عوِّضوا بما منعوا من النبوة بالرؤيا الصادقة التي هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار[٤].

---

(١) انظر: السير (٢/ ١٩٦)؛ والعظمة لأبي الشيخ (٥/ ١٦٥٤)؛ وفتح المنان (٢/ ٤٩٠).

(٢) انظر: مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا، رقم (٢٣)؛ والهواتف، له، رقم (٦٠، ٦٥، ٦٩، ٧٠)؛ والحبائك للسيوطي.

(٣) انظر مبحث: طرق التعبير، ومبحث أصول التعبير.

(٤) فتح الباري (١٢/ ٤٢٣).

فنظراً لاندراس العلوم الشرعية، ومنها علم التعبير، الذي يعمل هؤلاء لهدمه يعوض الله المؤمنين بأن يأتي تعبير رؤياهم موافقاً للرؤيا لا يحتاج في ذلك إلى معبِّر، وذلك لطفاً من الله بهم وتأنيساً لهم، لأنهم في زمان غربة، كما يكرمهم سبحانه في زمن الدجال بأن يقرأ كل مؤمنٍ ما كتب بين عينيه كان ذاك المؤمن قارئاً أو غير قارئ.

جانبٌ آخر أنه في طرق التعبير لم تذكر الجن ولم أجد دليلاً واحداً بعد البحث على أنَّ الجنَّ يعبِّرون الرؤيا، وهذا لا يمنع أن يكون فيهم من يعبِّر الرؤيا[١]، فيكون الكلام فيهم كالكلام في الإنس، فعلى ذلك لا يدخلون في طرق التعبير، وإلا لَزِمَ التسلسل، على أنَّ مسألة الاستعانة بهم في المباح وغيره قد تكلم عليها العلماء[٢]، وقد كان السلف يسألونهم عن أشياء ولربما تقدم الجني وعرض الخدمة دون سؤال، ولم يكن يقدم لهم شيء، وإنما ذلك من باب المساعدة كما يساعد الإنسي الإنسي.

أخرج ابن أبي الدنيا[٣] وابن عساكر[٤]، والإمام أحمد في فضائل الصحابة[٥] عن سالم بن عبد الله قال: راث على أبي موسى الأشعري خبر عمر وهو أمير البصرة، وكان بها امرأة في جنبها شيطان يتكلم، فأرسل إليها، فقال لها: مري صاحبك فليذهب، فليخبرني عن أمير

---

(١) انظر: لقط المرجان في أحكام الجان، ص(١٣٣، ١٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧). وانظر: فتح المنان (١/ ٢١١) في الحاشية.

(٣) في الهواتف، رقم (١٦٥).

(٤) في تاريخ دمشق (٤٤/ ٨٩) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٥) رقم (٣٨٠) (١/ ٢٨٩)، وحكم عليه المحقق بالضعف؛ لكن هناك قصص كثيرة عن السلف في هذا الشأن.

انظر: الهواتف لابن أبي الدنيا، وقصص الجن وأخبارهم في الدين والتاريخ والأدب العربي، ولقط المرجان في أخبار الجان وغيرها.

المؤمنين، قالت: هو باليمن يوشك أن يأتي، فمكثوا غير طويلٍ ثم حضر، فقالوا: اذهب فأخبرنا عن أمير المؤمنين فإنه راث علينا، فقال: إنَّ ذاك الرجل ما نستطيع ندنو منه، إنَّ بين عينيه روح القدس، وما خلق الله شيطاناً يسمع صوته إلا خرَّ لوجهه، وفي رواية: تركته مؤتزراً بكساء يهنأ إبل الصدقة، وذاك لا يراه شيطانٌ إلا خرَّ لمنخره... الحديث.

على أنَّ هنا مسألة ينبغي التفطن لها وهي أنَّ الله سخَّر لنا ما في السماوات وما في الأرض، وذكر أنَّه سخَّر لسليمان عليه السلام الشياطين والجن، ولداود الجبال والطير، وكأنَّ هذا تسخيرٌ خاص، وهو كذلك لأنه لم يكن باختيارهم، وذاك عام، والرسول ﷺ عندما أراد أن يربط العفريت بسارية المسجد ذكر دعوة سليمان عليه السلام، فلم يربطه، لأن تصرف سليمان عليه السلام فيهم تصرف ملكي، وتصرف نبينا محمد ﷺ دعوي، فهو عبد رسول، وسليمان ملك رسول عليهما الصلاة والسلام[1].

---

(١) **فائدة: علاقة الإنس بالجن** لها جانبان:
- **الأول**: الاستعانة بالجن، وهذا في جانب القدرة والأثر.
- **الثاني**: السؤال للجن، وهذا في جانب العلم والخبر. وهنا مسائل:

**الأولى**: أن يعرض الجني على الإنسي المساعدة دون طلب الإنسي، ودون تقديم مقابل، فهذه مسألة خلافية، والأولى سد الذريعة في هذا الباب، لأن الجن فيهم الكذب والظلم والجهل.

**الثانية**: أن يتطلَّب الإنسي الاتصال بالجن، فهذه المسألة لا تجوز لأنه لم يرد في الشرع بيان لطرق معينة للاتصال بهذا العالم، ولو كان فيه خير لدلَّنا عليه ديننا الكامل الصالح لكل زمان ومكان.

**الثالثة**: أن يعرض الجني المساعدة بمقابل؛ فإن كان المقابل معصية فلا يجوز، وإن كان مباحاً فالحكم كما سبق في المسألة الأولى.

انظر: النبوات، ص(٥٢٨، ١٠٠١٢)؛ وفتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان (١/ ٢١٣)؛ الروح في الديانات، ص(١٧٧٧).

أخرج البغوي[١] عن عائشة ﵂، زوج النبي ﷺ: «أنها أعتقت جارية لها عن دبر منها، ثمَّ إنَّ عائشة مرضت، فدخل عليها سندي، فقال: إنك مطبوبة، فقالت: من طبَّني؟ قال: امرأة من نعتها كذا وكذا، وقد بال في حجرها صبي، فقالت عائشة: ادعوا لي فلانة، لجارية لها تخدمها، فوجدوها في بيت جيرانٍ لها، وفي حجرها صبي قد بال، فقالت: حتى أغسل بول هذا الصبي، فغسلته، ثم جاءت، فقالت لها عائشة: أسحرتيني؟ فقالت: نعم، فقالت: لمَ؟ قالت: أحببتُ العِتقَ، قالت عائشة: والله لا تعتقي أبداً، فأمرت ابن أخيها أن يبيعها من الأعراب ممن يسيء ملكتها، ثم ابتع بثمنها رقبة حتى أعتقها، ففعلت، قالت عمرة: فلبثت عائشة ما شاء الله من الزمان، ثم إنها رأت في النوم[٢] أن اغتسلي من ثلاث أبؤر يمد بعضها بعضاً، فإنك تشفين، فاغتسلت فشفيت»[٣].

في هذا الأثر العزيز جداً فوائد كثيرة منها:

١ ـ أن عائشة ﵂ لم تتهم هذا السندي بالكهانة.

٢ ـ أنَّ السلف كانوا يؤمنون بالكشف الصحيح، وقد تقدم كلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من علماء السلف في هذا الموضوع.

٣ ـ أنَّ الرؤيا قد تكون سبباً لشفاء بعض الأمراض المستعصية كالسحر، والعين، والأورام السرطانية وغيرها، خاصةً إذا حَرِصَ الشخص على تقصُّد الرؤيا في ذلك كفعل عائشة ﵂.

---

(١) في شرح السنة (١٢/ ١٨٩).

(٢) انظر ما سبق في مبحث تقصد الرؤيا، ودعاء عائشة ﵂ عند النوم.

(٣) قال المحقق: إسناده صحيح.

## المسألة التاسعة

# تهافت الناس على المعبِّـرين

الأصل في هذه المسألة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّة، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُه إِلى سُنَّتِي فَقَدِ اهتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُه إِلى غَير ذَلِك فَقَدْ هَلَكَ**»[١].

قوله: شِرَّة ـ بكسر الشين المعجمة، وتشديد الراء ـ أي: حرصاً على الشيء ونشاطاً فيه، ورغبة، ومنه: «**إِنَّ لِهَذَا القُرْآنِ شِرَّةٌ، ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ عَنْهُ فَتْرَة**»[٢].

وعن ابن عباس ﵄ قال: قدم على عمر بن الخطاب ﵁ رجلٌ، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا.

قال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزجرني عمر ﵁ ثم قال: مه، فانطلقت

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ح٥١) (١/ ٦٨)، واللفظ له؛ وأحمد (٢/ ١٥٨)؛ والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٦٦)؛ والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٢٦)؛ وابن حبان، رقم (٣٥٠)، ص(١٠٩)، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وعن أبي هريرة ﵁، أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٧/ ١٢٦)، وقال: حديث صحيح غريب.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٨)، والحديث أخرجه البيهقي في الشعب، رقم (٢٦٣٢).

وانظر: تاج العروس (٧/ ١٧)؛ وفتح الباري (٤/ ٢٥٧).

إلى منزلي مكتئباً حزيناً، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل، فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ فقلت: يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا، ومتى يحتقوا يختصموا، ومتى يختصموا يختلفوا، ومتى يختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها(١).

وعند الديلمي في مسند الفردوس: الإسلام بدأ جذعاً، ثم ثنياً، ثم رباعياً، ثم سداسياً، ثم بازلاً.

وفي الأمثال: لكل زمان دولة ورجال.

المقصود أنَّ تهافت الناس على المعبِّرين هو من هذا الباب، فكل شيءٍ جديد يقبل عليه الناس إقبالاً شديداً، ثم بعد ذلك يصبح عادياً عندهم، فإذا ما تصدَّى أهل السنة والجماعة لهذا العلم، وقرِّر تدريسه وتولى ذلك العلماء كباقي العلوم الشرعية الأخرى(٢)، سدَّ الباب على كلِّ مدَّعٍ وكل متشبِّعٍ بما لم يُعطَ، وليس علم التعبير هو الذي أوقع الناس في الانحراف، وإنما الانحراف من الناس أنفسهم، وإلا بعض الناس درس علم الأصول، أو علم العقيدة، ومع هذا انحرف عن الصراط المستقيم، والتاريخ والواقع خير شاهد، بل النصوص الشرعية دلَّت على ذلك كقصة بلعام بن باعورا وغيره.

المقصود أن تهافت الناس على المعبِّرين شيءٌ طبعي في الناس لأن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، برقم (٢٠٣٦٨)؛ والفسوي في تاريخه (١/٥١٦)؛ والذهبي في السير (٣/٣٤٨) بسندٍ رجاله ثقات؛ وأورده عبد الله بن أحمد في السنة (١/١٣٥).

(٢) تقدم كلام ابن كثير في أن علم تعبير الرؤيا كان يدرس كغيره من العلوم.

الناس مولعون بالاطلاع على بعض الغيب، لكن ينبغي أن يكون المعبِّر على قدرٍ كبيرٍ من الحصيلة العلمية كما سبق في أصول التعبير حتى يستطيع الاستفادة والإفادة من هذا العلم.

ومن يقرأ تاريخ علماء الحديث، وعلماء الفقه، والوعاظ وغيرهم، وكم كان يحضر مجالسهم لتعجب أشد العجب، وأظن لو جاء في هذا العصر محدِّث وحضر مجلسه مائة ألف لأنكر عليه بعض الناس، بحجة أنَّ ذلك ليس من منهج السلف، وما ذاك إلا لغربة الدين، وقرب الساعة، والله المستعان.

## المسألة العاشرة

# أنَّ الهمم لم تتوافر على نقل هذا العلم

يقال: هذا البحث في علم التعبير، وليس فيما عبِّر من رؤيا، والهمم قد توافرت على نقل هذا العلم وأصوله، وعلمائه، وكتبه، ولم يزل أهل السنة يتناقلون هذا العلم جيلاً بعد جيل حتى هذا العصر، ولله الحمد.

أما قضية حصر كل رؤيا وتعبيرها، فهذا لم تتوافر الهمم على نقله لأمورٍ، منها:

١ ـ أنَّه جاء الأمر من الرسول ﷺ بأنَّ من رأى رؤيا يحبها ألا يقصُّها إلا على حبيبٍ أو لبيب، أخرج الترمذي في أبواب الرؤيا (٦/ ٤٦٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فَرُؤْيَا حَقٌّ، وَرُؤْيَا يُحدِّثُ الرَّجُل بِهَا نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَان، فَمَنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُم فَلْيُصَلِّ**»، إلى أن قال: وكان يقول: «**لا تَقُصَّ الرُّؤْيَا إلا عَلَى عَالِمٍ أَو نَاصِحٌ**».

قال الترمذي: حسنٌ صحيح، وفي حديث أبي رزين العقيلي قال: وأحسبه ـ أي الرسول ﷺ ـ قال: «**وَلا تُحَدِّثْ بِهَا إِلا لَبِيْباً أَو حَبِيْباً**»، قال الترمذي: حسنٌ صحيح.

وأخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩١)، من حديث أنس رضي الله عنه وفيه: «...**فإِذَا رَأَى أَحَدُكُم رُؤْيَا فَلا يُحدِّثْ بِهَا إِلا نَاصِحاً أَوْ عَالماً**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وأخرج البخاري (ح٧٠٤٤) من حديث أبي سلمة ﵁ قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ الله، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُم مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّثْ بِهِ إِلا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكرَهُ فَليتَعَوَّذْ بِالله مِن شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيطَانِ، وَليتْفُل ثَلاثاً وَلا يُحدِّث بِهَا أَحَداً، فَإِنَّهَا لَن تَضُره**».

من فوائد هذه الأحاديث الأمر بإخفاء أمر الرؤيا الصالحة؛ لأن إفشاءها ونشرها قد يعرِّض الإنسان للمكر والحسد من أعدائه، كما في رؤيا يوسف ﵇، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف: ٥]، وهذا يقلل من نشر تعبير كل رؤيا، وفيها الأمر بإخفاء الرؤيا المكروهة مع أنها قد تفسَّر.

٢ ـ أخرج البيهقي في دلائل النبوّة (٧/ ٤٧)، وأبو يعلى في المسند الكبير عن أبي علقمة مولى عبد الرحمٰن بن عوف ﵄، عن كثير بن الصلت، قال: أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه، فاستيقظ، فقال: لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم، قال: قلنا: أصلحك الله، حدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا، فقال: إنك شاهدٌ معنا الجمعة، قال في المجمع (٧/ ٢٣٢): فيه أبو علقمة مولى عبد الرحمٰن بن عوف، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.اهـ.

وقد تقدم أنَّ من عادة السلف إخفاء الكرامة، والرؤيا الصالحة الصادقة من الكرامة، وإخفاؤها يكون سبباً في عدم نقلها، وقد قال عثمان ﵁ هذا في خير القرون، فكيف بزمننا هذا، بل بعض الفضلاء إذا أخبرته عن رؤيا قال منكراً عليك: طيِّب خليك على الرؤيا، وبعض

أهل السنة الآن يظنون أن هذا العلم من علوم الصوفيَّة، لأن الرؤيا مصدرٌ عند أهل التصوُّف، لكن يقال لأهل السنة: أفكل ما أخذ أحد من أهل البدع من الحق الذي جاء به الرسول ﷺ تركناه، لأنَّ الفرقة الفلانية أخذت به، إذاً لضاعت مسائل كثيرة، واندرست معالم عزيزة، وانظر إلى منهج شيخ الإسلام رحمه الله في ذلك، فقد أنصف الفرق بل حتى الخارجة منها عن الإسلام، بل حتى الفلاسفة، وذكر أنَّ ما عندهم من حقٍّ فهو مأخوذٌ من نور النبوة، وهكذا أهل السنة شعارهم دائماً، الحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها أخذها.

٣ ـ أنَّ هناك ميلاً فطرياً في النفوس لمعرفة الغيب، ولهذا لم تأت النصوص بالحثِّ على نشر كلِّ رؤيا وتعبيرها، بل جاءت بالعكس كما تقدم، وذلك مثل برِّ الوالد لولده، لم تأت نصوصٌ كثيرةٌ بذلك لوجود ذلك في الفطر على عكس ما جاء من نصوص كثيرة في برِّ الولد بوالديه.

٤ ـ أنَّ المعبِّر لا يحفظ كل ما عبر حتى يدونه، وهذا معلومٌ من استقراء أحوال المعبِّرين؛ بل هو مأمورٌ بالستر على الناس في هذا الباب.

٥ ـ أنَّ واقع السلف دالٌّ على أنهم لم يحرصوا على نقل كل رؤيا وتأويلها، وإنما اهتموا بجانب علم التعبير وأصوله وقواعده، وهو أوسع مما يوجد في أذهان كثير من الناس عن هذا العلم الشرعي، وذلك كباقي العلوم الشرعية الأخرى؛ إذ لم ينقل لنا كل فتوى لكل عالم، بل نقل لنا أصول كل علم، وقواعده، وكتبه، قال التويجري في كتاب الرؤيا (ص١٧٦): وممن اشتهر بتعبير الرؤيا من المتأخرين، وكانت له اليد الطولى في هذا العلم: الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمٰن ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله... ولم يبلغني من تعبيره للرؤيا إلا النزر اليسير، وسأذكر ما بلغني من ذلك إن شاء الله...

# الخلاصة

قد يقال: ما هذا البسط لمسائل علم التعبير؟

الجواب: إن هذا علمٌ نبوي كاد أن يندثر، **هذا أمر**.

**الأمر الآخر** اشتباه هذا العلم الشريف على بعض الناس، حتى جعلوه من أساليب الكهانة.

فقد جاء في القانون الجنائي المغربي ـ المستمد من القانون الفرنسي فقرة (٣٥): ـ من احترف التكهن، والتنبؤ بالغيب، أو تفسير الأحلام. اهـ.

فقد جعلوا له عقوبة الغرامة من (١٠) دراهم إلى (١٢٠) درهماً، دون الحبس.

الشاهد أنهم جعلوا هذا العلم النبوي الإيماني من أساليب الكهانة، يقول الدكتور إلياس بلكا: لعله من الواضح أن القانون المغربي في موضوع التكهن هو ترجمة حرفية للقانون الجنائي الفرنسي، وهذا ما أوقعه في خطأين أساسيين... هما:

١ ـ اعتباره تفسير الأحلام من المخالفات المعاقب عليها، رغم أن الرؤيا حق، وهي جزء من النبوة، فلا وجه لوضعها مع الكهانة في موقف واحد.

٢ ـ تسامحه الكبير مع المتكهنين والعرّافين والمنجمين[١].

---

(١) الغيب والمستقبل، ص(٣٣٧ ـ ٣٣٨).

**الأمر الثالث**: أن النبي ﷺ أرشدنا إلى أن هذا العلم الشريف هو الباقي من النبوة، فالأخذ به امتثالاً لإرشاده ﷺ.

**الأمر الرابع**: أن الكثير من البدائل الشرعية للكهانة، تدخل تحت هذا العلم الشريف، مثل: الفأل، والفراسة، والاستخارة، والذكر والدعاء، والرقى وغير ذلك.

**الأمر الخامس**: أهميَّة هذا العلم في هذا العصر ـ الذي كثرت فيه الفتن ـ لكشف المنافقين، والأعداء، ومستقبل أمة الإسلام، وقيام الدول وسقوطها، وتثبيت المجاهدين الصادقين، بل ووضع الخطط والدراسات المستقبليَّة(١) في ضوء هذا العلم النَّبويّ، وأيضاً الاستفادة منه في علاج السحر، والعين، والأمراض المستعصية، كالسرطان وغيره. والله الموفق وكفى به هادياً ونصيراً.

---

(١) الدراسات العلمية المستقبليَّة من المواضيع التي يجب على بعض أفراد الأمة الإسلاميَّة الاهتمام بها في هذا العصر، فهو موضوع يحتاج إلى رسائل علميَّة متخصصة لأهميَّته، وحاجة الأمة إليه في هذا الوقت، وإعراض أصحاب المنهج الصحيح عن الولوج فيه بعمق، وإن كان هناك دراسات متفرقة هنا وهناك.
وقد أوصيت في رسالة «العالمية العالية» بإنشاء مركز للدراسات العلمية المستقبليَّة، لاستشراف المستقبل بطرق شرعيَّة، ولكن:

لقد أسمعت إذْ ناديت حيّاً ... ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رماد

# الفهارس